فيصل الثاني



عائلته.. حياته.. مؤلفاته!

احمد فوزي

وثائق وصور

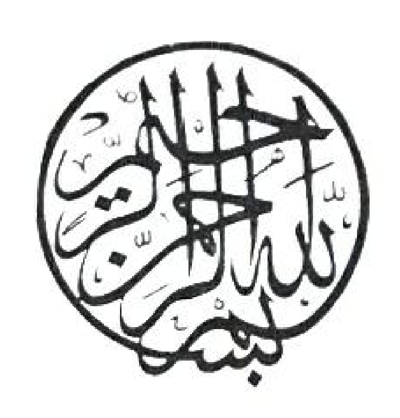
الملك فيصل الثاني

عائلته..

حياته..

مؤلفاته!

أحمد فوزي



الطبعة الاولى ـ آذار ١٩٨٨
الطبعة الثانية ـ أيلول ١٩٨٨
الطبعة الثالثة ـ تشرين الثاني ١٩٨٩

**نضد الكتاب الكترونيا بالليزر
في الدار العربية للطباعة
وفرزت صوره في مطبعة الديواني**



كلمة.. للتاريخ

بدأ الاهتمام بدراسة تاريخ العراق الحديث . يزداد في الايام الأخيرة. بعد ان أعلن القائد صدام حسين . وجوب إعادة كتابة التاريخ من جديد . اعتماداً على وثائقنا القومية .

واخذ الاقبال بتزايد على اقتناء الكتب التي تبحث في أمور الماضي القريب .

فشمّر الكتابُ والباحثون عن سواعدهم . بعد أن لمسوا أقبال الجيل المعاصر . على تلك الكتب والبحوث . فأخذوا ينقّبون عن الوثائق التي علاها غبار الزمن . المرصوفة فوق رفوف المكتبات . والخزانات المحكمة . وبداوا يتحرون عن الخفايا والاسرار . التي كانت تحيط بكثير من الاحداث المهمة . التي جرت على مسرح بلادنا العزيزة . وأستنطقوا الأفواه التي ظلت لسنوات عديدة لاتتفوه بأية كلمة عن ماشاهده اصحابها وماسمعوه في تلك الحقبة المنصرمة من احداث واسرار وخفايا ..

وخرجت المستندات والوثائق من مظانها . الى الهواء الطلق النقي . لتتلقفها أقلام الكتاب والباحثين . وليبدأ من جديد . كتابة التاريخ . وسير أبطاله . وصانعيه..

كان التاريخ يكتب للمتعة حيناً - كما يقول الاستاذ عادل الالوسي في مقاله «وثائقنا القومية . وأعادة كتابة التاريخ» وللعظة احياناً .. ثم صار التاريخ حالة تعبّر عن مرحلة . وتنطوي على معانٍ فذة . لايمكن ان تكون قصصاً وروايات واساطير . بل تشكل أحداثاً . وترمز الى وقائع . هي أفرازات عهود بأكملها . يصنفها الانسان بعرقه ودمه . ويضع فيها خلاصة قدرته وعبقريته . وفلسفة يتوغل في غاياتها الى اعماق المجهول .

يقول كوته . على لسان «فاوست» : «ماأشق الظفر باسباب الوصول الى الاصول . والوثائق هي هذه الاصول . لكنها هي أيضاً ذلك المطلب الكؤود . والاداة الصعبة. في البحث في التاريخ» !

ومع ذلك . فان أهم نتيجة في العمل مع الوثائق . لأجل كتابة التاريخ . هو الشعور بقيمة الحقائق . حتى ولو كانت ذات طعم مُر . لان الحقائق . عادة . تقطع عذاب الشك باليقين .. في كل وثيقة حقيقة . او بعض حقيقة !

العمل في الوثائق يتطلب الجهد البالغ المضني . لكنها ستبتعد بنا عن حالة مملة في كتابة التاريخ . هي حالة التكرار . وعن عادة مرفوضة. هي عادة النقل والاستنساخ لحوادث الماضي !

ان الوثائق على هذا الاساس ، تخلق وحدها حالة الاستقرار في كتابة أحداث التاريخ . وتاريخنا يظل قابلاً للتغيير والتشويه مالم نوثّقه ، ومالم نُحلّله . معتمدين في ذلك على رصيدنا الوثائقي المدوّن .

ان كتابة التاريخ ، لم تعد عملاً تقليدياً ، يؤدي على طاولة المؤرخ ، وان عدداً قليلاً من الوثائق التي تظهر الى الوجود فجأة ، قد تقلب موازين البحث ، وهذا شيء يجعلنا دائماً في حالة «بحث» عن الوثائق .

ان تاريخنا لاشك ناصع ومجيد ، وفيه من النقاط والزوايا والاحداث ، التي لم يصل اليها النور تماماً ، وهذا امر طبيعي في كل تواريخ الامم .. وقد عبّر الرئيس القائد عن ذلك بقوله : «علينا ان لانأخذ الاحداث السابقة ، ونحاكمها بمقاييس العصر الحاضر . لان محاكمة الاحداث يجب ان تجري بظروفها ، وباطار حركة المجتمع آنذاك ، والوثائق هي التي تحمل الاحداث وتنقلها كما كانت» .

من هذا المنطلق ، ومن هذا المفهوم الجديد ، بدأتُ أسطّر صفحات هذا الكتاب ، لألقي الاضواء الساطعة على سيرة «ملك» حكم العراق حقبة من الزمن .. ولاسلط الانوار الكاشفة على حياته ، وحياة من تأثر بهم من أهله وذويه .

فالكتب التي تناولت حياة «الملك فيصل الثاني» وسيرته شحيحة ، ان لم تكن معدومة !

وكانت الانظمة . التي حكمت العراق ، في «عهده الجمهوري» قد فرضت تعتيماً اعلامياً ، على كل مايكتب عن «العهد الملكي» وسيَر ملوكهِ ورجالاتِه .. وظل الجيل الجديد المعاصر لايفقه شيئاً عن الماضي القريب ، وليس له علم به .

وظل المخضرمون – الذين عاشوا تلك الحقبة ، يجترّون ، في المجالس والنوادي ، الذكريات ، ويتحدثون عن ماضيهم العتيد ، بالحسرة والأسى ! !

واليوم – وفي عهد صدام حسين – وبعد أن أطلق «النور الأخضر» – لكتابة تاريخنا الحديث – استُلت الاقلام من مغامدها ، وبدأ «الحبر» يخط سطوراً . ودارت المطابع الحديثة ، ذي التقنية العالية ، لتلد كتباً أنيقة ، تتحدث عن ماضينا القريب والبعيد ، فتتلقفها العيون قبل الايادي ، مُسرعة الى قرائتها بنهم !

لقد سألني مرة ، أحد ابناء الجيل المعاصر من الشباب ، قائلاً :

• هل كان الملك فيصل الثاني بليداً وخاملاً .. ؟ !

• وهل صحيح – كما قال عنه أحد الكُتّاب – (ان شخصيته كانت مهزوزة ، خائفة ، يلاحقه الشعور باليُتم ، والحاجة الى ولي أمرٍ .. وان خاله الامير عبد الاله كان يسيطر عليه ، حتى اخر لحظة من حياته ، ويُسيّره وفق اهوائه ..)» ؟ !

وللرد على تلكمُ التساؤلات . وغيرها مما يشابهها . بدأتُ أخرى عن شخصية هذا الملك . وتفاصيل حياته . وأُنقِّبُ عن مصادر ترسم ملامحه كاملة من دون رتوش . وبلا تزويق !

لقد عشنا - نحن جيل الخمسينات من هذا القرن - معارضين الطبقة الحاكمة ومناهضين لسياستها التي أرتبطت بالاحلاف الاستعمارية ..

وكان على رأس تلك السلطة . ملكٌ بلا سلطة !

هكذا كنا نراه . ونلمس تصرفاته . التي هيمن عليها خاله الامير عبد الاله . وتركه متربعاً فوق العرش «لايحل ولايربط» ! اني لم أكتب هذا الكتاب . لأسرد القصص عن «الملك فيصل الثاني» . بل أكتفيت بسرد الجوانب المهمة من حياته . وأفردتُ فصولاً عن الذين تأثر بهم . من قريب او بعيد !

• فجدّه الملك فيصل الاول . أدى دورا مهماً واساسياً في تكوين المملكة العراقية . وهو لايزال في عالم الغيب . ورحِم القدر !

• ووالده الملك غازي . سجل دوراً وطنياً وقومياً رائعاً في مسرح الاحداث . وسقط مضرجاً بدمائه . بمؤامرة أجنبية دنيئة . وهو لايزال طفلاً صغيراً !

• ووالدته الملكة عالية . ربتّه . وحَنت عليه . بكل أمومتها . وتركته الى رحمة الله . وهو لايزال فتىً . لم يقوَ عوده بعدُ !

• وخاله الامير عبد الاله . الذي هيمن على سياسة العراق . مايقرب من عشرين عاماً . ولعبت به الاهواء والمصالح والايادي الاجنبية . ولم يُفسح لأبن أخته ان يتعلم شؤون الحكم . او ان يحكم بمفرده بعد تسنمه سلطاته الدستورية . فكان السبب الرئيس والمباشر لان ينتفض الشعب العراقي عليه . ويطيح به . وبمليكه . وبعائلته . وبنظام حكمه . الى غير رجعة !

ان هذه الصفحات التي سطّرتها - بعد عناء كبير . وجهد جهيد . واستقصاء لسبر كُنه الاسرار . واستقراء الاحداث . واستنباط مجريات الأمور . هي ليست بحثاً «اكاديمياً» او دراسة «جامعية» . بل هي جمع معلومات من مصادر عديدة . كتبت بأسلوب أقرب الى التاريخ . او السرد التاريخي . منه الى الكتابة الصحفية . أو أنه الاثنان معاً .

فقد تجتمع بين الصحفي والمؤرخ . أكثر من صفة . يستطيع بها مريدها ان يصل الى الحقيقة المختفية او المستورة . وراء الواقع وبين السطور . ويكشف البراقع عنها . ويُسلّط الاضواء عليها . بأسلوب سهلٍ . ممتنع . موثّق !

ان هذه الصفحات ، هي سيرة ملك عراقي ، وعائلته ، بوجهيها السلبي والايجابي ، المُظلم والمنير ، الحلو والمُر ، الخير والشرير .. كتبتها بحيادٍ وتجرد ، كي يطلع الجيل المعاصر عليها ، وليعرف الشيْ الكثير الواضح ، عن ذلك المليك الشاب الذي تربع عرش بلاده ردحاً من الزمن ، من دون سلطة فعلية !

لقد كان في لحظات عمره الأخيرة ، مُتهيأً لمغادرة عاصمة ملكه ، الى تركيا ، لملاقاة خطيبته ، ولحضور اجتماعات رؤساء الدول الاسلامية الاربعة في ميثاق بغداد ، صبيحة يوم الاثنين الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ .. بيد ان القدر كان له ولعائلته بالمرصاد . فسقطوا قتلى جميعاً مضرجين بدمائهم في ذلك الصباح اللاهب عند مدخل قصر الرحاب ..

وأنتهت الملكية في ذلك اليوم التاريخي الحاسم في العراق .

والله من وراء القصد .

بغداد - تشرين الثاني ١٩٨٧



مقدمة..

قيام المملكة العراقية

اذاع الجنرال «مود» القائد العام للقوات البريطانية في العراق – بعد اقتحامه بغداد في اليوم التاسع عشر من اذار (مارس) ١٩١٧ منشوره الشهير على اهالي بغداد قال في آخره : «ان غاية أنكلترا وحلفائها . ان لاتذهب دماء هؤلاء العرب وجهادهم سدى ، بل ان الحلفاء كافة يتمنون للعنصر العربي ان يستعيد ما كان عليه من المجد والشهرة بين أمم الارض ، وهو لاريب منضم من اجل هذه الغاية الى دول التحالف»

ولكن – الانكليز – ماكاد حكمهم يستتب في العراق ، حتى ألحقوا أدارته بحكومة الهند ..

أستنكر العراقيون هذا الأمر . وذكروا الانكليز بأنهم لم يحاربوا الى جانبهم ، الا طمعاً في الاستقلال التام ..

فأبى الانكليز ان يصغوا الى تلك المطالب والنداءات ، بل اعاروها اذنا صماء .. فقرر العراقيون عندئذٍ ان يثوروا على الانكليز ، لتيل حقوقهم واستقلالهم .

وفي ٣٠ حزيران ١٩٢٠ تطايرت الشرارة الاولى من نار الثورة العراقية على ضفاف الفرات .. ومن ثم عمّت سائر البلاد .

لقد شعرت الحكومة البريطانية ان هذه الثورة قد كلفتها الغالي من الأنفس والاموال ، وبان الحكم المباشر في العراق غير مُجدٍ ، فهو يتطلب نفقات باهظة ، أرهقت دافع الضريبة البريطانية ، وسببت للحكومة البريطانية القائمة انذاك الانتقادات المباشرة والعنيفة في مجلس العموم البريطاني .

وكـان فريق من الانكليز يرى ان من مصلحة بريطانيا ، ان تتكون دولة عربية في العراق الموحّد ، وستكون هذه الدولة بحكم الضرورة وطبيعة الاشياء ، تحت السيطرة البريطانية الى أمدٍ بعيد . وقد أصابت هذه الفئة من حكومة «وايت هول» اذناً صاغية ، واقرّ «اللورد كرزن» – وكانت شؤون العراق مناطة به – هذه السياسة منذ منتصف عام ١٩٢٠ .

وكان المستر «ونستون تشرشل» وزيراً للمستعمرات يومئذٍ - فقدم مصر واجتمع فيها بنخبة من كبار رجال العراق . وبعض كبار الموظفين الانكليز في العراق ، وبحث معهم احوال العراق بحثاً دقيقاً . أنتهى باستقرار القرار على ترشيح فيصل لعرش العراق . على أن تنشأ فيه حكومة عربية - وكان ذلك في اذار ١٩٢١ .

وكتب «تشرشل» الى فيصل - الذي كان يقيم يومئذٍ في ايطاليا بعد خروجه من سوريا - يدعوه الى لندن . ليُخبره بما أستقر عليه الرأي في القاهرة على ترشيحه لعرش العراق .

وبعدها وقف المستر تشرشل في مجلس العموم البريطاني في ١٤ حزيران ١٩٢١ والقى بياناً مطولاً عما تمّ في «مؤتمر القاهرة» وقد جاء فيه :

«وقد بلغت حكومة صاحب الجلالة البريطانية الأمير فيصلاً انها لاتعارض في ترشيحه . وانه اذا تمّ انتخابه . فالحكومة البريطانية تؤيده . وهو الان في طريقه الى البصرة . ولاشك في انه إذا أنتخب فيصل . نكون قد توصلنا الى حلٍ فيه مستقبل ناجح سعيد» ! !

وكان فيصل قد أشترط - عندما عرض عرش العراق عليه - شرطين جوهريين :

الاول - ان تعترف الحكومة البريطانية باستقلال العراق ، وان تساعد العراقيين على إنشاء حكومة وطنية مستقلة ذات سيادة .

الثاني - ان يلغى الانتداب عن العراق . وكان مفروضاً عليه بقرار من مؤتمر الحلفاء في سان ريمو .

قبلت الحكومة البريطانية هذين الشرطين ، وتعهدت بتنفيذهما !

وكان الامير فيصل قد أستقل يوم ١٢ حزيران ١٩٢١ من «جدة» الباخرة البريطانية «نورث بروك» - بعد أن زار والده الملك حسين في الحجاز - قاصداً البصرة .

وقد صحب الامير فيصل في الباخرة «المستر كورنواليس» ، الذي عُيّن بعد تتويج الامير فيصل ، مستشاراً خاصاً له ، ثم اسندت اليه «مستشارية وزارة الداخلية» .

كما كان مع الامير فيصل سكرتيره الخاص رستم حيدر ، وبعض زعماء العراق الهاربين!

وفي اليوم السابع عشر من شهر شوال عام ١٣٣٩ الهجرية المصادف ٢٣ من شهر حزيران ١٩٢١ الميلادية - رست الباخرة «نورث بروك» في ميناء البصرة ، فاستقبل الامير الهاشمي استقبالاً حاراً . ثم تابع سفره الى بغداد .

وصل الامير فيصل بغداد يوم ٢٩ حزيران ١٩٢١ الموافق ٢٣ شوال ١٣٣٩ هجرية.

استطاع الامير فيصل ان يذلل الصعوبات التي قامت في سبيل تتويجه ملكا على العراق ، واقترح ان يتم تتويجه يوم ٢٣ آب ١٩٢١ ، الموافق ١٨ ذي الحجة ١٣٣٩ .

فلم ير المندوب السامي البريطاني مانعاً من قبول هذا الاقتراح ! !

وأبرقت وزارة المستعمرات البريطانية الى مندوبها في بغداد ، في منتصف شهر آب من هذه السنة ، ان يُعتبر الامير فيصل (حاكماً) على العراق - Covernor - وليس (ملكاً) كما يريد .. ! !

ولكن المندوب السامي عارض هذا الطلب ، وأصرّ على وجوب اعتباره كملك دستوري «King» !

ثم طلبت الوزارة المذكورة (المستعمرات) الى المندوب السامي ان يوعز الى الامير فيصل ان يذكر في خطبة التتويج ، بان السلطة العليا في العراق ، ستكون للمندوب البريطاني ، دون الملك العربي !

ولكن الامير فيصل أحتج من فوره على عدم إمكانه الاستمرار على العمل . وقد شرح المندوب السامي لوزارة المستعمرات الأثر السيء الذي سيتركه هذا التصريح على اهل البلاد ، وعلى فيصل نفسه ، وأعترف بان استخدام طرق ملتوية اخرى قد يؤدي الى سيطرة كافية .. ! !

وحل يوم ١٨ ذي الحجة ١٣٣٩ – ٢٣ آب ١٩٢١ ، فأقيمت حفلة التتويج في ساحة «برج الساعة» – السراي (القشلة) ببغداد .

وفي الساعة الثامنة صباحاً من هذا اليوم أقبل الامير فيصل يحيط به «السير برسي كوكس» المندوب السامي البريطاني ، و «الجنرال هالدن» قائد القوات البريطانية في العراق ، و «الكولونيل كورنواليس» المستشار الخاص للأمير ، ففتش حرس الشرف المُعد للتحية ، ثم جلس في المقعد المعُد له ، وجلس عن يمينه المندوب السامي ، وعن يساره القائد العام البريطاني !

وبعد لحظات ، ناول المندوب السامي ، حسين أفنان سكرتير مجلس الوزراء بلاغاً تلاه على الجماهير المحتشدة ، هذا نصه :

«منشور من فخامة السير برسي كوكس ، الحامل للوسام الأكبر للامبراطورية الهندية ، ووسام نجمة الهند العالي من درجة فارس ، ووسام القديس ميخائيل ، والقديس جرجس السامي من درجة فارس ، المندوب السامي لجلالة ملك بريطانية – الى الأمة العراقية ، بواسطة ممثليها الحاضرين .

لقد قرر مجلس الوزراء باتفاق الاراء ، بناء على اقتراح سمو رئيس الوزراء ، المناداة بسمو الامير فيصل ملكاً على العراق في جلسته المنعقدة في اليوم الرابع من شهر ذي القعدة من سنة ١٣٣٩هـ الموافق ١١ تموز سنة ١٩٢١ على ان تكون حكومة سموه حكومة دستورية نيابة ديمقراطية مقيدة بالقانون . وبصفتي مندوباً لجلالة ملك بريطانيا ، رأيت ان أقف على رضى الشعب العراقي البات ، قبل موافقتي على ذلك القرار ، فأجري التصويت العام برغبة مني ، وأسفرت نتيجة التصويت على أكثرية ٩٧٪ (في المائة) من مجموع المنتخبين المتفقين على المناداة

بسمو الامير فيصل ملكا على العراق ، وان حكومة جلالة ملك بريطانيا قد أعترفت بجلالة الملك فيصل ملكاً على العراق .. فليحيي الملك» .

ولم يكد سكرتير مجلس الوزراء ينتهي من تلاوة بلاغ المندوب السامي . حتى وقف السيد محمود النقيب – أكبر انجال عبد الرحمن النقيب (الكيلاني) رئيس الوزراء ، والقى دعاءً موجزاً بمناسبة هذا الحدث التاريخي . ثم اطلقت المدافع ٢١ طلقة تيمناً بهذه المناسبة .

ثم نهض الملك فيصل الاول ، فألقى خطاباً ، أستهله بشكر العراقيين على مبايعته مبايعة حرة (!!) ، وحيا أبناء النهضة العربية الذين استبسلوا مع ابطال الحلفاء (!!) . وذهبوا ضحية أوطانهم العزيزة ، وشكر الانكليز على جميل معروفهم (!!) ، وحث الناس على الاتحاد والتآلف ..

وبعد أن أنتهى الملك فيصل الاول من القاء «خطاب التتويج» ، قدم اليه المندوب السامي البرقية التي كان قد طيّرها جورج ملك بريطانيا ، يبارك فيها ارتقاءه عرش العراق ويُذكّره بأمر المعاهدة التي ستعقد بين الطرفين لتحل محل الانتداب .

رد الملك فيصل على تلك البرقية شاكراً (على ما أسداه وشعبه البريطاني من الايادي البيضاء في تحقيق آمال العرب) ، وأكدَّ ان المعاهدة التي ستعقد بين الطرفين قريباً (ستؤكد صلات التحالف التي شيدتها دماء العرب والبريطانيين الممتزجة في ميادين الحرب الضروس) !!

وكان والد الملك فيصل الاول ، الشريف حسين بن علي الهاشمي ، شريف مكة – قد أعلن «الثورة العربية» – هكذا كان يسمونها – في عام ١٩١٦ ، وخاض مع أبنائه وقبائله وأنصاره وحلفائه من ابناء الاقطار العربية غمار الحرب العالمية الاولى ، ونودي به ملكاً على الحجاز ، بل ملكاً على «العرب» . ووضعت بالاتفاق مع الحلفاء تلك الخطة التي قصد بها «تحرير» الاقطار العربية من الحكم العثماني (التركي) . وإنشاء دولة عربية كبرى ، يترك أمر تقرير مصيرها ونظام الحكم فيها الى العرب أنفسهم .

ولكن العالم يعرف كيف تطورت السياسة بعد انتهاء الحرب ، وكيف تقاسم الحلفاء بينهم مناطق النفوذ في الاقطار العربية ، فبقي الملك حسين بن علي ملكاً على الحجاز فقط ، دون سواه !!

وللحسين أربعة أبناء : علي ، وفيصل ، وعبدالله ، وزيد .

لم يكن في وسع الملك حسين بن علي الاستغناء عن إبنه الأكبر الامير علي ، الذي نودي به ولياً للعهد في الحجاز .

ولم يلعب ابن الملك حسين البكر ، دوراً هاماً في الحرب العالمية الاولى . فقد كان يحاصر المدينة ، حيث أعتصم القائد التركي «فخري باشا» ويهاجم مواقع الاتراك من وقت لآخر .

وعلى أثر استيلاء «الوهابين» على مكة المكرمة ، وتنازل الملك حسين عن عرشه . وسفره الى قبرص ، جلس ابنه علي على عرش الحجاز ، واضطر هو ايضاً بعد مدة وجيزة الى التخلي عن عرشه ، وحلَّ ضيفاً على أخيه الملك فيصل الاول !

وكانت المفاوضات دائرة لأنشاء مملكة ، او على الاقل إمارة عربية ، يجلس على عرشها رابع ابناء الحسين ، الامير زيد ، بحيث يصبحون جميعاً من اصحاب العروش !

لكن الحوادث تطورت بصورة غير منتظرة ، وهاجم الفرنسيون دمشق ، وأنتصروا في «ميسلون» ، وانهار العرش السوري ، وغادر فيصل الاول ، الذي نصُب ملكاً على سوريا ، ملكه الى اوربا ، رافعاً صوته بالاحتجاج !

وعاد من اوربا .. ملكاً على العراق !

ولكن اخاه الامير عبدالله كان قد بويع بالملك في بغداد ، غير أنه نزل على ارادة الشعب ، وترك الطريق حراً امام اخيه فيصل ، وكان يحبه ويحترمه كثيراً .. فجلس فيصل على عرش ، كان مقرراً ان يجلس عليه عبدالله ! !

ولم يَعُد في الامكان إنشاء إمارة لأصغر ابناء الحسين ، الأمير زيد ، فجلس الامير عبدالله على عرش «إمارة شرقي الاردن» بدلاً من أخيه . وبقي زيد بعيداً عن السلطة والحكم !

وهكذا ، جرت رياح السياسة البريطانية..سياسة وزارة المستعمرات البريطانية ! !

ففي عام ١٩١٨ – وبعد ان وضعت الحرب العالمية أوزارها ، كان كل شيء يدل على ان ابناء الحسين بن علي جميعهم سوف يجلسون على العروش التالية :

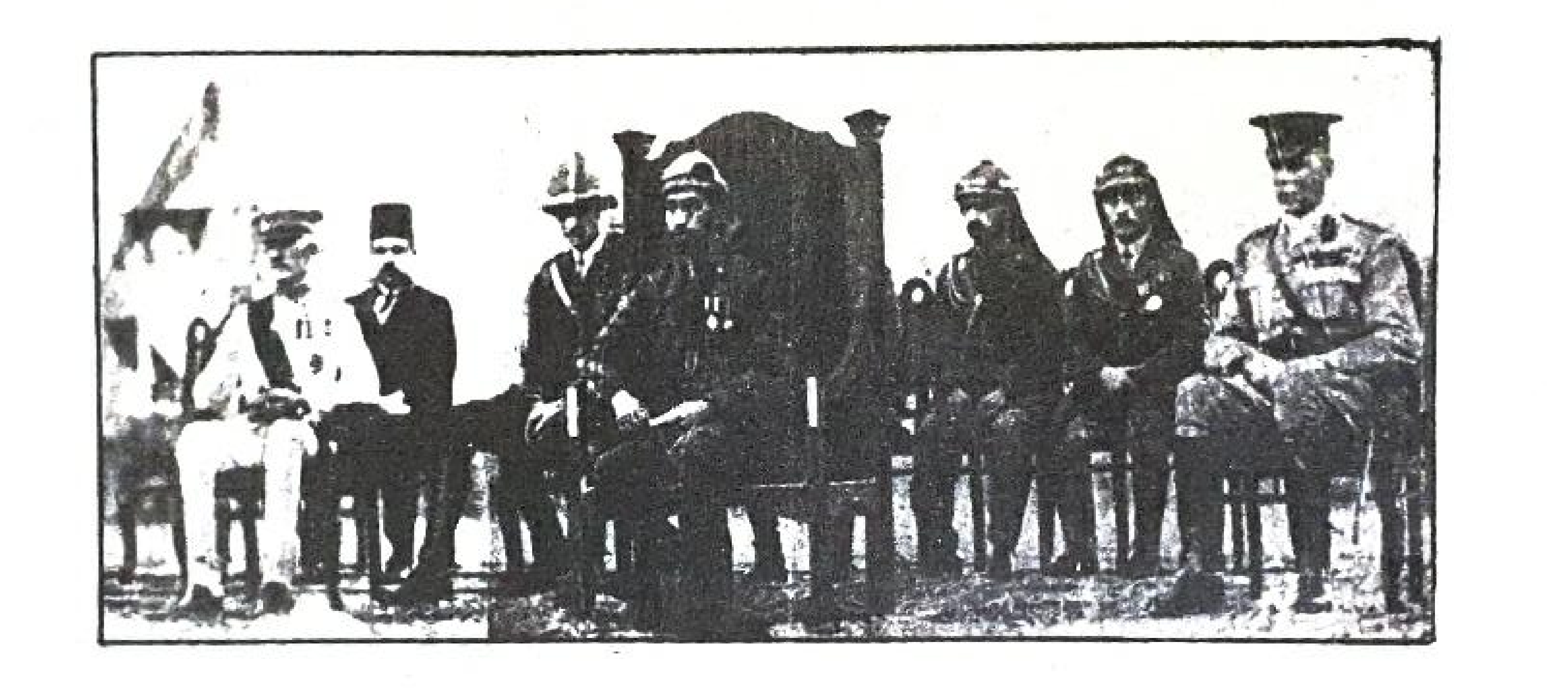
- الملك علي ، في الحجاز ، بعد أبيه .
- الملك فيصل ، في سوريا .
- الملك عبدالله ، في العراق .
- الامير زيد في شرقي الاردن .

ولكن السياسة ، وماترتب على سيرها من حوادث فجائية (او مرسومة مسبقاً في لندن) غيرّت هذا الترتيب وبدلته كالاتي :

- الملك علي ، في الحجاز ، بعد تنازل أبيه .
- الملك فيصل ، في سوريا ، ثم العراق .
- الامير عبدالله ، في شرقي الاردن .
- الامير زيد ، بلا إمارة ، ينزل ضيفاً على اخيه فيصل .
- الملك علي ، بلا مملكة ، على أثر انتصار الوهابيين في الحجاز .

وهكذا لم يبق على العرش من ابناء الحسين ، غير الملك فيصل في بغداد ، والامير عبدالله في عمان !





الملك فيصل الاول في حفلة تتويجه ملكاً على العراق .



جده

الملك فيصل الاول

الملك فيصل الاول

ولد فيصل في مدينة «الطائف» بالقرب من مكة المكرمة في يوم ٢٠ مايس عام ١٨٨٥ (١٣٠١ هجرية) . ونقل في اليوم الثامن من ولادته الى «عرب عتيبة» في خارج المدينة للرضاع ، عملاً بتقليد هاشمي قديم ، يبدأ بالنبي العربي محمد بن عبد الله «ﷺ» ، الذي أرضعته حليمة السعدية ، من عرب بني سعد ، فدرج في الخيام ، وترعرع في حضن البادية ..

وعندما بلغ السادسة من عمره ، أرسل الى قرية «رحاب» فمكث فيها ، بين أبناء عمومته واخواله ست سنوات ، يركب الخيل والأبل ، ويكر ويفر ، حتى اذا اعتزم والده السفر الى الاستانة «اسطنبول» عام ١٨٩٦ . أخذه واخوته معه ، فتعلم العربية والتركية وبعض العلوم ، على اساتذة خصوصيين .

نزلوا في الاستانة ، بناء على اوامر السلطان عبد الحميد ، في قصر الدلي فؤاد باشا في استينة ، وقد خصصه السلطان لهم ، وعيّن والده عضواً في مجلس شورى الدولة في نفس هذه السنة١٨٩٦ .

عاش فيصل في العاصمة العثمانية نحو عشر سنوات ، وفيها تزوج بأبنة عمه ، «حزيمة» ابنة الشريف ناصر بن علي عام ١٩٠٥ .

وفي عام ١٩٠٨ غادر فيصل الاستانة الى مكة المكرمة ، حين عُين والده شريفاً لها ..

عاد فيصل الى الحجاز ، وقد أكتملت رجولته ، فأدناه والده منه ، وولاّه قيادة الغزوات التي كان يقوم بها لاخضاع القبائل وتأديبها .

وفي عام ١٩٠٩ أُنتخب نائباً عن «لواء وجده» في مجلس النواب العثماني ، فكان يذهب كل سنة الى الاستانة ليشترك في اعمال البرلمان ؛ ثم يعود بعد انقضاء دورته فينضم الى والده ويساعده في ادارة منصبه . وكثيراً ما كان يمر بالقاهرة في ذهابه وايابه ليجتمع بقادتها ومفكريها .

ولما ثار محمد الادريسي على الدولة العثمانية في «تهامة» عام ١٩١١ مغتنماً فرصة أشتباكها في الحرب مع الطليان — وهم ساعدوه ومدوه بالاسلحة — أضطرب موقف الدولة في اليمن ، فاستنجدت بالشريف حسين أمير مكة ، طالبة مساعدته في التنكيل بالادريسي ، فلم يتردد في تلبية الطلب ، وجنّد حملة بقيادة نجليه : عبدالله وفيصل ، سارت من مكة حتى آبها «عاصمة عسير» فطردت انصار الادريسي ، وكانوا يحاصرونها ، وخضدت شوكته ، واعادت تلك البلاد الى الدولة ..

وفي ٢١ آذار ١٩١٢ ولد ابنه «غازي» في مكة المكرمة .

زار فيصل سورية للمرة الاولى عام ١٩١٣ ، فقد خاف ولاة الامور الترك ان يهاجم البدو المحمل الشامي في عودته من الحجاز الى الشام ، فرافقه على رأس قوة من الجند لحمايته . فلم يحدث له حادث . وأقام مدة في دمشق ، فتعرّف على رجالها ومفكريها ودعاة الوحدة العربية من ابنائها . مما سهّل له العمل بعد ذلك !

وجاءها ثانية في عام ١٩١٥ في طريقه الى الاستانة . وقد أختار السفر بهذا الطريق دون البحر . لان الحلفاء ضربوا الحصار على موانئ تركيا من ابتداء الحرب العالمية عام ١٩١٤ ، ومنعوا دخول البواخر اليها وخروجها منها ، لما اظهرته من ميلٍ الى الالمان . وقد دخلت الحرب الى جانبهم بعد ذلك .

وبعد ان ختمت الدورة البرلمانية ، عاد فيصل ثانية الى دمشق ، واقام ضيفاً عند آل البكري . وقيل ان الترك ارادوا من اقامته في دمشق ، ان يكونوا الى جانب احمد جمال باشا ، القائد العام في سوريا يومئذٍ ، فيساعده في حملته على مصر ، وقيل انهم ارادوا ان يكون رهينة لديهم لكي يأمنوا انتقاض والده .

أقبل رجال الشام ومفكروها واعيانها عليه يدعونه الى اقناع والده بأعلان الثورة على «الاتحاديين» وخلع طاعتهم . وانشاء دولة عربية ، لما ظهر من سوء نية هؤلاء ، وتعمدهم اذلال العرب باعدام مفكريهم وادبائهم والصفوة المختارة من رجالهم ، وبنفي عائلاتهم الكبيرة الى اقاصي الاناضول .

تردد فيصل في قبول القيام بهذه المهمة . ونصح رجال الجمعيات والاحزاب والمفكرين الذين حادثوه بالتأني والتروي ، خوف وقوع الكارثة . وخوف تمكن الاجانب من احتلال البلاد . كما سعى من جهة اخرى عند جمال باشا المعروف (بجمال السفاح) لاقناعه بالعدول عن سياسية الشدة والارهاب والبطش . واتباع خطة اللين والمسالمة . وعدم شنق المفكرين والاحرار ونفي الأسر ، فلم يزده ذلك الا اندفاعاً في خطته الدموية !

غادر فيصل دمشق في النصف الاول من شهر مايس ١٩١٦ قاصداً مكة المكرمة بطريق المدينة المنورة للاجتماع بوالده ، واطلاعه على رأي السوريين ، ووصف حالتهم وابلاغه ما يلاقوه من عنتٍ وإرهاق . وما كان بغافل عما يجري ، بل كانت المكاتبات والرسائل مستمرة بينهما . وكان الترك يرجون ان يعود بسرعة على رأس جيش من عرب الحجاز ليشترك في الحملة الثانية . وكانوا يعدونها للزحف على قناة السويس .

ومعنى ذلك : انه كان يرمي الى غرضين متناقضين من رحلته : غرض رسمي ظاهر ، وهو العودة بجند للاشتراك في الحملة التركية . وغرض خفي مضمر ، وهو وصف حالة سورية لوالده ، وابلاغه دعوة السوريين الموجهة اليه لاعلان الثورة وانقاذهم ..

وأجتمع في المدينة المنورة بشقيقيه : علي وعبدالله . وقضوا ثلاثة ايام يبحثون الحالة ، ثم سافروا الى مكة المكرمة ..

أعلنت الثورة العربية بعد سفرهم في ٩ شعبان ١٣٣٤ الموافق ١٠ حزيران ١٩١٦ . وعُهد الى الامير فيصل قيادة القوة العربية في «المدينة» . وكانت مُحصّنة يتولاها فخري باشا . وفيها من العُدد والتجهيزات مالا قبل للعرب على اقتحامها !

دبّر فيصل الأمر . واتفق مع الحلفاء على تجنيد جيش من أسرى العرب الذين كانوا في صفوف الترك . يقودهم ضباط مدربون . فتمّ تاليف هذا الجيش . وسافر نحو الشام . فدخلها في اول تشرين الاول ١٩١٨ بدون كبير عناء . واصدر أمراً بتعيين علي رضا الركابي . حاكماً اداريا للمنطقة السورية . فلم يحظ هذا التعيين برضى الفرنسيين . ولايرضى الانكليز . ولايرضي الاهليين ! !

وفي يوم ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٨ أبحر الامير فيصل من بيروت الى باريس لحضور «مؤتمر الصلح» دون ان يحصل على موافقة السلطات الفرنسية في سوريا . فتنكر له الفرنسيون . وعرقلوا مساعيه .

وبناءً على وساطة المستر لويد جورج . فقد قُبل في المؤتمر . وأدى رسالته !

عاد الى بيروت فبلغها يوم ٣٠ نيسان ١٩١٩ . وحاول ان يوّحد صفوف السوريين ويحصل على تأييدهم . فلم يلق غير الجفاء وعدم الاكتراث !

سافر الى لندن في اواخر ايلول من السنة نفسها . بعد ان تطورت السياسة الانكليزية – الفرنسية . في البلدان العربية فلم يجد الانكليز مايحملهم على تبديل الخطة المقررة في باريس !

وعقد اتفاق فيصل - كلمنصو . فكان خير مايمكن ان تحصل سوريا عليه يومئذٍ .

فلما عاد الامير فيصل الى بيروت في ١٤ كانون الثاني ١٩٢٠ أُتهم بممالأة الفرنسيين ورأى المتطرفون ان يجعلوا حكومات اوربا امام الامر الواقع ، فنادوا به ملكاً على سوريا في يوم ٨ مارت (اذار) ١٩٢٠ . فلم يرقْ ذلك للفرنسيين ايضاً ، وصاروا يتربصون به الدوائر . حتى زحف الجيش الفرنسي على دمشق يوم ٢٤ تموز ١٩٢٠ بقوده «الجنرال غورو» فقوضّ اركان «الحكومة الفيصلية» . فأضطر فيصل للسفر الى «درعا» في فجر اليوم الثامن والعشرين من الشهر المذكور . ولكن السلطات الفرنسية أنذرته بوجوب مغادرة هذه القصبة ، فغادرها الى «حيفا» في اول آب ، وذهب الى «بور سعيد» ، ثم ركب البحر الى «ميلانو» الايطالية . فمكث فيها مدة من الزمن .

وكانت «الثورة العراقية» تستعر بشدة ، والانكليز بأشد الحاجة الى من يطفئها . ويشكل حكومة عربية في البلاد ، فدعي فيصل الى «لندن» فوصلها في اليوم الاول من كانون الاول ١٩٢٠ . واتصل باقطابها وساستها ، واجتمع بملكها ، وبرئيس حكومتها ، فتم الاتفاق على توليته «عرش العراق» لقاء شروط محددة !

غادر فيصل لندن الى بور سعيد في ٣١ اذار ١٩٢١ ، فذهب الى «جدة» و «مكة» حيث قابل والده ، وعرض عليه نتائج مباحثاته . فبارك له أبوه ذلك المسعى وتمنى له النجاح .

وتحرك فيصل الى العراق ، فبلغ البصرة في ٢٣ حزيران ١٩٢١ ، وجاء الى بغداد في ٢٩ من الشهر نفسه .

وفي يوم ٢٣ آب ١٩٢١ نودي به ملكاً دستورياً على العراق .

واختلفت الاراء في (الملك فيصل الاول) بين مادح وقادح ..

لقد كان دعاة الثورة العراقية قد اشاروا في مذكراتهم ومطاليبهم ومقابلاتهم ، وفي اكثر من مدينة عراقية : «ان يكون تاج العراق لأحد انجال الشريف حسين . وفي الحقيقة - كما يقول الاستاذ عبد الرزاق محمد أسود في موسوعة العراق السياسية - كان البيت الهاشمي ولاسباب عديدة أفضل البيوت لاختيار أمير منه لعرش العراق ، وذلك لمقامه الديني ، وانتسابه الى ذروة المجد ، ولما قام به حسين شريف مكة من اعلان الثورة والمطالبة باستقلال العرب» .

وقال أمين الريحاني : «أساء الناس فهم موقف الملك فيصل في تلك الايام .
فلم ينصفه الانكليز ، ولا أنصفه العراقيون . قال الانكليز اصدقاؤه انه انقلب عليهم بعد التتويج . وقال المتطرفون انه يخدم مصالح الانكليز ويعمل بأوامرهم» !

وقال ساطع الحصري : «انه كان ذكيا حاد الذكاء ، ومرناً خارق المرونة . كان يتمتع بحيوية شديدة وفعالية لاتعرف الكلل . وكان نادر المثال في روح المثابرة ، وفي شيمة التعقيب . وفوق كل ذلك كان يحمل في طيات جنبه وطنية حارة عميقة تدفعه الى العمل في سبيل الوطن بدون انقطاع ، وتجعله مستعداً لتضحية كل ماهو عزيز عند الاقتضاء . وما كان يقنط من مرارة الخيبة ، ولا كان يسكر من حلاوة الفوز» !

وقال الشاعر احمد شوقي في مدحه :

يا شراعاً وراء دجلة يجري ... في دموعي تجنبتك العوادي
سر على الماء كالمسيح رويداً ... وأجر في اليم كالشعاع الهادي
وأت قاعاً كرفرف الخلد طيبا ... او كفردوسه بشاشة وادي
قف تمهل وخذ أماناً لقلبي ... من عيون المها وراء السواد
والنواسي والندامى أمنهم ... سامر يملأ الدجى او ناد
خطرت فوقه المهارة تعدو ... في غبار الاباء والاجداد
أمةٌ تنشئُ الحياة وتبني ... كبناء الابوة الامجاد
تحت تاجٍ من القرابة ... والملك على فرق أريحي جواد
ملكُ الشط والفراتين والبطحـ ... ـاء أعظم بفيصل والبلاد

وقال الشاعر معروف الرصافي – وكان من القادحين المعارضين لسياسة الملك فيصل الاول :

لنا ملكٌ وليس له رعايا وأوطان وليس لها حدودُ
وأجناد وليس لهم سلاح ومملكة وليس لها نقودُ

وقال الشاعر رشيد الهاشمي في احدى الحفلات التي اقيمت في الكاظمية :

بالابس التاج تاج الملك هنيئا إن كنت حقا الى استقلالنا جيتا
نحن الذين بنينا من جماجمنا عرش المليك وثبتناه تثبيتا
شيخ الوزارة ميتٌ لاحراك به ان جئت مجلسه تلقاه تابوتا

واشارت مصادر أخرى :

١ – كان الملك فيصل الاول يطبق سياسة مرنة تعتمد على المساومة مع بريطانيا . وهي سياسة وصفها بقوله الشهير (خُذ وطالِب) . وكان يعتقد بان في إمكان هذه السياسة ان تؤدي في نهاية المطاف الى استقلال العراق استقلالاً تاماً .

وكان يتوخى من ذلك مايمكن ان يسمى بسياسة تحقيق الاستقلال تدريجياً . وكان يستعين بالمعارضة للضغط على بريطانيا

٢ – لقد برهن الملك فيصل الاول بعد بضع سنوات من اعتلائه العرش . انه ذو شخصية محترمة ، وخبرة سياسية . وانه يمتلك موهبة في البقاء السياسي رغم الظروف الحرجة .

وبعد عام ١٩٣٠ تناقص عدد العراقيين الذين كانوا يشككون في إخلاص الملك فيصل الاول لخدمة بلده» .

وبعد حكم قارب الاثني عشر عاماً . وجه ملك انكلترا الدعوة الى الملك فيصل الاول لزيارة لندن . فقبلها .

وفي ٥ حزيران ١٩٣٣ غادر بغداد فوصل لندن في ٢٠ حزيران مبحراً من الاسكندرية .

وبعد انتهاء الزيارة الرسمية غادر لندن الى اسكوتلاندا . فزار «أبردين»((٥)) . ثم فرنسا . ومنها الى «برن» في سويسرا للعلاج ..

ولما حدث التمرد الاثوري . عاد الى بغداد فوصلها في ٢ آب ١٩٣٣ للعمل على وضع حد للمشكلة !

ولكنه وجد ان كل شيء قد أنتهى . وان الأمر قد خرج من يديه تماماً . وأصابه الاضطراب الذي أدى فقدانه النوم . وخانته شهيته . فراح يتطلع الى الراحة عن طريق الافراط في

«٥» شاهدت توقيع الملك فيصل الاول في سجل الزيارات لهذه القلعة التاريخية عند زيارتي لها عام ١٩٨٠ – المؤلف

التدخين . وتدول القهوة بكثرة !
لذا فأنه غادر بغداد ثانية لمواصلة العلاج ..

ووصل العاصمة السويسرية في ٣ أيلول . وفي ٧ أيلول ١٩٣٣ شعر الملك فيصل الاول بألم شديد . ولما حضر الطبيب الخاص أشار على الممرضة بزرقه أبرة تحت الجلد . فاستراح الملك ، وأذن لحاشيته بالانصراف .
وفي الساعة الحادية عشرة والنصف من مساء ذلك اليوم أستدعى الملك ممرضته وطلب اليها ابلاغ الحاشية بالحضور حالاً ..

فصعد اليه «الملك علي» شقيقه الأكبر ، ونوري السعيد ورستم حيدر وتحسين قدري ووجدوه يلفظ انفاسه الأخيرة !

وفي صباح يوم الجمعة ٨ أيلول ١٩٣٣ اذاعت الحكومة العراقية البلاغ الرسمي الاتي :

«فجعت الامة عند منتصف ليلة الجمعة بوفاة سيدها وباني مجدها جلالة الملك فيصل الاول وذلك نتيجة نوبة قلبية . وشاءت الاقدار الالهية ان تحرم البلاد في أشد ساعاتها من قيادة مؤسس الدولة وزعيمها المحبوب . كان الله في عون الجميع على هذا المصاب الجلل» .

واذاع الفيلد مارشال (اللنبي) في اليوم الذي أعقب وفاة الملك فيصل المفاجئة ، الكلمة الآتية :
«كان الموت جم النشاط بين الرجال العظام على وجه الارض . وبوفاة فيصل ملك العراق أختفت شخصية من أبرز الشخصيات التي لعبت دوراً رئيسياً في الحرب العالمية» !

نقل جثمان الملك فيصل الاول من محطة «برن» الى «برنديزي» في ايطاليا صباح يوم ٩ أيلول ١٩٣٣ . ومنها نقلته دارعة ايطالية مجللة بالسواد . وسلمته الى الدارعة البريطانية «داسبانش» .
وفي ١٤ أيلول وصلت الدارعة «حيفا» ، ونقل الجثمان منها الى البر . حيث نقلته طائرة خاصة من نوع «فكتوريا» الى بغداد بحراسة ثلاث طائرات من القوة الجوية البريطانية في فلسطين !
ومن «الرطبة» استقبلت الجثمان (٩) طائرات من القوة الجوية العراقية حتى مطار بغداد يوم ١٥ أيلول . ومنه نقل الى البلاط الملكي ، حيث وضع على عربة مدفع . وسار الموكب نحو المقبرة التي أعدت في الاعظمية ووري التراب .

وفي نفس اليوم ١٥ أيلول ١٩٣٣ صدر عن الملك غازي البيان الآتي :

«الى الشعب العراقي الكريم

ان عواطف الاخلاص والمحبة التي أنبعثت عن قلوب ابناء أمتي على أثر الكارثة العظمى التي حلت بالبلاد بوفاة قائدها وباني كيانها جلالة والدي المعظم . تغمده الله برحمته . كان لها أعظم أثر في نفسي . وكان اكبر سلوى لي من مصابي . ولاشك في أنها كانت دليل على تقدير الجميع الاعمال الخالدة التي نهض بها والتضحيات العديدة . وآخرها حياته الغالية التي بذلها في سبيل أمته واعلاء شأنها . والان وقد ودعنا والأسى ملء القلوب ، فقد أضحى من واجبنا نحن الذين شاءت الاقدار ان نبقى بعده ان نسترشد دائماً بتلك السياسة الحكيمة التي كان هدفها الأسمى السير بالمملكة الى أوج التقدم والعمران والمنعة . وان نتخذ من مثاله الأعلى مثلاً أعلى في التفاني في خدمة الامة التي أحبها فوق كل شيء . وخدمها بكل قواه ، وودعها الوداع الابدي وهو مرتاح . لانه قام بواجبه . والواجب اي واجبنا جميعاً الذي أمرنا به هو ان نتمسك بالقوة والتحاد . ونجعل من توصيته الأخيرة منهاجاً نسير عليه في مستقبل ايامنا .

وفي هذه الساعة التي يجيش قلبي فيها بآلام الفراق ، وبشكر الامة على عواطفها الصادقة المواسية يحق لي ان انتظر من ابناء شعبي ان يؤازروني بكل قواهم ، كما آزروا والدي في جهاده . وان يساعدوني على النهوض بالمسؤولية العظمى التي ألقتها العناية الالهية على عاتقي . وان يعملوا واياي على تمجيد ذكرى فقيد الأمة . وسليل البيت الهاشمي ، وتطييب روحه . وذلك ببذل كل ما في وسعنا في سبيل تحقيق أمانيه السامية .

هذا واني بأسمي واسم صاحبة الجلالة الوالدة ، وبأسم الأسرة الهاشمية اكرر ثنائي وشكري الى ابناء أمتي . وأرجو لهم جميعاً صبراً جميلاً ورفاها شاملاً»

وفي مناسبة مرور اربعين يوماً على وفاة الملك فيصل الاول . اقيم في بغداد احتفال كبير شاركت فيه وفود من جميع انحاء العراق ومن مختلف البلدان العربية . وتحول العزاء الى تظاهرة قومية . عبّر فيها الجميع الى ما يكنونه لفيصل من محبة واعتزاز وتقدير .

لقد قيل في وفاة الملك فيصل الاول الكثير (٥) ..

كان مدعاة للاستغراب هو ان الاطباء الذين حضروا الوفاة . قرروا ان الوفاة كانت بسبب انسداد الشرايين ..

ان تصلب الشرايين – كما هو معروف طبياً – يصيب الأنسان على الكبر ، وان الملك فيصل الاول كان يوم وفاته قد بلغ من العمر (٤٨) سنةو (٣) أشهر و (١٨) يوماً .. ! !

وهكذا رحل الملك (الجد) فيصل الاول عن عرش العراق ..

ولم يكن بعد قد ولِدَ (الحفيد) الملك فيصل الثاني . بل كان في رحم القدر .

٥ ٥

(٥) راجع ماشرته في كتاب «اشهر الاغتيالات السياسية في العراق» حول الموضوع



الملك فيصل الاول مؤسس المملكة العراقية .



والده

الملك غازي



الملك غازي

ولد «غازي» في مكة المكرمة يوم ٢١ آذار ١٩١٢ أثناء قيادة والده الأمير فيصل بن الحسين بن علي ، الحملة العسكرية لتأديب محمد الادريسي . الذي ثار على الدولة العثمانية في (أبها) في منطقة (عسير) . فسمي (غازي) تيمناً بغزوة أبيه .

ترعرع غازي في كنف جده الشريف حسين بن علي - شريف مكة .

وقد قرأ القرآن . وتعلم الكتابة على (الشيخ ياسين البسيوني) إمام الملك حسين بن علي الخاص . ثم جيء له بالسيد (حسن العلوي) فدرسّه اللغة العربية ومبادئ العلوم الدينية .

لقد كانت الأوضاع السائدة في الحجاز في تلك الحقبة من حياته قلقة . وقد أنعكس أضطراب الأوضاع تلك على تربية الأمير غازي الذي عاش مع أمه الأميرة حزيمة أبنة الشريف ناصر بن علي في قصر جدته الواقع في (شعب علي) على أثر الثورة العربية في ٩ شعبان ١٣٣٤ هجرية ، حين أمر الحسين بن علي ان يجمع أحفاده في ذلك القصر . فحاولت أمه . التي كانت قد نشأت في جو ديني . وتحمل معرفة قليلة بالعالم وباساليبه ، تعويضه غياب أبيه وأنشغال جده . ولكن جاء تدليلها المفرط باعتباره أبنها الوحيد بين أربعة أطفال . وحرصها على أن يبقى دائماً بقربها بين النساء . في غير مكانه ، فقد نشأ خجولاً متردداً ، ولم تتركه يعيش مثل أبناء الأسرة الشريفة سنواته الأولى بين قبائل الصحراء ، اذ ما لبث ان أخذت تكرر حججه ، على أساس ان أولاد البدو يستهزئون به ، من أجل السماح بعودته الى البيت، الى ان سمح أبوه فيصل الى ما أراد، فأستمر الضرر الذي أحدثه عطف أمه .

وفي آب ١٩٢٤ هاجم السعوديون «الطائف» ، ثم شنوا هجوماً على «مكة» فرحّل الحسين بن علي ، أهل بيته وذويه الى «جدة» فدفعت هذه التطورات والخطر السعودي الذي أستمر محدقاً بالهاشميين ، الى أن تغادر أسرة الملك فيصل الأول الحجاز بين من غادرها من الهاشميين ، حيث قصد الأمير عبدالله - أمير شرق الأردن - (جدة) وأصطحب معه الى عمّان أسرة الملك فيصل الأول ، التي كانت تضم زوجته وولده غازي وبناته الثلاث (عزة ، راجحة ، رفيعة) وبعض الحاشية .

وبقيت عائلة الملك فيصل الأول بعض الوقت في الأردن قبل مغادرتها الى العراق .

وفي حزيران ١٩٢٤ نوقشت مواد القانون الأساسي في المجلس التأسيسي العراقي . وبموجبها أصبح الأمير غازي ولياً للعهد ، لذلك ما أن وصلت أسرة الملك فيصل الأول حتى بدأت الأستعدادات الرسمية لاستقبال الأمير غازي بصفته ولياً للعهد .

وتألفت ثلاثة وفود عراقية لاستقباله : وفد يمثل الشعب ، والثاني يمثل الحكومة ، والثالث يمثل البلاط الملكي .

وصلت الأسرة الملكية الى بغداد في الخامس من تشرين الأول ١٩٢٤ وسط حفاوة وبرقيات ترحيب يطغي عليها الطابع الرسمي .

ويبدو ان غياب الحفاوة الشعبية بالأسرة المالكة عند قدومها للعراق - كما يقول الدكتور لطفي جعفر فرج في كتابه «الملك غازي» - مرّده أن الملك فيصل نفسه لم يكن قد أكتسب أنئذٍ شعبية واضحة بين العراقيين . خصوصاً اذا تذكرنا أنه لا يزال في نظر البعض رجلاً نصبه الأنكليز ، وله منافسون على العرش ، ولم يصدر عنه ما يسكن نفره الرأي العام التي ولدتها ملابسات المعاهدة الانكليزية العراقية لعام ١٩٢٢ ، وفرض انتخابات المجلس التأسيسي العراقي . واستخدم الشدة تجاه المعارضة ، ونفي رجال الدين .

يصف بعض الذين رافقوا الملك فيصل الأول عام ١٩٢٤ . السرور العظيم الذي غمر قلب الملك عند رؤيته لولده الوحيد (غازي) بعد غياب طويل ، ولكن أن هي الأبضعة أيام حتى بدأ قلق الملك فيصل الشديد على مستقبل غازي : نحافته وصغر جسمه لايتناسبان مع عمره البالغ اثنتي عشرة سنة ، أنزواؤه وخجله ، تعلقه بأمه ، عقم معلوماته الأولية . كلها أمور أثارت قلق الملك وحيرّته . حتى أنه أخذ يشك في وجود نقص في قواه العقلية . ولعل الحالة التي كانت عليها شقيقة غازي الصغرى (رفيعة) التي كانت منذ ولادتها غير طبيعية ، وتعاني من نقص في قواها العقلية ، هي التي أوحت الى الملك فيصل بمثل ذلك التفكير .

ويروي المربي القومي المعروف ساطع الحصري عن تلك الحقبة من حياة الأمير غازي في مذكراته ، ان الملك فيصل الاول طلبه الى البلاط الملكي - وكان انذاك مديراً عاماً للمعارف - لأمر يتعلق بابنه ، فيقول :

«بدأ الملك فيصل الاول حديثه بلفظة «غازي» .. ثم كرر هذه الكلمة حسب عادته عندما يتكلم عن شيء خطير «أقول .. غازي» .

ولم يكد يلفظ العبارات الأولى من حديثه . حتى تبينت كل المسألة بكل ما فيها من خطورة وتعقيد ..

غازي ، أبنه وولي عهده .. غازي .. أنه كان قد تركه هناك في الحجاز منذ بداية الثورة ، تحت رعاية جده الملك حسين ، ولكنه بعد أن أستقرت الأمور في العراق رآى من الضروري أن يجلبه الى بغداد ، ليشرف على تربيته وتعليمه بنفسه ، وينشئه التنشئة التي يتطلبها مستقبله . ويظهر ان البعض ممن كانوا ساهموا في تعليم الملك فيصل نفسه ، أرادوا أن يتولوا تعليم غازي ، ولكنهم لاحظوا بانه لايفهم ما يلقى عليه من الدروس ، وما نقلوه الى الملك فيصل في هذا الصدد ، ولدّ في نفسه خوفاً من أن يكون في ذكاء غازي شيء من النقص ، وحمله التفكير في الأمر بصورة جدية .

- تعرف يا ساطع بأني أحب أسرتي . وأحب أبني غازي . وأحب أن أوسس أسرة مالكة.. ولكنني أحب أمتي أكثر من أسرتي وأكثر من غازي.. فأذا كان الأمر حقيقة كذلك . واذا كان غازي لا يتصف بالذكاء اللازم لولي عهد ولملك . أقول .. اذا كان غازي لا يخلو من غباوة . فأني سوف لا أتردد في العمل بما يحتمه عليّ الواجب الوطني .. سأجمع مجلس الأمة . وسأقول : اني أجعل الأمة في حلٍ من ولاية عهد أبني . وأترك لها الحرية التامة في تقرير ما يجب عمله في هذا الشأن .

قال ذلك . بصوت مختنق . ولكنه مملوء بإداء الحزم والعزم . ثم كرر :

- أحب أبني .. ولكن أحب أمتي أكثر من أبني .. فعليّ ان أقوم بواجبي نحوها قبل كل شيّ ..

ولقد أصغت الى حديثه هذا . بسكوت تام . وبتأثير عميق . أذكر أني كثيراً ما حوبيت باستشارات من بعض الأباء والأمهات عن بعض المشاكل والمسائل المتعلقة بأولادهم خلال حياتي التربوية الطويلة . غير أنني لا اذكر أن واحدة منها بلغت من الخطورة مبلغ هذه الأستشارة .

أنني لم أكن قد رأيت الأمير غازي . حتى ذلك اليوم الا مرة واحدة . فقلت للملك فيصل :

- مع الأسف أنني لم أخالطه الى الأن مخالطة تمكنني من الحكم في الأمر حكماً قاطعاً . ومع هذا أستطيع أن أقول أنني لم ألاحظ على سحنته وشكل جمجمته . ما يدل على نقص عقلي فيه .

وبعد هذه المقدمة . سردت عليه بعض المعلومات العامة :

- ان علماء النفس والتربية يقسمون «التأخر» الذي يلاحظ عند الأطفال الى نوعين أساسيين : النوع الأول . وهو التأخر الذي ينجم عن نقص طبيعي في القابليات الفكرية . أن النوع الأول يمكن تلافيه تلافياً بتدابير تربوية وتعليمية خاصة . بعكس النوع الثاني الذي لا يمكن معالجته معالجة تامة .. يلوح لي أن حالة الأمير غازي . تنطبق على النوع الأول : أنه تأخر في الدرس - المدرسي منه والطبيعي - بالنسبة الى عمره . ونتج عن ذلك نقص في قواه الفكرية الراهنة . وهذا مما يمكن تلافيه بسهولة . ومع ذلك . أنا أقول هذا . دون أن أؤكده . فأسمحوا لي ان أواجهه . وأفحصه عدة مرات . قبل أن اعطي حكماً قاطعاً في الأمر .

أن إيضاحاتي هذه بسطت على قلبه شيئاً من الطمأنينة . وأزالت عن وجهه علائم التوتر والانقباض . ومع هذا بعد الاصغاء لي ما قلته أصغاء المرتاح المتفائل عاد الى تخوفه فقال :

- ولكنني أريد ان أتأكد من الأمر . أدرس المسألة جيداً . وقل رأيك النهائي . لا تفكر فيّ .. لا تفكر في غازي .. فكرّ في الأمة .. فكرّ في الوطن .

بعد ذلك قضيت عدة أيام في دراسة أحوال الأمير غازي العقلية . دراسة عميقة . وفقاً للطرق المتبعة في الاختبارات العقلية . وبناءً على هذه الدراسة .

تاكدت من ان قابلياته الفكرية كانت طبيعة وسوية . وقابلت الملك فيصل . وأطلعته على نتيجة دراستي التي دلت على صدق تخميني الأول . وأكدت له أن عدم فهم غازي لما ألقي عليه من دروس لم يتأت من نقص في قابلياته الفكرية ، بل نتج عن تأخره في الدرس والمخالطة تأخراً شاذاً ، بحكم حياته السابقة . وأن تلافي ذلك يتطلب السير على خطة محكمة بوسائط خاصة ، بواسطة معلمين ومربين مجدين ويقظين .

ويستطرد الأستاذ الحصري في حكايته عن تعليم الأمير غازي قائلاً :

«بعد التأكد من قابلياته العقلية ، ترتب علينا أن نتخذ التدابير اللازمة لتعليمه وفق منهاج خاص ، مع تعويده على مراعاة النظام التام في الدرس والمطالعة .

تمّ تخصيص دار خاصة متصلة بالبلاط ، مع حديقة خاصة ، وردهة خاصة لتعليم الأمير غازي .

وأنتخبنا المعلمين للمواد المختلفة من أقدر الذين كانوا يعلمون المواد المذكورة في المدارس الأبتدائية .

ورأينا من الضروري ان يشرف على جميع شؤون «دار التعليم» الخاصة بالأمير غازي رجل ذو مكانة مرموقة . وتمّ تعين طه الهاشمي مراقباً لها .

وأنا أخذت أتابع سير الأمور . أزور الدار من وقت لآخر ، وأتصل بالمعلمين لأطلع على ملاحظاتهم ، لأقرر تفاصيل المناهج ، على ضوء التجارب والمشاهدات .

ولكن ، كانت هناك مسألة هامة ، لابد من أخذها بنظر الاعتبار : حاجة الأمير الى الحياة المعشرية الضرورية للتربية الأجتماعية .

فأن مهمتنا لا تتسم بتعليمه ما يحتاج اليه من مواد ، ولا بتعويده النظم في الدرس وفي الاعمال ، بل كان يترتب علينا وجود وسيلة لضمان معاشرته الأطفال من سنه .

ان مستوى معلوماته الضئيلة ما كانت تساعد على إلحاقه بمدرسة من المدارس ، لا في العراق ، ولا في خارج العراق .

وبعد التفكير ملياً ، بدا لي أن أحسن طريقة لضمان المعاشرة الضرورية هي أشراكه في التمارين والحركات الكشفية .

ولذلك تقرر تأليف فرقة كشفية ، يلتحق بها الأمير غازي ، بعد ظهر يومي من الأسبوع المخصصين لأمثال هذه الحركات في سائر المدارس .

بهذه الصورة هيأنا للأمير غازي مجال اللعب مع هؤلاء الأطفال المنتسبين الى مختلف أحياء المدينة ، كرفيق لهم في مختلف الألعاب والتمارين والحركات الكشفية .

وبهذه الصورة وفرنا له الشيء الكثير من وسائل التربية الأجتماعية بجانب التربية العقلية .

أن هذه التدابير أثمرت الثمرات ، منها : تقدم الأمير غازي تقدماً سريعاً ، وتمّ تلافي التأخر السابق ، و...له الى المستوى العلمي والفكري الضروري لألتحاقه بالمدارس العسكرية» .

وفي نيسان ١٩٢٦ سافر الامير غازي الى أنكلترا . ونزل في بيت (الأسقف جونسون) في مدينة (ماردن فكراج) بمقاطعة (كنت) .

أستطاعت عائلة (الأسقف جونسون) ان تحقق مع غازي ما عجز عن تحقيقه الكادر الذي أحتوته دار تعليمه في العراق . وقد وصف أخر تقرير رفعه جونسون عنه في ١٦ أيلول ١٩٢٦ والذي تمّ قبول غازي في (مدرسة هارو) أستناداً اليه . وصف غازي بأنه «رقيق ومطيع . وحسن الطباع ، وسريع الفطانه . غير أنه سريع النسيان أيضاً ، وعلى الرغم من ذلك فقد قطع شوطاً بعيداً . ان لغته جيدة ، واذا أعتنى يتكلم جيداً» .

لقد بدا من المعيب للأمير غازي ان يظل يركب دراجته ، وان يتجنب إصابة الأطفال بها أثناء الطريق ، ولو أنه عندما كانت توضح له انظمة الشرطة . كان يلاحظها بأخلاص تام . وحتى أثناء فترة التعليم الخاص لم يكن متوقعاً أن يلاقي أنتقال غازي من كنف أمه بصفة مفاجئة ، وهي المغرمة به جداً في الوسط الملكي ، الى مدرسة أنكليزية بعيدة ، نجاحاً كبيراً . ولم يتحقق ذلك النجاح فعلاً . ذلك لان الشاب الشرقي قد يبز أقرانه كثيراً في بعض الوسائل . لكنه يتأخر عنهم في وسائل أخرى .. فهو في أثناء الدراسة لا يستطيع ان ينافس الغير حسب مستوى عمره — حتى اذا ما جابهه الفشل غدا يكره الحياة !

والشيء المؤكد انه لم يكن سعيداً في حياته هناك . فلقد قدرت هيئة المدرسة أنه لن يجد الحياة يسيرة في مدرسة أنكليزية عامة . ولذلك تقرر أن يعيش مع أستاذ صغير السن يسكن مع زوجته وطفلته الصغيرة . بدلاً من أن يعيش في بيت مدرسي مع أولاد أخرين .

ومنذ اللحظة التي دخل فيها مدرسة هارو . وطيلة الفترة التي أمضاها فيها لم يستطع غازي أن يوطن نفسه على عمله .

كان في تلك الفترة من حياته . شديد الأيمان بالله . ففي أحدى المرات قال لزوجة أستاذه التي كانت تحدثه عن رحمه الله : «السوف ترين ما سيصنعه الله بك؟!» . وكان يقصد بذلك ان الله سوف ينتقم منها له . ولم ينس كذلك رفض جعفر العسكري وزير العراق المفوض في لندن شراء سيارة له . وظل في مدرسة هارو يكرر عدة مرات بأنه يكره جعفر العسكري .

وحين كان يؤخذ الى أسبانيا أثناء العطلات . يصر على تفكيره بأنه سوف يلتقي بالعرب الحاكمين فيها . ولكن سرعان ما خاب ظنه — عندما وجد فعلاً كنيسة مسيحية في المكان الذي يحتله «جامع قرطبة» .

أسترد غازي روحيته في أسبانيا . حين وجد أن في مستطاعه ان يشتري السلاح والبدلات العسكرية . ولم يبادر حتى على معلمه اللغة العربية . الشيخ كاظم الدجيلي . أنه أستطاع أن يعلمه المزيد . وأن كان المناخ الأنكليزي قد أثر فيهما سوية . وفي غازي بصفة خاصة ..

فلم يكن غازي مماشياً للحياة في أنكلترا . ولذلك فأنه لم يمض بعض الوقت الكامل في مدرسة هارو . حتى نبذ حصيلة الدراسة والشؤون الآخرى كلها .

كان منذ شبابه يبدي أهتماماً شديداً بالسيارات والطائرات ، ويحب السرعة. وعندما عاد غازي الى العراق في تشرين الأول ١٩٢٨ – بعد ان أشعر والديه بحنينه الشديد لوجوده بالقرب منهما . مما أجبر والده على أستدعائه من لندن ، تقرر الحاقه بالمدرسة العسكرية في بغداد.

ويروي اللواء المتقاعد فؤاد عارف ذكرياته عن الأمير غازي وهو تلميذ في المدرسة العسكرية قائلاً :

«ان معاملة المدرسة العسكرية لغازي قد غرست فيه صفات التواضع ، وساعدت على أقامة علاقات المحبة والألفة مع التلاميذ ؛ فنال بما فطر من كرم وطاعة وروح عسكرية متقدة . أحترام أساتذته ومحبة زملائه التلاميذ .

وكنا نعرف منذ ذلك الوقت المبكرّ ان غازي يمقت الانكليز مقتاً شديداً ويعتبرهم الأساس في كل ما حاق بوطنه من مصائب . وكانت عيناه تغرورقان بالدموع عندما يتذكر ماساة جده الشريف حسين بن علي . وكيف تلاعب به الانكليز ، وغدروا به غدراً مشيناً بشرفهم السياسي . وفرضوا على الشيخ الجليل الأقامة الاجبارية في جزيرة قبرص .

كنا نشعر منذ ذلك الوقت ان هذا الشاب لابد ان يتخذ موقفاً حازماً من الأطماع الانكليزية ، ليس في العراق فحسب ، بل في الوطن العربي ، ولا سيما قضية فلسطين التي أخذت تقلق الرأي العربي في ذلك الوقت المبكر» .

تخرج الأمير غازي في المدرسة العسكرية ، ضابطاً خيالاً في تموز ١٩٣٢ برتبة ملازم ثان . وكان الاول في الفروسية ، فتسلم الجائزة الأولى من أبيه في طفر الموانع . وقد عينه والده بهيئة المرافقين العسكريين في البلاط الملكي ، وسمح له بحضور معظم الأجتماعات المهمة ، ليسمع المناقشات التي تدور فيها . كما أخذ يصحبه في سفراته الى مختلف أنحاء العراق ، ليتعرف على المناطق التي يزورها ويطلع على مشاكلها ، وأيضاً كان يشاركه في مناورات مدرسة الأركان في المناطق الشمالية . ولم ييأس من محاولات رفع مستواه الثقافي ، حيث كان يطلب منه أن يقرأ له صباح كل يوم كتاباً تأريخياً ، ثم يُلخصّه له .

ولما سافر الملك فيصل الأول الى لندن في الخامس من حزيران ١٩٣٣ تلبية لدعوة الملك جورج الخامس لزيارة بلاده ، ولاّهُ نيابة الملك أثناء غيابه عن العراق .

وفي أثناء تولي الامير غازي نيابة الملك، وقع تمرد التياريين في شمال العراق، فأبرز مقدرة فائقة في تأديبهم ، ووقف الى جانب الوزارة التي كان يرأسها في تلك الأيام رشيد عالي الكيلاني . يشدُّ أزرها ويؤيد أجراءاتها ، ويدفع تهم أعداء العراق في الداخل والخارج ، فأحبه الشعب حباً جماً ، وكرهه الأنكليز كرهاً شديداً ، وقرروا مصيره منذ تلك اللحظات .

لقد وصفه الأثوريون (التياريون) بالشاب المراهق ، وانذروه بمصير مشؤوم . وأستمروا لفترة طويلة بعد ذلك . يبعثون له برسائل التهديد بالقتل !

كما أن المنظمات اليهودية كانت تقف ضده بعنف . على أساس ان عهده المنتظر سيحمل نوايا

سيئة تجاه يهود العراق . كما أخذوا يتحينون كل فرصة لاثارته والأساءة الى سمعته !
ولما عاد والده الملك فيصل الأول الى بغداد في الثاني من آب من هذه السنة ليشرف على الحركات التأديبية ضد المتمردين . لم يستطع ان يحقق شيئاً . فرجع الى أوربا في أيلول للتداوي . فوافته المنية في الثامن من (أيلول ١٩٣٣) .
نودي بولي العهد الأمير غازي - بعد وفاة والده - ملكاً على العراق . فكظم الأنكليز غيظهم - كما يقول شيخ المؤرخين الحسني - وأخذوا يخططون لمستقبله !
وفي الساعة الثامنة والنصف من مساء يوم ١٨ أيلول ١٩٣٣ جرت مراسيم عقد قرآن الملك غازي على الملكة عالية ، كريمة الملك علي . ملك الحجاز السابق .

وفي الساعة الثامنة والنصف من صباح يوم ٢ مايس ١٩٣٥ رزق الملك غازي بولده الوحيد (فيصل) .
بدأ الملك غازي عهد حكمه . والتوازن بين القوى السياسية في العراق قد أختلت . وأنطلقت شهوة الحكم من عقالها أنطلاقاً واسعاً ، فكثر تبديل الوزارات ، وتسلسلت حركات التمرد في بعض جهات العراق ، وأضطربت الحياة النيابية بكثرة ما أصاب حل مجالسها من فوضى !

ووقع في عهده أنقلاب عسكري قاده الفريق بكر صدقي رئيس أركان الجيش . وأطاح بوزارة ياسين الهاشمي ، الذي ترك العراق الى دمشق ، ونوري السعيد الى القاهرة .
وقد برز نوري السعيد من أكثر العناصر حقداً على الملك ورجال الانقلاب .

وبدأت المؤامرات تحاك .. فقتل الفريق بكر صدقي في الموصل ، بينما كان في طريقه الى تركيا . وأبعدت وزارة حكمة سليمان عن الحكم .. وبدأ الأنكليز ونوري السعيد ينسجون خيوط مؤامرة أزاحة الملك غازي عن العرش . لا سيما بعد أن بدأت «اذاعة قصر الزهور» تذيع ما يسيء الى (الحليفة بريطانيا العظمى) . والتي أعتبرت «صوتاً لليقظة القومية والحماسة العربية . ووسيلة لتنوير الأذهان وأثارة العزائم» .
لقد أدت لهجة «أذاعة قصر الزهور» تجاه القضايا العربية الى أن يستبشر العرب عموماً بوطنية الملك غازي وروحه القومية . حتى تحوّل الملك الى رمز للقائد القومي المطلوب . وتعلقت به آمال القوميين العرب داخل العراق وخارجه . فقد أستطاعت هذه الأذاعة - التي كان يديرها الملك غازي بنفسه ، بل كان مذيعها في أغلب الأحيان - بفضل دورها الاعلامي الواضح ان تساهم في تأجيج بعض الحركات القومية التي ظهرت في الخليج العربي . والتي كانت ترنو بنظرها نحو العراق ، وأن تثير حنق الأنكليز ومخاوفهم .
وكان الملك غازي يدعوا المطربين وفي مقدمتهم محمد القبانجي للغناء في أذاعة قصر الزهور . ويحرضهم بشكل غير مباشر على ذم الأنكليز . وأداء الأغاني التي تحمل بين سطورها لمسات وطنية .

لقد أعطى نشاط «أذاعة قصر الزهور» أنطباعاً للانكليز بأنها كانت أيذاناً باستعداد الملك غازي لتبني موقف مناوئ لهم خلال الحرب الوشيكة الوقوع . فظل ذلك مصدراً لقلقهم . خصوصاً وأنهم ربطوا بين نشاط الملك بأعتباره «شاباً يفيض وطنية وروحاً عسكرية» وبين نشاط الدبلوماسية الالمانية التي «لم تتورع من أستغلال الروح الوطنية من أجل تحقيق أغراضها» . حتى لقد ذهبت بعض الصحف البريطانية والفرنسية الى القول بأنه قد تمّ الاتفاق على مؤامرة مدبرة بين الملك غازي . وبين بعثة المانية . زعمت أنه أستدعاها لمناهضة مصالح بريطانيا وفرنسا في العراق والبلاد العربية . هذا كله أصبح من رأي السفير البريطاني «بيترسون» في آذار ١٩٣٩ : «أن الملك غازي يجب أن يُسيطر عليه أو يُخلع» ! !

وفي منتصف ليلة الرابع من نيسان صُرع الملك غازي . (٥)

ودوت في سماء بغداد في الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والعشرين من صبيحة يوم الثلاثاء الرابع من نيسان ١٩٣٩ . أطلاقات مدفع . تعلن وفاة الملك غازي .. وأستمر المدفع في أطلاقاته حتى بلغت ٢٧ أطلاقة تمثل سنوات عمر هذا الملك الشاب .

وفي الساعة التاسعة والنصف . وبعد تلاوة أي من الذكر الحكيم . أعلنت محطة الأذاعة اللاسلكية للحكومة العراقية البلاغ الرسمي التالي :

«بمزيد الحزن والألم ينعي مجلس الوزراء الى الأمة العراقية أنتقال المغفور له سيد شباب البلاد جلالة الملك غازي الأول الى جوار ربه على أثر أصطدام السيارة التي كان يقودها بنفسه بالعمود الكهربائي الواقع في منحدر قنطرة النهر بالقرب من قصر الحارثية في الساعة الحادية عشر والنصف من ليلة أمس . وفي نفس الوقت الذي يتقدم فيه بالتعازي الخاصة الى أعضاء العائلة المالكة على هذه الكارثة العظمى التي حلت بالبلاد . يدعو الله سبحانه وتعالى ان يحفظ للمملكة نجله الأوحد جلالة الملك فيصل الثاني . ويلهم الشعب العراقي الصبر الجميل . وأنا لله وإنا اليه راجعون»

ودفن الملك غازي في مثواه الأخير في المقبرة الملكية في الاعظمية .

. تم تنصيب أبنه ولي عهده فيصل الثاني ملكا على العراق .. والأمير عبد الاله وصياً على العرش .

وهكذا . شاء القدر . ان يكون فيصلاً ملكاً . وهو لما يزل طفلاً صغيرا . لايفقه من الأمر شيئا .. ! !



---

(٥) أقرأ تفاصيل مصرع الملك غازي في كتاب «أشهر الاغتيالات السياسية في العراق» للمؤلف .



والدته
الملكة عالية



الملكة عالية

في صباح ١٩ كانون الثاني من عام ١٩١١ . سمع اهالي «حارة القشاشية» بمكة المكرمة ، تهاليل تنبعث من قصر علي ، اكبر أنجال أمير مكة الحسين بن علي – وبعد التساؤل – يعلم الجميع ان الامير علياً قد رزق بنتاً . بينما كان هو في أحدى غزواته خارج مكة .

وفي يومها السابع سماها جدها الحسين بن علي «عالية» .

وحينما بلغت من العمر اربعين يوماً ، أخذت كعادة اهالي مكة الى المسجد الحرام ، وهناك طاف بها البيت الحرام السيد العلامة الشيخ عبد الله الزواوي . وبعد ذلك وضعها على باب الكعبة ، وطلب الى سادن الكعبة الشيخ محمد الشيبي ان يدعو لها قائلاً له : هاك أدع لعالية الفضائل ..

وفي الرابع من عمرها سافر والدها الى المدينة المنورة ، وبقي هناك سنة من الزمن ، للاشراف على بعض الشؤون العشائرية .

وفي ليلة ١٠ حزيران عام ١٩١٦ الموافق ٩ شعبان عام ١٣٣٤ ، أوقظت الاميرة عالية من نومها مع أخيها الامير عبد الاله ، وأخذا الى قصر الجدّة (جدة الامراء ابناء الحسين) الواقع في شعب علي ، حيث ان الحسين أمر بجمع احفاده في ذلك القصر الكبير . ولم يكد يعرف الاطفال سبب جمعهم الا حينما أندلعت النيران ، وأخذ أزيز رصاص العرب يملأ مكة متجهاً نحو مراكز جيوش الحكومة الاتحادية – بينما أخذت «قلعة اجياد» التي تحتوي على حامية للجيوش الاتحادية تصلي قصر الامارة بنيران حامية . وهنا جمعت الجدّة أحفاد الحسين حولها ، وأخذت تفهمهم سبب جمعهم في قصرها ، وان جدهم الحسين أعلن استقلال العرب . نظراً لعدم قبول أنور وجمال وطلعت باشا لنصائحه في عدم زج الدولة العثمانية في الحرب . وماقام به جمال باشا من اضطهاد واعدام لرجالات العرب . وكيف ان الحكومة الاتحادية سعت في تتريك الشعوب العربية ، وولدّت الاحتقار لدى شباب الترك لكل شيء يسمى عربياً ، حتى انها كادت تفقد العرب ثقتهم بقوميتهم وبحقهم في الحياة والاستقلال . لقد سمع الاطفال هذا الدرس البليغ الحافل بالعزة والكرامة القومية ، ولكن هل فهموا معناه بالمعنى الصحيح لصغر سنهم أم لا؟ !

وعلى كلٍ ، فقد كان هذا اول درس تلقته الاميرة عالية واخوها وابناء عمومتهم .

وفي آب عام ١٩١٩ بعد ان أنتهت الهدنة ، أستدعى الحسين عائلة نجله الامير علي ، الذي عُيّن أميراً للمدينة المنورة ، اليه . وهكذا شاهدت الاميرة عالية والدها بعد غياب خمسة اعوام تقريباً .

وحينما قرر المؤتمر السوري المناداة بالامير فيصل ملكاً على سوريا . ارسلت العائلة الهاشمية الأمير عبد الاله الى سوريا لحضور حفلة التتويج . نظراً لاشتغال والده ببعض المهام الداخلية في الحجاز . وقد صحب الامير عبد الاله والدته وشقيقاته . وكثيراً من أفراد الحاشية .

وهناك في دمشق كسبت الاميرة عالية . ثلاثة دروس بليغة . ولاشك أولها . انها سمعت في احد الايام جلبة وضوضاء تمر بمحلة الصالحية ، وكانت تلك الجلبة وذلك الضوضاء منبعثين من مئات الافراد وهم يصرخون : «نريد ياسين باشا .. أين ياسين باشا ؟» . وهنا تلفت الاميرة تسأل من ضباط الحرس ، عن ياسين باشا ، من هو ؟ وأين هو الان ؟ .. فيجيبونها : ان ياسين باشا زعيم من زعماء العرب . وان القوة الاجنبية أخذته من دمشق لانه كان يسعى في سبيل الاستقلال العربي .

اذن لاتزال الايدي الاجنبية قوية ، تنتزع من تشاء من بلادهم اذا شاءت ذلك !

والدرس الثاني هو في ٨ آذار ١٩٢٠ يوم اعلان تتويج فيصل ملكاً على سوريا . وقد شاهدت من احدى الدور المطلة على ساحة الشهداء ، كيف وصل عمها في مركبته الملكية . وكيف احتشدت جماهير الشعب السوري حينما صعد الى دار البلدية لاجراء مراسيم التتويج ! .. وكيف هتف الشعب السوري لعمها قائلاً :

ليحيا فيصل ملك سوريا المستقلة من دون حماية او وصاية او أنتداب ..»

بدون حماية او وصاية او انتداب . درس ثانٍ له قيمته في نفسية الاميرة البالغة من العمر التاسعة حينذاك . اخذت تسأل بعدها عن معنى «الحماية» و «الوصاية» و «الانتداب» التي يجب ان يكون عمها ملكاً على سوريا وهو غير مقيد بها .. !

والدرس الثالث . كان بين النسوة في دمشق في القصر ، سمعت فيما سمعت وهم يقولون متى تسافرون ؟ .. أسرعوا بالعودة الى المدينة فان الحرب واقعة لامحالة بين سوريا وفرنسا .

وهكذا تتهيأ العائلة . عائلة الملك علي للعودة الى المدينة . وهناك في محطة الحجاز اصطفت طالبات المدرسة لتوديع زميلتهن الاميرة عالية . حيث ان الملك فيصل الاول كان قد ادخل عالية وشقيقها عبد الاله في مدرسة خلال بقائهما في دمشق .

كان وداعاً حاراً ولاشك . وبالنسبة للاميرة الصغيرة كان وداعاً مؤلماً كثيراً . نظراً لما كانت تسمعه من ان الحرب واقعة لامحالة ، وان عمها سيخرج من سوريا . وان الانتداب سيطبق في سوريا لامحالة . واخيراً فانها سوف لاترى هذه الوجوه الجميلة من صديقاتها السوريات . ومن بينهن عدد ممن علّق اباؤهم على المشانق في سبيل الاستقلال . وان من بين افراد حاشيتها من حجازيين وعراقيين وسوريين عدداً كذلك ممن فقدت أباها او أخاها او أبنها في سبيل استقلال العرب .

تحرك القطار ومناظر سوريا الجميلة ترتسم في مخيلتها . المزة والآبوة والربوة . ماأجمل ضواحي دمشق ؟ وماأروع ذلك اليوم . يوم تتويج عمها فيصلاً ملكاً مستقلاً ؟

هل تعود الاميرة عالية لترى دمشق ، وتجتمع بصديقاتها ، وترى عمها ثانية ملكاً على سوريا ؟ .. أم ان عمها بعد شهور سيركب القطار مودعاً عرش سوريا وتاجها الى الحجاز ، او الى قطر اخر ، من هذه الخطة ، او من غيرها ؟ .. من يعلم؟ !

لاشك ان هذه الملاحظات جميعها بآمالها والآمها كانت تدور في مخيلة الاميرة وهي تعود بقطارها الخاص الى المدينة المنورة .

وعندما وصل القطار الى «معان» أصطف عدد كبير من اهالي تلك البلدة وعلى رأسهم الشيخ عوده أبو تايه ، شيخ الحويطات ، فدعا الامير عبد الاله والاميرة عالية لتناول طعام الغداء في مضاربه خارج المدينة ، فركبا برفقة الشيخ في عربته الجميلة التي يجرها ادهمان الى ان وصلا تلك المضارب . وكان خلال مرورهما في الطرق يشير الشيخ بسيفه الذهبي قائلاً لهما : انظرا الى هذه القبور المتناثرة في هذا الوادي . فهي قبور ابطال الثورة العربية ممن ذهبوا ضحية في سبيل الحرية والاستقلال . ثم يشير الى لحيته ويقول للامير عبد الاله : اما انت ايها الامير فلا نريد منك او من الذين هم في سنك من ابناء العرب الا المحافظة على هذا الاستقلال الذي سفكنا في سبيله الغوالي ويلتفت الى الاميرة عالية فيقول : «وأما انت ايتها الاميرة ، فما نريد منك الا ان تنجبي لنا فتى عظيماً كعمك فيصل ، فيصلاً في السياسة والقيادة» !

لم تطل اقامة الاميرة عالية في المدينة المنورة ، فقد غادرتها بصحبة عائلتها الى مكة المكرمة ..

وكان سفر العائلة من المدينة الى مكة على ظهور الجمال ، كما هي العادة في ذلك الوقت .. قافلة طويلة ، وقد ربطت الجمال الواحد خلف الآخر ، وعلى ظهورها تخوت الخيزران ، وبداخلها الاميرات وسيدات الحاشية والجواري .

وجميعهن محجبات . ومن تحت الجمال يمشي العبيد شاكي السلاح ، بينما يتقدم القافلة رهط من قبيلة «حرب» ، وعلى رأسهم الامير احمد بين منصور ، شقيق أمير القبيلة ، وخلف هؤلاء كوكبة اخرى من قبيلة «بيشه» وخلفهم قافلة وخلف القافلة رهط اخر من هجانة «عقيل» وهم من العشائر النجدية من سكان القصيم ، وعلى جانبي القافلة العشرات من حملة المشاعل ، حيث ان القافلة كانت تسير ليلاً وتنوخ نهاراً .

وبعد الوصول الى مكة المكرمة ، استقرت الاميرة عالية في الدار التي ولدت فيها في حارة «القشاشية» الى عام ١٩٢٤ في ظل رعاية جدها الحسين ، ووالدتها الملكة نفيسة .

وكانت تصطاف مع عائلتها في مدينة الطائف ، مصيف الحجاز المشهور ، إما في شبرى القديمة ، واما في شبرى الصغيرة او قصر (بارزان) ، الذي يعتبر من اكبر القصور في تلك المنطقة ، تحيط به الحدائق والبساتين ، ويُشرف على وادي العقيق ، ذلك الوادي الجميل الذي طالما تغنى به الشعراء قديماً وحديثاً .

وفي مكة ، كانت حياتها او سكناها ، في قصرين : إما في قصر «القشاشية» ، وإما في قصر «الخاصكية» ، فهو مشرف على المسجد الحرام تماماً ، وعلى يمناه الصفا والمروة ، وهما من شعائر

الله : في كل صباح ومساء تسمع المؤذنين وهم يرتلون الاذان . فاذا ماجلست الاميرة عالية صباح كل يوم مع شقيقها تدرس آي الذكر الحكيم ، على الشيخ ياسين البسيوني ، شاهدت امامها الكعبة المشرفة تحيط بها مقام ابراهيم ، وزمزم ، وبقية المقامات ، والوف الحجاج يطوفون بالبيت مستغفرين تائبين مبتهلين اليه ان يحقق آمالهم في الحياة ، واذا مارفعت رأسها الى الشباك شاهدت الالوف وهم يدخلون المسجد قائلين : «رب ادخلني مدخل صدقٍ ، واخرجني مخرج صدقٍ ، واجعل من لدنك سلطانا نصيراً» .

وفي عام ١٩٢٣ أخذ الوضع يتأزم بين الملك حسين بن علي ، والحكومة البريطانية ، حول المعاهدة العربية البريطانية ، وأصرّ الملك على رفض الانتداب ، عندئذٍ طلب اليه التنازل لولي عهده الامير علي .

وبعد ان نودي بالامير علي ملكاً على الحجاز ، غادر «جدة» الى مكة ، كما ان الحسين غادر مكة الى جدة» .

وفي الرابع والعشرين من ربيع الاول سنة ١٣٤٤ في الوقت الذي كان موكب الملك علي ذاهباً لاداء صلاة الجمعة ، كان افراد عائلته ينظرون الى البحر من شرفات قصرهم المطل على بحر جدة متهيئين بدورهم لمغادرتها الى العقبة ..

لقد أبتسمت الاميرة عالية ، ابتسامة فيها بعض المرارة ، وفيها بعض الامل ، حينما مرّ موكب والدها الى صلاة الجمعة ، اول صلاة للملك الجديد . وعندما سمعت اطلاقات تلك المدافع ، وهي تعلن وداع ملك سابق (جدها) ، وتبشر بتتويج ملك جديد (والدها) . ولكنها في قرارة نفسها لم تكن تود ان تودع ذلك الجد الحبيب بهذا الشكل المؤلم . ولا ان تستقبل ملك أبيها المرجى ، بهذه الغمامة السوداء ، التي لاتبشر ولابصيص من الامل والرجاء !

هذان الموقفان المؤلمان طبع نفسية الاميرة عالية بطابع الاعتماد على النفس والحنان !

غادرت الاميرة عالية وشقيقها وبقية العائلة ميناء جدة على ظهر الباخرة «رضوي» متوجهين الى العقبة ومنها الى عمّان .

وفي عمّان انزلهم الامير عبدالله (قبل ان يصبح ملكاً على شرق الاردن) في القصر الذي سكنه الحسين ، بعد ان نودي به خليفة على المسلمين في ٥ شعبان ١٣٤٢هـ الموافق ١١ اذار سنة ١٩٢٤ .

وبعد وصول الملك علي الى العراق بثلاثة أشهر . دعا الملك فيصل الاول الامير عبد الاله وعائلته للمجيء الى بغداد كي يكونوا بالقرب من والدهم الملك علي .

وفي بغداد ، أختير للاميرة عالية ولشقيقاتها معلمات عراقيات . اختار قسماً منهن عمهن ، والقسم الاخر والدتهن ، التي لم تبخل طيلة حياتها على تدريسهن ، وأنشائهن النشأة التي تليق بالعربيات الكريمات .

كانت الاميرة عالية ، نحيفة القوائم ، هادئة ، تشبه شقيقها عبد الاله كثيراً في تقاطيع وجهها وفي ملامحه.. «وهي فتاة ذات حساسية ملحوظة».

كانت الاميرة عالية متعلقة بوالدتها الملكة نفيسه منذ الصغر، ولم تفارقها يوماً واحداً من حياتها. وكانت تحبها وتحترمها كثيراً .

وقد وجدت «الملكة نفيسه» -- التي تتكلم العربية بلكنة تركية ، والتي تتشح بالسواد دائماً – ان من العسير عليها ، في اول قدومها الى بغداد ان تتحمل وضعها الجديد في العراق ، كشخصية ضئيلة الاهمية نسبياً ، وليس لديها سوى القليل من المال ، وتأتي في المنزلة وراء نساء عائلة الشقيق الاصغر لزوجها (الملك فيصل الاول) .!

وتجاه هذه الاوضاع الجديدة ، بدأت تحرص على تربية بناتها الاربعة وولدها الوحيد بشدة ، وتضغط على نفقاتها كثيراً . حتى وصفها كثير من الخدم الذين كانوا يعملون في القصر بانها حريصة على المال ، بل (بخيلة) جداً.!

وفي يوم ١٨ ايلول عام ١٩٣٣ اعلنت خطوبة الملك غازي على الاميرة عالية ابنة الملك علي – بعد عشرة ايام فقط من وفاة والده الملك فيصل الاول وتتويجه ملكاً على عرش العراق .

وفي مساء يوم ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٤ تم زفاف الملك غازي على الاميرة عالية ، التي اصبحت منذ تلك الليلة «الملكة عالية» .

واذاع مجلس الوزراء بياناً عن هذه المناسبة ، جاء فيه :

«بمنة تعالى لقد تم قران حضرة صاحب الجلالة الملك غازي الاول المعظم على حضرة صاحبة الجلالة الملكة عالية بنت عمه جلالة الملك علي المعظم ملك الحجاز السابق في القصر الملكي العامر في عاصمة ملكه بغداد وذلك في الساعة التاسعة ونصف زوالية من مساء يوم الخميس ٩ شوال سنة ١٣٥٢ وال ٢٥ من شهر كانون الثاني سنة ١٩٣٤ .

جعل الله هذا القران السعيد مقرونا بالرفاء والبنين ومتع شعب جلالته بالرغد الشامل والعز الدائم .

تحريراً في مساء يوم الخميس (ليلة الجمعة) المصادف ٩شوال سنة ١٣٥٢ وال ٢٥ من شهر كانون الثاني سنة ١٩٣٤ .

رشيد الخوجة	محمد الصدر	جميل المدفعي
رئيس مجلس النواب	رئيس مجلس الاعيان	رئيس الوزراء
يوسف آل عطاء		
مفتي العاصمة		

وانتقلت «الملكة عالية» الى مقرها الجديد في قصر الزهور .. وفيه أخذت تتلق دروساً مكثفة في العلوم والثقافة والادب على مدرسين ومدرسات اكفاء .

وفي مساء ١٩ آيار ١٩٣٤ أصيبت «الملكة عالية» بأسقاط الجنين . وقد وجه الدكتور ا . ج . مي . سندرسن – الطبيب الخاص لصاحب الجلالة الملك» كتاباًفي اليوم التالي الى «معالي السكرتير الخاص لصاحب الجلالة الملك» جاء فيه :

«سيدي .. أني آسف جداً لان اؤكد ما اخبرتكم به ان جلالة الملكة قد أصيبت بسقوط الجنين في الليلة البارحة . ولكني سعيد ان اخبركم بان صحة جلالتها الان جيدة . وآمل ان جلالتها سوف تستعيد في مدة قصيرة الصحة التي كانت تتمتع بها سابقاً .. لي الشرف ان اكون خادمكم المطيع» .

وفي الساعة الثامنة والنصف من يوم الثاني من مايس ١٩٣٥ ولدت «الملكة عالية» ابنها «فيصل» .

وقد جاء في التقرير الطبي الذي رفعه الدكتور كنيدي والدكتور سندرسن ظهر يوم ٢ مايس مايلي :

«ولدت جلالة الملكة عالية طفلها في الساعة الثامنة والنصف من هذا الصباح ٢ مايو . وحالتها الصحية جيدة» .

وبعد انتهاء مدة «النفاس» تفرغت لتربية طفلها الصغير «فيصل» تفرغاً كاملاً . فكانت العين الساهرة عليه ، لاتتركه لحظة يغيب عن عينها ..

وقيل الكثير من الاحاديث ، عن الفترة التي تلت الولادة ، بان الملك غازي كان في شغل شاغل عنها ، وانه أبتعد عنها ، ولم يعرها الاهتمام الواجب لأم وليده الوحيد !

وعندما صُرع زوجها الملك الشاب غازي ليلة الرابع من نيسان ١٩٣٩ أدلت «الملكة عالية» بافادتها امام مجلس الوزراء بان الملك غازي كان قد أوصاها بتسمية الامير عبد الاله – شقيقها – وصياً على ولدها الصغير ، اذا ماحدث له حادث .. ! !

ويذكر الوزير علي الشرقي في كتابه «الاحلام» : «ان نوري السعيد أوعز الى الملكة عالية ان ترفع كتاباً الى مجلس الوزراء المنعقد للنظر في اقامة وصي على العرش تشهد فيه ان زوجها الملك غازي قد أوصى اليها فيما اذا وقع أمر على حياته ، فالوصي على العرش عبد الاله » !

وفي ليلة الاول من نيسان عام ١٩٤١ أستولى القادة الاربعة : صلاح الدين الصباغ ومحمود سلمان وكامل شبيب وفهمي سعيد ، على السلطة ، وجلبوا قواتهم الى العاصمة لحراسة النقاط المهمة فيها ، بالاضافة الى الاحاطة بالقصر !

ثم قطع الاتصال الهاتفي عن الملكة وبقية افراد العائلة الملكية في القصر ومنع الزوار من الاقتراب منهم . في حين سمح للخدم بالمجيء الى القصر والخروج منه .

وقد أتخذت الاجراءات التي تضمن سلامة الملك الطفل ووالدته الملكة عالية .

ولغرض مناقشة هذه الامور . قررت الملكة عالية وشقيقتها عابدية الخروج من القصر . لوقت مابعد ظهر احد الايام . وقد أرتدينا عباءات قديمة ، واستأجرتا جملة من العربات التي تجرها الخيول – التي كانت تكثر في تلك الايام – كانتا يستقلانها الواحدة تلو الاخرى . حتى وصلتا الى مسكن الدكتور سندرسن . الواقع في شارع العسكري بالعيواضية – والتحدث الى خادمه الباكستاني .

توجه الخادم الى سندرسن وقال له : «هناك سيدتان ترتديان عباءات رثة تريدان رؤيتك . لقد قالتا انهما شخصيتان مهمتان ، وكانتا تتحدثان ، كما لو ان قولهما كان صحيحاً . وأنهما لاتريدان ان تذكرا أسميهما»

وعرفهما الدكتور سندرسن في الحال ، وأفضت الملكة عالية بمخاوفها اليه ليتدبر الأمر .

وبقيت الملكة عالية وابنها الملك فيصل وبقية العائلة الملكية كلها في القصر ، طيلة ايام حركة رشيد عالي الكيلاني ، حتى تم نقلهم الى اربيل .

وتتحدث الملكة عالية في افادتها التي كتبتها الى اللجنة التحقيقية الخاصة التي شكلت في ديوان وزارة العدلية غداة فشل حركة الكيلاني وعودة الامير عبد الاله الوصي على العرش الى العراق . وكانت ميول الملكة وعواطفها – كما يبدو من سطور افادتها بخط يدها – مع اخيها المعزول الذي آثر اللجوء الى المعسكرات البريطانية في العراق وخارجه ..

وتبدو الملكة عالية – كما يقول عبد الجبار العمر في مقال نشره تحت عنوان «الملكة عالية تتحدث[1]» . من خلال ماكتبته ، جريئة في مجابهة الوضع القائم يومها بالعداء ، وهو ما شهد به العقيد صلاح الدين الصباغ نفسه في مذكراته !

قالت الملكة عالية في افادتها الخطية : «كنت في ليلة ٢/١ نيسان ١٩٤١ ، وكان سمو شقيقي في قصره ايضاً . ولكني حوالي الساعة الواحدة والنصف من بعد منتصف تلك الليلة علمت ان الجيش قد أحاط بقصر سمو شقيقي ، وانه اضطر الى مغادرة قصره الى احدى الجهات ، فأخذت أتحرى عن الجهة التي ذهب اليها ، فعلمت انه ذهب الى بيت عمتي الاميرة صالحة . ولما كنت قد ساورني الشك في سلامة وصوله واختراق نطاق الحصار ، ازمعت على ان أتاكد من سلامة وصول سموه ، فما كان مني الا ان ركبت سيارتي التي كان يقودها نائب العريف السيد هاشم ، وذهبت الى بيت سمو عمتي الاميرة صالحة ، وقد صادفت الظواهر التالية في طريقي :

أ – سيارة مدرعة على مفرق طريق فلوجة – كربلاء بقرب جسر الخر ، وبجانب مركز الشرطة سيارة لوري من سيارات الجيش ، وبالقرب منها ضابط وبعض الجنود .

ب – سيارة مدرعة على مفرق طريق بغداد – المطار المدني ، وجنود كثيرين على طرفي الطريق ، كما وجدنا مانعة السكة الحديدية قاطعة الطريق لمنع المرور . فأوقف الجنود سيارتنا وأستفسروا من السائق عمن هو في السيارة . فأجابهم انهم ضيوف كانوا في قصر الزهور وهم

• المقال نشر افاق عربية العدد ٦ (شباط ١٩٨٠) .

راجعون الى بيوتهم . وعليه فتحوا لنا الطريق . فسرنا الى المحل المقصود . وأرجعنا السائق بسيارته فارغة . وعلمت منه بعدئذ انه عندما وصل الى مفرق طرق السكك الحديدية مسكه الجنود واخذوه الى مقر الجيش في الوشاش كي يتحققوا منه .

وفي يوم الخميس ٣ نيسان ١٩٤١ . بعد صلاة المغرب دق جرس التلفون . فبادرت إليه . فاذا المتكلم رشيد عالي . وقال ان غداً يوم ٤ نيسان وهو يوم تتويج صاحب الجلالة الملك المعظم . وبصفتي اليوم رئيساً للحكومة فاني وبقية الجماعة نروم المجيء الى القصر لتقديم التبريكات والتهاني .

فقلت له : اني أرفض رفضاً باتاً مجيئكم .

وعليه أنقطعت المخابرة .

وبعد مرور دقائق من ذلك ، دق جرس التلفون ثانية . واذا بالمتكلم صلاح الدين وأراد ان يتكلم معي . فقلت له : انه بصفته عسكرياً كان حرياً به ان يعلم انه غير قادر على ان يتكلم معي . وله مرجع أعلى مربوط به ، وأنني على ذلك لا اتمكن من أن أتكلم مع أي كان من قوادالفرق او غيرهم من ضباط الجيش ، وبعد ان قدم التهاني بمناسبة عيد تتويج صاحب الجلالة الملك المعظم أنصرف . وبعد ربع ساعة دق جرس التلفون ، واذا بالمتكلم رئيس اركان الجيش . وكان الوقت قرب الساعة السادسة والنصف مساءً ، فطلب مني ان أعلمه بمكان سمو شقيقي الامير عبد الاله ، وعلى سموه ان يظهر نفسه قبل الساعة التاسعة من ذلك المساء ، اويبيِّن مكانه .

فقلت له انني لاأعلم شيئاً عن مكان سموه ، بل انتم تعرفون مكان سموه اكثر مني لأنكم السبب الذي أجبر سموه على الاختفاء . وذلك نتيجة اعمالكم المشينة ، وتهديداتكم لسموه في سواد الليل ، فأنكر ذلك وقال : اننا لم نهدد سموه . فقلت له بل هددتم سموه ، وقد شاهدت ذلك بأم عيني ، وذلك بعد الساعة الواحدة والنصف من ليلة ٢/١ نيسان ١٩٤١ وشرحت له ماتقدم ذكره في حوادث ليلة ٢/١ نيسان من افادتي المتقدمة . فقال : اننا اضطررنا على ذلك لعدم اتصالنا بسموه نهاراً في البلاط . فقلتُ : اذن كان بامكانكم ان تتصلوا بسموه في قصره يومياً من الساعة الثامنة حتى الساعة الثانية بعد الظهر دون ان يكون لتهديداتكم مبرر . فقال : ان الحالة أوجبت ذلك .. ثم قال : ان سموه اذا لم يخرج حتى الساعة التاسعة ، او يظهر مكانه المختبي فيه ، فأننا سوف ننشر بياناً خطيراً ضد سموه . فقلت له : أنشروا بيانكم ، اما سمو أخي فأنني اطلبه منكم ، حيث انني لاأعلم عن مكانه ولاعن سموه شيئاً (وقد كنتُ في ذلك الوقت لاأعلم حقيقة مكان سمو شقيقي وعنه شيئاً) . ثم قال رئيس اركان الجيش ان وزارة طه الهاشمي قد استقالت . فقلتُ : أنتم السبب في تقديم استقالتها .

فقال : ان الظروف اوجبت ذلك لان سموه ترك صلاحيته واختفى ، ولهذا استقالة الوزارة . ثم انقطعت المكالمة بعد ذلك .

نذكر ادناه بعض ماصادفنا من التضييق :

١ - في ابتداء الحادث ، وبعد ان منع عنا من اتصال بعض الاشخاص ، رأيت نفسي بحاجة للاتصال ببعض من يهمهم أمر البلاد لتدارك الحالات السيئة التي وصلت اليها البلاد ، فخرجت من قصري في احد الايام ، وكان بصحبتي سمو شقيقتي الاميرة بديعة .

وقد أنتحلتُ لشخصي أسم سمو عمتي الأميرة صالحة ، وكان ذلك بعد تنصيب الشريف شرف وصياً بيومين او ثلاثة ايام ، فعندما وصلت بنا السيارة التي كان يقودها السائق عبد القادر ، نقطة مرور جسر الخر ، تعرض لنا احد الضباط ، وسأل مستفسراً عمن في السيارة ، فقال : بعض الاميرات قصدهم الذهاب الى بغداد . فلم يمانع . وعند وصولنا السكك الحديدية وجدنا نقطة عسكرية اخرى ، فاوقفوا السيارة واستفسروا منه نفس ماتقدم ، فكان جوابه كجوابه الاول ، ففسحوا لنا المجال ومررنا . وفي العودة لم نصادف في نقطة سكة الحديد سوى ماتقدم في الذهاب ، انما عندما وصلنا نقطة جسر الخر خرج لنا احد الضباط وسأل من السائق قائلاً : من عندك في السيارة ؟ . فقال له : بعض الاميرات . فقال : اي منهم ؟ . فقال : الاميرة صالحة . فقال : ومن تكون الاميرة صالحة هذه ؟ !

وبعد ان أفهمه السائق من تكون الاميرة صالحة ، فسح لنا المجال بالمرور .

فبعد ان سمعت من هذا الضابط مثل تلك الكلمات ، التي لم يُشم منها شيئ ، فلا يُشم غير رائحة الاستهزاء والاهانة ، قررت عدم الخروج من قصري في الوقت الذي كنت فيه أحوج ماتكون الى الخروج للمرامي المتقدمة ، ولكن خوفاً من ان يحدث أعظم من ذلك ، او ان أرد من الطريق ، او ان يُسمح لي الخروج ولكن لايُسمح لي بالعودة الى القصر مرة اخرى نسبة لما انتحلته من اسم .

وبعد ذلك كنتُ انتدب احدى الاميرات من شقيقاتي للقيام ببعض المهام ، ولكن كان يحصل عليهن عند خروجهن من القصر والعودة شتى التعديات ، فقد كان الضباط اذا كان الوقت ليلاً يستعملون الاضواء لاستطلاع من يكون في السيارة . ويفتحونها في اوجههن ويديرونها الى جهات مختلفة من أمكنة الأرجل ، ولايتركون أي مكان من السيارة الا ويفتشونه تفتيشاً دقيقاً بأضويتهم . وكان هذا التفتيش يجري في نقطتي جسر الخر والسكة الحديدية . وهنا لابد لي من التنويه بأن هذه الاعمال لم تكن تصدر من جميع الضباط .

وقد كان أغلب من تصدر منهم هذه الأعمال يطلب المعذرة بعد أجرائها قائلاً : أنما هو مأمور بذلك من قبل الجهات العليا . وكان قسم منهم يخاف ان يقدم المعذرة تواً خوفاً ممن كان يحيط به ، فكان يتوسط لطلبها بأحدى الوسائط الممكنة . اما البعض الأخر فكانت تصدر منهم بكل عنف وشدة . والذي يؤلمنا اننا لم نقف على اسماء المُسيئين !

٢ - ومن هنا نأتي الى ذكر حالة الحرب وتصرفاتهم داخل القصر ، فقد كان المقدم صالح

زكي ، الذي أنيطت به آمرية الحرس الملكي اثناء تلك الفترة من أشد الناس حرصاً على مضايقتنا ، واعطائه الاوامر المشددة في صدد تلك المضايقة . وكانت مضايقتهم تتجلى بتفتيشهم سيارات القصر الداخلة والخارجة تفتيشاً دقيقاً . كما كان الخدم على اختلافهم عرضة للتفتيش الدقيق الذي كان يشمل حتى أحذيتهم عند دخولهم القصر وخروجهم منه . اذا سمح لهم بذلك من قبل الحراس . وكان يقوم بتطبيق اوامر صالح زكي تطبيقاً حرفياً كل من الرئيس حمزة سعيد (آمر سرية الخيالة في الحرس الملكي وكانت واجباتها حراسة قصر الزهور) . والملازم نبيه الذي جيء به من فوج الحراسة خصيصاً لهذه المهمة .

وقد تجاوزت مراقبتهم على الداخلين الى القصر والخارجين منه ، أنهم كانوا يرفقون ضابطاً . او ضابط صف . او احد الجنود في السيارة التي يذهب بها سمو الاميرات الى قصر الرحاب . او قصر الاميرة صالحة . وذلك كي يحولوا دون اتصال سمو الاميرات بأي انسان كان . ويعلموا الجهات التي تذهب اليها الاميرات . وقد وصلت بهم الجرأة أخيراً أنهم منعوا سمو الاميرة راجحة عمة صاحب الجلالة الملك المعظم من الدخول الى القصر يوم عيد ميلاد جلالته . وردوا سموها من باب القصر .

يظهر مما تقدم ، انهم كانوا يرومون ان يمنعوا اتصال اي كان . او وصول أي شيء الينا . والحادثة التالية دليل على ذلك وهي :

أنه في آخر شهر مايس ١٩٤١ جاءت طيارة وألقت في حديقة القصر بكيس . تبين أخيرا انه حاوٍ على رسالة من سمو شقيقي ، وحالما رمت الطيارة ذلك الكيس هرع اليه الكثير من الجنود والضباط . وبعد ان عثر عليه الجنود . أخذوه الى الضابط ، فهم ان ضباطهم سيوصلوه الينا . وفي تلك اللحظة كان الملازم نبيه ، المار ذكره فيما تقدم ، يتصل تلفونيا بوزارة الدفاع . وبعد هنيهة جاءت سيارة ، وركب فيها الرئيس حمزة مستصحباً معه الكيس وماحواه . ولكن في تلك الفترة كان الضباط قد فضوا الكيس والمكتوب ، واستطاعوا ان يقرأوا المكتوب . وقد استطاع احد الجنود ان يسمع ماحواه الكتاب ، اذ قرأه الضابط بصوت جهوري ، ولما تأكد ان هذه الرسالة سوف لاتصل الينا ، أجتهد ان يحفظ شيئاً من محتواها . وفي المساء نقل ما أستطاع حفظه الينا . مع العلم اننا أمرنا رئيس المرافقين (وكان يومها العقيد عبد الوهاب عبد اللطيف السامرائي) ان يطلب الرسالة منهم فكلمهم المرافق الرئيس أمين سعيد مرتين تلفونياً ، فلم يعتبروا طلبه .

• «كانت الرسالة مرسلة من الامير عبد الاله ، وقد نشر صلاح الدين الصباغ نصها في مذكراته – صفحة ٢٣٢ ، وقد جاء فيها :

أختي عالية

١٠ حزيران سأكون مع الجيوش الانكليزية في بغداد فألتقي بكم وبالعزيز فيصل .

التوقيع عبد الاله ، المقيم في معسكر الانكليز في الحبانية» .

٣ – وقد بلغنا بتاريخ ٢٨ نيسان ١٩٤١ انه محذور على من في القصر الخروج منه . كما انه محذور على من في الخارج المجيء الى القصر . وكان القصد من وراء ذلك اشخاص العائلة ليس غير. حيث كان قبل ذلك المنع مطبقاً بحق من لهم اتصال بنا ، حتى ان المخابرات التلفونية كانت غير مسموح بها الا لمن يريدونه هم ، ومن كان يريد ان يتصل بنا قبل ذلك التاريخ ، عليه ان يستحصل اجازة منهم بذلك . فيسمحون لمن يشاءوا، ويريدون مايشاؤون من الطريق بعد إيقافه في مفارق السكة الحديدية ونقطة جسر الخر وباب القصر النظامي . ولايسمحون لأحدٍ مالم تصدر الموافقة من الجهات المختصة . وكثيراً ماكانت تأتي بعض العوائل فلايرغبون بوصولها الينا فيردونها من بعض النقاط الانفة الذكر ، قائلين لهم : ان القصر لايرغب بزيارتكم اليه ، وذلك من تلقاء انفسهم .

ماكنت قد أحسست به من مسّ كرامة البيت وذلك اثناء المحادثات بيني وبين وكيل رئيس الديوان . وبما ان عبد القادر الكيلاني كان وكيلاً لرئيس الديوان الملكي ، فقد كان يتردد على القصر عندما كان تأمر الحكومة بذلك . ولكن اذا وقع طلب المجيء من لدنا ، فلا يجيء الابعد مرور عدة ايام . وكانت تجري بيني وبينه شتى الاحاديث حول الوضع . وفي ذات يوم من الايام قال مخاطباً اياي : «ان جلالتك لو تقلبي بغداد حجراً على حجر فان سمو شقيقك سوف لايرجع الى بغداد يوماً من الايام وهو وصي على جلالة الملك . ولكن قد يمكن ان يعود بعد مدة طويلة الى بغداد ولكنه غير وصي»

فأجبت قائلة : «بأن قولك هذا ، فخارج عن الادب ، وماكان ذنب شقيقي حتى ان رشيد عالي ومن على شاكلته يجردونه مما ائتمنته عليه الأمة . ان سموه سوف يرجع ان شاء ، وهو كما كان عزيز الجانب ، موفور الكرامة ، محتفظاً بوصيته على جلالة ابن عمه ، لاكما تريد انت ورشيد ومن على شاكلتكم . نعم اني اعلم ان رشيد يريد ان سمو اخي يرجع الى بغداد كذلك لأي أنسان . حيث ان احفاد محمد (ص) من ابنائنا واجدادنا هم الذين بذلوا كل حياتهم في سبيل سعادة الأمة العربية» في ابتداء الحركة جاءني عبد القادر الكيلاني عدة مرات ، وقد طلب مني ان أخبره بالمكان الذي يوجد فيه سمو شقيقي . وكرر هذا الطلب مرات عدة . ولما رأى انه سوف لايظفر بطائل من ذلك ، انه اذا علم بمكان سموه ، اما ان يذهب الى سموه ، او تكلم مع سموه ويطلب منه ان يتنازل عن شيءْ ، ورشيد وجماعته يتسامحون مع سموه على اشياء اخرى ويكون هو وسيطاً في ذلك .

ولما رأى اصراري على ان لااعلمه بمكان سمو شقيقي قال مخاطباً إياي :

«اما جلالتك فان دمك بارد كدم الانكليز . وان جلالتك عنود كما هو اخيك .

وان الشخص الذي يخاطب جلالتك او أخيك لايمكنه ان يقف على شيءْ من سرائركم . حيث اذا كانت المسألة لاتوافق اي منكما . فلا يسمع ذلك المخاطب من اي منكما غير كلمة ان شاء الله» .

ثم قالت الملكة عن كيفية اجبارهم على ترك القصر : «كانت الرسالة التي القيت في مساء يوم الاثنين المصادف ٢٦ مايس ١٩٤١ من الطائرة، هي السبب في اجبارنا على ترك القصر . في صباح يوم الاربعاء ٢٨ مايس ٤١ حضر الى القصر المقدم صالح زكي . آمر فوج الحراسة ويرافقه يوسف الكيلاني بصفته نائباً عن وكيل رئيس الديوان . فدخلا القصر . واستقبلهما رئيس المرافقين . وبعد لحظة من دخولهما طلع علينا رئيس المرافقين وقال : ان صالح زكي ويوسف الكيلاني جاءا يخبروننا بأنهم حاملين امراً من الجهات العليا . وخلاصة ذلك الأمر هو ان تستعد جلالتكم وجلالة الملك على السفر الى مصيف صلاح الدين . على ان يكون السفر سرياً . وان يكون في الساعة التاسعة من مساء هذا اليوم (كان مجيئهم الى القصر حوالي الساعة العاشرة صباحاً) . فكان وقع ذلك الخبر في نفسي وقعاً أليماً . إذ ذهبت في التصورات الى نواحي شتى . منها أنه ربما لم يكن مقصدهم من ذلك السفر الى مصيف صلاح الدين . بل غاية اخرى خصوصاً بعد ان رأيت وسمعت منهم خلال الشهرين السابقين لذلك التاريخ . مالأيعد ولأيحصى. وعليه أخبرت رئيس المرافقين بان السفر في مساء ذلك اليوم وبهذه السرعة غير ممكن . وطلبتُ منه ان يطلب تأجيل ذلك لمدة ٤٨ ساعة على الأقل . حتى أتمكن خلالها من اتخاذ بعض الترتيبات للسفر . فأجابني : بأنه قد طلب ذلك منهما مرتين قبل ان يصعد إلينا بالأمر ، الا انهما أخبراه ان السلطات العليا مُصرة على السفر في هذه الليلة . وقد أُعدت جميع الترتيبات للسفر دون ان تؤخذ موافقتنا على ذلك . وان يكون لنا رأي في الموضوع . فعليه وبعد سماعي ماتقدم لم يسعني سوى الموافقة لكي أتقي مايمكن ان ينجم من شر وراء اصراري . وعليه أتكلت على الله ووافقت على مااردوه من السفر في الوقت المعين . فخرجا وخرج بعدهم رئيس المرافقين من القصر لاتخاذ مايلزم . وفي المساء بعد الساعة التاسعة حضر الى القصر المقدم صالح زكي وبعض الضباط وجنود اخرون من فوج الحراسة مع سيارات من سيارات الجيش لنقل العائلة والحاشية الى محطة قطار باب المعظم ، وسيارة خاصة لركوبنا مع صاحب الجلالة . وفي الساعة الحادية عشرة نبهت صاحب الجلالة من منامه وحملته على كتفي . ونزلتُ به الى السيارة . وبعد ان ركبنا السيارة . وأستعد رئيس المرافقين قبله . وقال : انه مأمور بمحافظة صاحب الجلالة المعظم . وعليه ان يركب بسيارة جلالته .

اما رئيس المرافقين فما كان منه الا ان قام بواجبه وركب بجنبه . عندما رأى صالح زكي المذكور لم يراع حرمة جلالة الملك .

ومما هو جدير بالذكر ان تضييقاتهم بارزة الى درجة حتى انها لم تخف على صاحب الجلالة وهو في سنه هذه ، حيث ان جلالته عندما خرجت بنا السيارة من باب قصرنا . وأدى الحرس التحية لجلالته ، ألتفت الى رئيس المرافقين قائلاً : عبد الوهاب بك راح يخلونه نطلع؟؟؟!

فوجه صالح زكي الذي كان بجانب رئيس المرافقين في المقعد الأمامي قائلاً :

- ان جلالته لم يأخذ فكرة صالحة عن الحالة .

فاجبته : ان جلالته قد رأى كل شيء بعينه فلا يحتاج الى تنبيه !

وبعد ان وصلتنا السيارات الى محطة قطار باب المعظم ، لم نجد هنالك سوى مفارز من الحرس . فنزلنا من السيارات وركبنا القطار وسافر بنا .

وفي الساعة العاشرة من صباح يوم الخميس ٢٩ مايس ١٩٤١ وصلنا كركوك .

وقد بقينا في القطار اكثر من ساعة ونصف، حتى ان الحرّ أثر على جلالة الملك . فطلبنا ان نسافر فلم يوافق صالح زكي على السفر الا بعد ان يخرج جنود الحرس أمتعتهم من القطار ويشحنوها في السيارات لكي يسافروا معنا ، فعليه لابد من بقائنا في القطار الى ان يتم ذلك . وقد استغرق ذلك نحو الساعة والنصف كما تقدم. وبعد ذلك احضروا سياراتنا التي كانت قد تقدمتنا الى كركوك فركبناها . وعند ركوبنا وجلالة الملك في سياراتنا الخاصة تقدم صالح زكي وركب في المقعد الامامي بجانب السائق بدون أن يراعي حرمة المكان ، فلم يكن من رئيس المرافقين الا الركوب بجانبه كما تقدم. وسافرنا من كركوك بين الساعة الثانية عشرة والواحدة صباحاً ، وبين التون كوبري وكركوك اخبرنا صالح زكي ان وجهة السفر ليست الى صلاح الدين وأنما هي الى قصر ملا افندي الواقع قرب أربيل . فلما سألناه عن السبب قال : ان المكان هناك لايزال بارداً . فلم يكن امامي الا الموافقة بعد الاعتماد على الله .

وفي اثناء الطريق حصل عند جلالة الملك دوار من شدة الحر وتأثير التعب .

فاوقفت السيارة ونزل رئيس المرافقين منها ذاهباً الى السيارات الاخرى لجلب رائحة عطرية لجلالته . وفي اثناء ذلك سمع العريف خضير ان صالح زكي قال : «شكوبيه .. كلشي مابيه» ، بلهجة تدل على عدم الاكتراث ، كما اخبرني بعد ذلك رئيس المرافقين والعريف خضير ان صالح زكي المذكور كان اثناء المسير يغني في السيارة ، اما انا فلم اسمع حيث كانت افكاري مشتتة ، وكنتُ أفكر فيما سوف يقابلنا في سفرتنا هذه .

وبعد الظهر وصلنا الى قصر ملا أفندي ، الذي عينوه محلاً لاقامتنا . وفي الليلة الثانية من وصولنا ، تبلغنا بانهزام رشيد عالي وبطانته ، ورجوع الحق الى اهله ، وزوال الخطر عنا ، فحمدنا الله على ذلك .

وفي يوم السبت المصادف ٣١ مايس ١٩٤١ ذهب أحد أتباعنا مع المرافق الثاني بصفة التمشية من قصر ملا افندي الى اربيل . وعند وصولهما الى معسكر الحامية ودخلا على آمر الحامية الرئيس الاول امين الراوندوزي ، وقد سمع تابعنا من حديث امين الراوندوزي : ان عنده أمر يخوله ان يستطيع في اي لحظة ان يسافر بجلالة الملك الى اي محل يريده هو . وعندئذٍ قال له امين الراوندوزي : «اما سفر جلالة الملك من هنا في سواد الليل او الى اي جهة معلومة فلا يمكن ان يكون قط واذا وجد لديك أمر مثل ذلك فيمكنك ان تعين المكان وتخبر السلطات التي يعود اليها ذلك بان صاحب الجلالة مسافر اليها . اما انك تخرج بجلالة الملك من منطقتي في سواد الليل الى جهة غير معلومة فلا يمكن ان يكون مطلقاً» .

ثم ان أمين الراوندوزي عندما سمع ذلك من صالح زكي تركه في الغرفة وخرج . وبصورة سرية أرسل يطلب رئيس الحرس حمزة، وبعد ان جاءه الرئيس حمزة قال له أمين الراوندوزي : «اذا كان صالح زكي اراد في مثل هذا الوقت او بعده ان يخرج بجلالة الملك من قصره الى جهة غير معلومة وبدون ان يكون للحامية خبر ولارضى بذلك هل توافقه على عمله هذا ام لا ؟» .

فردّ عليه الرئيس حمزة قائلاً : «اذا كانت الحامية غير عالمة ولاراضية بخروج جلالة الملك فأني لا اوافقه وأكون مع الحامية» .

وبعد ان تأكد من كلام الرئيس حمزة طلب منه الرجوع الى مكانه واتخاذ الحيطة والحذر وعدم الانصياع الى أي أمر يُصدر اليه بدون ان يكون الآمر الحامية والمرافقين علم به ، واذا احتاج الى قوة فانه مستعد لمساعدته من جنود الحامية .

فقال الرئيس حمزة : ان جنوده كافين لفرض الحراسة ، فلا يحتاج الى جنود الحامية . ولم يحدث غير ماتقدم الى حين عودتنا الى بغداد .

وختمت الملكة عالية افادتها التحريرية قائلة : «اما مايخص صاحب الجلالة الملك المعظم فأنني تحاشيت ان يكون على شخصه الكريم ايّ تعدٍ او مسٍ للكرامة ، وذلك بعدم اخراجه من القصر، الا اللهم عند اجبارنا الى مغادرة القصر والسفر الى خارج بغداد» .

ويحكي لنا العقيد صلاح الدين الصباغ قصة المحادثة الهاتفية بينه وبين الملكة عالية – كما أوردها في مذكراته – على النحو الاتي :

« .. وكنتُ افكر في حل مرض على ضوء المادة السادسة من قرارات ٢٨ شباط .. حل يحدُّ من تصرفات الوصي الدكتاتورية ، فخطرت لي فكرة تعديل نظام الوصاية على العرش في الدستور، وتأسيس مجلس للوصاية مؤلف من اربعة اشخاص مثلاً والامير خامسهم ... تجسمت هذه الفكرة في مخيلتي، ولاح ان اعرضها على سمو الوصي ، فاذا وافق عليها ، أنحلت الازمة الراهنة حلاً ناجزاً .. واتصلت هاتفيا بقصر جلالة الملكة ، لألتمس من جلالتها ان تدلني على وسيلة لمقابلة الوصي . خاطبني المرافق الاقدم عبد الوهاب عبد اللطيف ، فطلبتُ اليه ان يتوسل من جلالة الملكة الوالدة لتكلمني في أمر يتعلق بسمو اخيها الوصي .. وأنتظرتُ فترة وأنا أتضرع الى الله ان يمدني بعونه لتحقيق ماأقوم به على مسؤوليتي الخاصة دون ان أستشير احداً من اخواني ، اذ صح عزمي على مسك المنشور (منشور رئاسة اركان الجيش) وعدم اذاعته ، اذا رأيت من جلالتها مايشجعني، وجاءني صوت غاضب يصيح :

– ماذا تريد .. ؟!

قلتُ: سيدتي صاحبة الجلالة، أريد ان اكلمك بشأن سمو الوصي، واذا...

– لكن من أنت حتى تكلمني؟!

- أنا ياسيدتي صلاح الدين الصباغ قائد الفرقة الثالثة .
- أبـ....ـه؟! .. ليس لي كلام معك .
وأنقطع صوت الملكة ، وسمعت الهاتف يُطرح بعنف ، فاستولى عليّ النفور والامتعاض . لكني تغلبتُ عليها ، وخاطبت المرافق عبد الوهاب بعد قليل ..
قلتُ : لقد استنكفت الملكة ، فما كلمتني ، وانا احاول الوساطة بالخير فيما يتعلق بسمو الوصي ، ولن تمر ساعة او ساعتين حتى يسبق السيف العذل .
وبعد برهة رن جرس الهاتف فالتقطته ، واذا بالمرافق عبد الوهاب يقول :
- جلالة الملكة تكلمك ..
قلتُ : نعم ياسيدتي جلالة الملكة ، انا صلاح الدين .
قالت : العفو ، فقد كنتُ متأثرة ، لكني ارجو ان يكلمني رئيس اركان الجيش .
قلتُ : سيدتي الأمر يتعلق بسمو الوصي ، وانا وسيط بالخير ، فكيف اتصل به ؟
قالت : لاعلم لي بمكانه ، ولايمكنني ان اخبرك به . واذا كان لكم ماتقولون فليكلمني رئيس اركان الجيش .
- ولكني ياسيدتي عربي ..
- نعم ، وليكلمني رئيس اركان الجيش
وأتصلت برئيس اركان الجيش سريعاً ورجوته ان يتصل بالملكة ، علّه يهتدي منها الى وسيلة للاتصال بالوصي .. وبعد ساعة كان رئيس اركان الجيش في مقري بعد ان وقّع المنشور الذي ارسل اليه في داره ، ولما سألته عما تم بينه وبين الملكة أجاب :
- رأيت ان لااسترسل في محادثتها ، فقد لمست في حديثها الغرور» .

وفي ٣٠ حزيران ١٩٤١ اذاعت الملكة عالية خطاباً في الحفل الخاص الذي اقامته الى عائلات الوزراء والسفراء ، جاء فيه :
«كان للشعور الرفيع الذي اظهره الشعب العراقي النجيب في إبان الحوادث المؤسفة نحو بيتنا واسرتنا والعرش المفدى تأثير عميق في نفس ولدي صاحب الجلالة الملك وشقيقي سمو الوصي المعظم ، وفي نفسي انا التي اخاطبكم عن شكرنا ..
اخواتي .. ان القصد من هذا الحفل هو سماع منقبة مولد جدي الاعظم خاتم الانبياء «ﷺ» لنرفع اليه شكرنا على نجاة الوطن العراقي والامة الكريمة ، وعلى رأسها البيت المالك . من الكارثة التي كادت تؤدي بهذه البلاد الى مصير لايسر المخلصين»
ثم قالت : «في الدقيقة التي نعرب فيها عن شكرنا سبحانه وتعالى ، علينا - لرجوع الحق الى هله والامور الى مجاريها - ان لاننسى ان هناك من ابنائنا الاعزاء من استشهدوا وتركوا ايتاماً وارامل ، وان هناك من فقدوا عائلتهم ومات من يرعاهم ، وان هناك من اقعدهم المصاب عن

عملهم . فقدوا مالهم وما ملكت أيديهم . فعلينا ان نأخذ بأيدي هؤلاء المنكوبين ، ونواسي المصابين ، ونخفف عنهم ويلاتهم ومصائبهم .

فاذا اقتصر اجتماعنا اليوم على سماع الآي الحكيم ومنقبة سيد الكائنات ، والابتهال الى الله تعالى بان ينجي العرش والبلاد من كل مصاب ، فسيكون اجتماعنا القادم ان شاء الله للغرض الوطني الانساني ، والذي ألمعت اليه ، وكلي ثقة بان ندائي ونداء الوطن في هذا السبيل سينال مساعدة ومساندة ومساهمة المرأة العراقية الكريمة . بل الشعب العراقي اجمع . والله ولي التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله» .

شكت الملكة عالية من اوجاع في بطنها السفلي في منتصف عام ١٩٥٠ . وأشتد عليها المرض وهي تقيم مع ولدها الملك فيصل الثاني في لندن . وغادر بغداد الى انكلترا جواً شقيقها الامير عبد الاله في السابع من اب ١٩٥٠ للاشراف على العملية الجراحية المقرر اجراؤها لشقيقته الملكة عالية . وراح الاخ يبذل اقصى مايستطيعه الانسان لينقذ شقيقته الغالية ، ولكن ارادة الله تأبى الا أن تنفذ .

وفي ٢٣ تشرين الاول ١٩٥٠ يعود الامير عبد الاله بشقيقته وابنها الملك فيصل الثاني الى العراق ، بناء على رغبتها ، ولكي تموت في ارض الوطن .

عادت الى بغداد بعد ان ثبت للاطباء الاخصائيين ، ان مرضها قد استفحل في جوفها ، واصاب كل عضو فيه ، واجتاز مرحلة المعالجة الشافية ، ولم يبق في وسع الاطباء ، الا استعمال الحقن لتسكين الالام المُبرحة التي يثيرها ذلك المرض الخبيث ، فلا دواء ، ولا وسيلة اخرى في الطب لايقاف انتشاره ، وما يفعله من تخريبات مميتة ينتشر في اجهزة الجسم واحداً إثر الاخر .

يحكي لنا كمال السامرائي – وهو احد الاطباء الاخصائين الذين اشرفوا على الملكة عالية في أيامها الأخيرة[١] ، قائلاً :

«فوجئتُ بخبر مرض الملكة عالية ساعة أستدعاني رئيس التشريفات الملكية تحسين قدري الى قصر الرحاب . وحين صرت في الصالة كان قد سبقني اليها الدكتور هاشم الوتري والدكتور هادي الباجه جي ، وكان معهما الطبيب الانكليزي دكسن فرث .

وعلمتُ من الطبيب الأخير انه والملكة عالية واخوها عبد الاله قد وصلوا تواً الى بغداد . وفي اللحظة . ونحن نتحدث عن الملكة ، دخل عبد الاله الصالة وعليه علامات التعب جرّاء الرحلة الطويلة بطائرة «الفايكونت» العراقية .

قال يخاطب دكسن فرث : ارجوك ان تشرح للاخوان مشكلة جلالة الملكة ، وما يجب ان تفعلوه لأجلها .. انهاتتألم ، فاعملوا شيئاً بالله عليكم ، وساترككم الآن على ان تطلبوني حين تنتهون من التشاور في امرها ..

(١) من مقال له نشره في مجلة (افاق عربية) العدد ٨ السنة الثانية عشرة (آب ١٩٨٧)

واستدار ليخرج من الصالة ، وما كاد يصل الباب استدار وخاطبنا جميعاً قائلاً :
- ان الملكة لاتعرف طبيعة مرضها ، فاحذروا ان يفلت من لسانكم مايشير ذلك ..

ثم خرج من الصالة ، وما كاد يوصد بابها من ورائه حتى عاد وهو ينادي كلبه الضخم . الذي لم ينته من شم اذيال سراويلنا واحداً بعد واحد ، واخرجه عنوة وهو يسحبه من سلسلته ، وكان يبدو عليه الاضطراب وهو يستنشق بتلاحق دخان سيكارته !

لم يطل النقاش في موضوع الملكة المريضة ، قد شُخّصت في لندن ، لذلك أقتصر نقاشنا على مايجب ان نعمله لراحتها وتخفيف الالام التي لاتنفك تداهمها بقسوة . كما نُسّب في هذا الاجتماع ان اكون (انا) دوماً في قصر الزهور حيث تسكن الملكة المريضة لألبي طلباتها العاجلة .

كانت حجرة الملكة عالية على يسار نهاية السلم العريض المرمري المقابل للمدخل الرئيسي لقصر الزهور - ولما نقر الدكتور دكسن فرث - الذي كنت بمعيته لزيارة الملكة المريضة لاول مرة - بأصبعه على الباب ، طلعت علينا سيدة ملّونة في عقدها الرابع او الخامس من العمر ، ووسعّت لنا فرجة الباب ، وهي تقول بلهجة لاتبدو عراقية :

- تفضلوا ..

كان واضحاً ان الملكة قد أُخطرت بحضورنا الى القصر ، وانها تترقب مثولنا امامها بين لحظة واخرى ، كانت مستلقية في سريرها حين ولجنا حجرتها ، وعلى وجهها أرتياح مصطنع !

قلتُ لها : صباح الخير ستي الملكة .

وشعرتُ حالاً اني اخطأت في هذه التحية ، فقد كان الوقت يقرب من المساء . اما الملكة فقد أبتسمت بغير تكلّف ، وقالت لتستر خجلي :

- لابأس ، فكل النهار في نظري صباح ..

وهنا قال الدكتور دكسن فرث يخاطب الملكة :

- أنه الدكتور السامرائي ياصاحبة الجلالة .

فقالت الملكة : سمعتُ عنه قبلاً .

وأردفت ،وهي تلتفت نحوي : أهلاً دكتور كمال ..

وبسطت يدها اليمنى إليّ ، فصافحتها بحياء واهتمام ، وانا اشعر بارتياح مفاجئ إذ خاطبتني بأسمي الاول . وتحوّل دكسن فرث نحو منضدة عند رأس سرير الملكة ، وصار يمر باصابعه على عدد من القناني التي صُفّت عليها . ففهمت انه يريد ان يعلمني بصمت ان ماعلى هذه المنضدة هي الادوية التي سأحتاج اليها في معالجة الملكة بعد مغادرته العراق . كانت تلك الادوية انواعاًمن العقاقير المقوّية للبدن والمُسكّنة للالام ، وجميعها مألوفة عندي . فلم أُعلّق او أستفهم عن احدها . وانتهت هذه الزيارة القصيرة بعد دقائق ، وانسحبت من حضرة الملكة وراء دكسن فرث ، وانا أقول لنفسي : ان قصر الزهور هو الملكة عالية ، وكلاهما في دور الاحتضار !

لااذكر ان الملكة اشارت يوماً الى طبيعة مرضها ، او استفهمت مني عنه .

وفي ظني انها كانت تعرف ذلك ، فتعبّر عن مصيبتها بتكرار الاستغفار من الله والحمد له . كما لااذكر يوماً انها خرجت فيه عن شخصيتها المألوفة ، حتى وهي في أشد نوبات الألم . وكانت المُسكنات في ايامها الاخيرة قد فقدت مفعولها ، فتطلب منا احياناً ان نتركها لوحدها في هذه الحالة . وكانت تحصر حديثها حين يكون ألمها طفيفاً في شؤون ابنها الملك فيصل الثاني . وفي موضوع الحديقة والاعتناء بتنسيقها والاهتمام بأسقائها .

قالت لي ذات يوم – والكلام لايزال للدكتور كمال السامرائي : سمعتُ انك تُعنى بجني الورود ..

كان الكلام يتعبها فتنطق بتقطع ، وقد تكمل العبارة بحركة من يدها . وسألتني :

– هل في حديقتك وردة «الاميرة» ؟ !

فلما اجبتها بالنفي ، قالت : ان أصل هذه الوردة الجميلة «اثينا» ، وأنا التي أطلقت عليها اسم «الاميرة» لنظراتها وكبريائها ، وقد ادخلتها الى بغداد ، وطلبتُ من امانة العاصمة ان تُعمّمها بين هواة الورود ..

وأستراحت لحظة ، ثم قالت : وانا ايضاً ، ادخلت وردة «ذي كنك» وسميتها «سلطان الورد» ..

كانت الملكة تهوى الكلام عن الورود ، فتابعت تقول : ان «سلطان الورد» هي الوردة الوحيدة ذات العطر القوي ، ويزداد أريجها في الظل وفي الليل ايضاً..

وذات يوم كنتُ الى جانب الملكة المريضة وسمعنا طلقات نارية غير بعيدة عن القصر . وبدا لي ان ذلك مألوفاً عند الملكة فقالت لي :

– ان فيصل يتمرن على إصابة الهدف ..

وفاجئتني بسؤالها : كيف ترى فيصل يادكتور ؟ ..

فقلتُ لها : يحفظه الله تعالى ، انه خيرُ خلفٍ لخير سلف .

فقالت بلغة بغدادية : الله يسمع من (حلكك) ..

ثم سألتني : هل رأيت كتابه ؟

فقلتُ لها : أي كتابٍ ياسيدتي ؟ !

قالت : انه يؤلف كتاباً بعنوان «كيف تدافع عن نفسك» وقد زينه برسوم عملها بيده ، ويأمل ان يطبعه ..

ثم سكتت قليلاً لتقول : ان الكتاب باللغة الانكليزية ..[1]

اما انا فلم أرَ الكتاب ، إلا ان الملك فيصل كان يشير اليه اثناء الحديث في مجالسنا او اثناء تناول العشاء .

---

(١) لم يكن باللغة الانكليزية – كما سنرى في الفصل القادم – بل كان بالعربية

وسألتني الملكة يوماً : هل تُدخن ؟
فأجبتها : نعم ياسيدتي ..
فقالت : ان امي تدخن ، واخي عبد الاله يدخن بنهم ، اما انا فلا اتحمل شم رائحة الدخان ..
كانت الملكة عالية ذات حلاوة في خلقتها وخُلقها ، وفي نطقها وتحدثها ، باسمة دوماً . ولاتنس قط ان تشكر من يقدم لها خدمة مهما كانت ضئيلة .
كما كانت عطوفة على الفقراء ، وتشرف بنفسها على توزيع طعام العشاء ، من مطبخ القصر في ايام الجمع .. كانت هذه المرأة ملكة نبل ، لاملكة حكم» .
وفي يوم الاربعاء ٢٠ كانون الاول عام ١٩٥٠ أشتدت وطأة المرض على الملكة عالية .. وهنا تطلب والدتها وشقيقاتها وتقول لهن : «لي ثلاث امانات لديكن أرجو ان تحتفظن بها كل الاحتفاظ . اولها الاهتمام براحة أخي عبد الاله والتمسك به كل التمسك . وثانيها فلذة كبدي . فهو اماني عندكن جميعاً . وثالثها ان تكن في خدمته وخدمة هذا الشعب العراقي ماوسعتكن الخدمة» . ثم تطالب اخاها وتخبره بما قالت لهن ، وتوصيه بدورها بنفس الوصية . وهنا يطمئنها الجميع بشتى انواع التطمين وانها واهمة ، وان الموت بعيد كل البُعد .. ! ! ولكنها كانت واثقة من ان اجلها قد حان ..
وفي الساعة التاسعة والعشر دقائق من صباح يوم الخميس ٢١ كانون الاول ١٩٥٠ بدأت الملكة عالية تلفظ انفاسها الأخيرة ..
وفي تمام الساعة التاسعة والدقيقة العشرين من صباح ذلك اليوم ، توقفت نبضات قلب الملكة عالية الى الابد ..
يحكي لنا الدكتور كمال السامرائي عن الساعات الأخيرة تلك من حياة الملكة عالية . فيقول :
«في حدود الساعة الثامنة صباحاً ، أستدعيت على عجل الى حجرة الملكة وعند بابها رأيت ام عبد الاله مضطربة ووجهها شاحب ، وفتحت لي الوصيفة «عزة» باب الحجرة وهي تحمل بيمينها المصحف الكريم ، وبادرتني بهلع : ستي الملكة . ولم تزد على ذلك . كانت الملكة حينئذ في حالة بين الوعي والاغماء ، واشارت اليّ بيدها ان اقترب منها ، وقالت بصوت خافت متقطع :
أنهضني، فعاونتني عزة ، واسندناها بأيدينا لتنهض على الوسائد في فراشها . وشكرتنا بعينيها ، وتمتمت بالشهادة . ثم سمعتها تقول : «لاأريد ان يشهد دكسن فرث ساعة وفاتي . فانا مُسلمة . والله ربي . ومحمد نبي ، والقران كتابي» . وفي هذه اللحظة تقيأت وقذفت مافي جوفها على صدرها ، فاخذت انا المنشفة التي كانت دوماً موضوعة في متناول يديها ، ومَسحتُ بها فمها وصدرها مما سال عليها من القيْ . ولم تنسَ حتى في هذه اللحظة ان تشكرني وهي في حالة

شديدة من الاعياء . ثم اسدلت جفنيها برهة وهي تطلب مني ان ترى أمها نفيسة ..

كانت أمها عند مدخل الحجرة ، وربما سمعت بطلب الملكة ، فدخلت ووقفت الى جانب سريرها ، فمدت الملكة يدها ببطء وجذبت يد أمها الى فمها ، وقبلتّها وجهاً وقفاً . وقالت اغفري لي ياأمي اذا كنتُ قد غلطت معكِ يوماً .. !

ولم ترد عليها أمها ، بل أنحنت وقبّلتها ، وانسحبت بعجل وغادرت الحجرة .

وبعد ان التقطت الملكة انفاسها طلبت مني رؤية اختها عابدية ، فدخلت عابدية . ووقفت قريبة من مخدع الملكة ، فطلبت منها الملكة ان تقترب منها ، وقالت تخاطبها : انكِ ياأختي كثيرة الافضال عليَّ في تربية فيصل ، وانا أطلبُ منكِ ان تبقي أمه بعد وفاتي ، كما كنتِ أمه دوماً ..

وسكتت قليلاً ، لتقول : أريد ان ارى مقبولة ..

ودخلت مقبولة ، وقبّلت اختها المريضة ، فقالت لها . اوصيك ياأختي ان تعني بزوجك ، فهو رجل طيب ، كما أنتِ طيبة ..

وارادت ان تقول شيئاً اخر ، الا ان مقبولة أنسحبت وخرجت متعثرة من الحجرة .

بعد ذلك ، بدت الملكة وكأنها قد صحت من كابوس ، . ودبَّ فيها قدّر من النشاط ، وطلبت رؤية أخيها عبد الاله . فجاءها - بعجلة وقلق ، وأرتمى على قدمي أخته الملكة دون ان ينبس بكلمة ، فسحبت الملكة رجليها وهي تقول : «استغفر الله» . ورأيت عبد الاله يشير إليّ بعينيه ان اخرج من الحجرة ، او هكذا يُخيّل إليّ . فنهضتُ لاخرج ، إلا ان الملكة أسرعت تقول : لا ، انا اريد ان يبقى دكتور كمال شاهداً على مأأقوله لك ، أمام الله ..

ثم اردفت تقول له : ياأخي عبد الاله . كان فيصل يتيم الاب . وعما قريب سيكون يتيم الأم ايضاً . فعدني ان تكون له أباً وأماً ، لأغفرلك كل ما مضى .. ! !

وأراد عبد الأله ان يقاطعها ، الا انها ردّته بجزم : عِدني امام الدكتور فهو شاهدي في دار البقاء .. عِدني ياعبد الاله ..

وكررت ذلك مرتين . فتمتم بالوعد

خرج من الحجرة ، وهي تُشيّعه بنظرات باردة . ثم سمعتُ الملكة تسائل نفسها ، قائلة : هل أطلب فيصل لأراه ؟ . ثم أردفت : لا ، فقد يكون نائماً . وطلبت مني ان أناولها صورته الموضوعة في إطار فضي عند رأس سريرها . فقبلّتها بحنان ، وبسطتها على صدرها ، واجهشت تبكي بارتياح ، واعقب ذلك اضطراب في تناسق انفاسها ، وهو اول علامات الاحتضار . وبعد نصف ساعة لفظت انفاسها الاخيرة» .

وأذاعت الحكومة - نص التقرير الرسمي الصادر عن هيئة الأطباء - وجاء فيه : «كانت صاحبة الجلالة الملكة عالية قد أصيبت منذ عدة أشهر بورم من نوع السرطاني في اسفل البطن أدى الى انسداد في الامعاء ، فأجريت لجلالتها عملية اولية مستعجلة لرفع هذا الانسداد ، أردفت بعملية ثانية ، وذلك بعد مرور ثلاثة اسابيع لأستصال الورم ذاته ، الا أنه تبيّن مع

الأسف استحالة هذا الاستئصال . وأستشير أشهر الاطباء لمعالجته وانقاذ حياتها الغالية ، إلا ان الارادة الإلهية شاءت ان تفشل كل تلك الجهود والمحاولات . وقد تحملت جلالتها آلام المرض ومتاعبه برباطة جأش وايمان صادق ، وكان صبر جلالتها باعثاً للاعجاب . وقد ساءت صحة جلالتها في الأيام الأخيرة ، واستولى عليها الهزال تدريجياً ، الى ان اختارها الله لجواره . ففاضت روحها الطاهرة صباح هذا اليوم ١١ ربيع الاول ١٣٧٠ هجرية المصادف ٢١ كانون الاول ١٩٥٠ في الساعة التاسعة والدقيقة العشرين في هدوء وسكينة» .

وفي الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة ٢٢ كانون الاول ١٩٥٠ شيعت الملكة عالية الى مثواها الأخير في المقبرة الملكية في الاعظمية . واطلقت المدافع مائة طلقة وطلقة عندما ووريت التراب .

وقد رثاها شقيقها الامير عبد الاله في كلمة وجهها الى الشعب العراقي ، قال فيها:

أيها الشعب العراقي الكريم :

أخاطبكم وأنا صابر على قضاء الله وقدره وعلى ماخلف هذا المصاب الفادح في قلبي من حسرة ولوعة مما لايمكن نسيانه طيلة حياتي ، فأبعث لكم بشكري الخالص على ما أظهرتموه في كل المناسبات التي رافقت مرض جلالتها من العواطف الغالية او بعد فجيعتنا بها باظهار أبلغ صور الألم التي تجلت في موكب التشييع ومواكب العزاء الشعبية وفي إقامة الفواتح في كافة أنحاء البلاد او برسائلكم وبرقياتكم او حضور وفودكم مما كان له أكبر الأثر في تخفيف وقع المصيبة على نفس جلالة الملك المفدى ونفسي وكافة أفراد الاسرة .

أيها الشعب العراقي العزيز :

فقدنا (عالية) في وقت نحن أحوج مانكون فيه اليها . افتقدها الشعب لأنها شبت منذ نعومة أظفارها منكرة لذاتها مكتملة الايمان تجد في عمل الخير واحقاق الحق لذة روحية لا تعدلها لذة . فكم واست مريضاً وحدبت على بائس ولاأنسى قولها وهي تجود بأنفاسها الأخيرة والألم يعتصرها (لقد تحملت كل أنواع العذاب في حياتي ولكني لم أذق نوعاً واحداً من العذاب أحمد الله على انني ذقته وعرفته الآن ذاك هو عذاب الجوع فلو مد الله في عمري لعرفت عن خبرة كيف اداوي آلام الجوع) .

وقد زهدت في ريعان شبابها في بهارج الحياة والملك فحصرت كل جهودها بالسهر على طفلها فيصل الحبيب وتربيته لاعداده اعداداً صالحاً للملك ولم تشغل طرفة عين عن هذا الواجب حتى في شدة وطأة الداء عليها والذي ينوء بحمله أشداء الأبطال من الرجال ، فوجهت خطابها بحضور عوادها الى فيصل (أسمع يابني فيصل عليك أن تحضر واجباتك المدرسية بنفسك لأني مريضة وقد يطول مرضي أو يحين أجلي فليس لي وأنا في هذا الحال أن ارشدك كل ساعة عما يجب أن تفعل او أنصحك بما يجب أن تقوم به فان منصبك لايملؤ بغير العلم والثقافة ومكارم الأخلاق . فاوصيك باغتنام كل فرصة لتعليم نفسك وتثقيفها) . ووجهت خطابها اليَّ في مناسبة اخرى قائلة :

(ليس لدي ماأوصيك به لفيصل لأنك أصبحت أباً لابن ليس هو ابنك ولكنك ستصبح له بعد الآن أباً واماً ويؤلمني ان حملك سيتضاعف) ثم التفتت الى الدكتور كمال السامرائي قائلة (اشهد يادكتور على ماأقول).

وقد دهش الساهرون على خدمتها وتمريضها من الأطباء وغيرهم من جلدها وصبرها وكثرة الرضا والامتنان.

وحين فاضت روحها غلب على والدتنا البكاء وقالت ان الام لايجوز لها أن تبكي ابنتها التي ماتت في يوم المولد النبوي المبارك وقد استشهدت جائعة عطشى كما استشهد جدها الحسين. ثم استسلمت للصبر.

وافتقدتها أنا فلم تكن لي شقيقة فحسب وانما كانت صديقة صادقة ومرشدة وفية وناصحة أمينة في كل أمر من الامور فاذا ماأدلهم الخطب وتعقدت سبل الرجاء الهمتني الصبر والرأي السديد فافتقدت بها صديقاً اميناً وفياً واذا ماسكبت عليها الدمع فليس ذلك بدافع حنان الاخوة فقط وانما لكونها انساناً كاملاً تجمعت لديه كل صفات البطولة والمثل العليا.

رحم الله (عالية) فقد عاشت طاهرة وماتت طاهرة وسأذكرها وأندبها وقد طواها الموت كما تذكر الصالحات الطاهرات معتصماً بقوله تعالى (الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون).

وبعد فبأسم جلالة الملك المعظم وباسمي وباسم افراد اسرتنا اكرر لكم تقديري على نبل عواطفكم شاكراً اولئك الذين لازموا جلالتها واضناهم السهر في خدمتها طيلة مدة مرضها داعياً الله سبحانه وتعالى أن يحفظ لنا صاحب الجلالة الملك المفدى ويحرسه بعين عنايته ويمده بتوفيقه وان يسكن الفقيدة الغالية فسيح جناته وأن يمن على الشعب العراقي النبيل بدوام العز والمجد ويلهمنا واياكم الصبر الجميل».

وهكذا ماتت الملكة عالية، وهي في ريعان شبابها، تاركة وحيدها المليك الفتى فيصل الثاني، تحت رعاية شقيقها الامير عبد الاله، الوصي على عرش العراق، وتحت رحمة الاقدار..!





خاله

الامير عبد الاله



الامير عبد الاله

ولد «عبد الاله» في ٢٤ تشرين الثاني عام ١٩١٣م الموافق ٢٤ ذي الحجة الحرام عام ١٣٣١ هجرية في مدينة الطائف في بيت جده لوالدته الملكة نفيسة كريمة الشريف عبد الاله باشا أمير مكة المكرمة .

والشريف عبد الاله باشا ، هو عم الملك حسين بن علي ، انتقلت إليه إمارة مكة بعدوفاة شقيقه الشريف عون الرفيق – حسب تقاليد شرافة مكة ، غير انه توفي في الاستانة عام ١٩٠٨م زفقاً الى عام١٣٢٦هـ قبل ان يصل الى مكة المكرمة . فانتقلت الشرافة الى ابن اخيه الملك الحسين بن علي عام ١٩٠٨ .

وقد رافق الامير عبد الاله والده الى العراق ، عندما أضطرته ظروف الحرب السعودية ، الهجرة اليه في اوائل عام ١٩٢٦ ، فنزل في بغداد ، وكان في إبان نشأته.

وفي اوائل عام ١٩٢٨ بعثه والده الى القدس ليدرس هناك في كلية دينية اسلامية ..

وفي اواخر شهر اكتوبر «تشرين الاول» من نفس السنة انتقل من هذه الكلية ، للالتحاق بكلية فكتوريا بالاسكندرية ، للتوسع في اللغة الانكليزية وادابها ..

وبعد ان مكث فيها ثلاث سنوات متوالية ، غادر كلية فكتوريا الى انكلترا للتخصص بعلمي الاقتصاد والسياسة.

وفي عام ١٩٣٢عاد الى بغداد ، وأقام في كنف والدته ، ورافقها في عدة رحلات الى الاستانة «اسطنبول» للاصطياف .

كان عبد الاله أطول قامة من أي فرد من افراد عائلته ، وكان جميل البشرة ، ولربما ورث ذلك من جدته القفقاسية وجداتها .. ! !

ويروي العقيد دي كوري في كتابه «ثلاثة ملوك في بغداد» ان عبد الالهقال مرة ، «أنني لأستغرب كيف اكون أنا عربياً ؟ !» .. وراح يُعَدد اسلافه الذين يحملون دماء غير عربية .. ! !

لقد استطاع الملك فيصل الاول ان يُروّض اخوانه الكبار على التطور ببطء مع مرور الزمن ، غير ان الجيل الاصغر من العائلة لم يكن على استعداد لمثل ذلك ..

فلقد أقدم الامير زيد وغازي وعبد الاله جميعاً ، على ارتداء الملابس الغربية . وراحوا يتلأمون مع وسائل الحياة الغربية ، ولذلك فلم يكن بالأمر الشاذ ان يغدو اصغرهم – وهو عبد الاله – شديد الاهتمام ، لان يبرع في مثل تلك الوسائل . لقد أضاع فرصة تعلمه في اوربا ، في الوقت الذي حصل فيه الاخرون على درجات في ذلك ، غير انه استطاع ان

يتعلم ماقدر على تعلمه ، عندما التحق بكلية فكتوريا بالاسكندرية ، وهي مدرسة عامة تدار حسب الاسس البريطانية ، ويرأسها المستر «ريد» .

وجدت «نفيسة» - والدة عبد الاله - ان من العسير عليها ، في أول الأمر ، ان تتحمل وضعها الجديد في العراق ، كشخصية ضئيلة الأهمية نسبياً ، وليس لديها سوى القليل من المال ، وتأتي في المنزلة وراء نساء الشقيق الأصغر لزوجها .

وحين تزوج الملك غازي ابنتها «عالية» داخلها السرور ، وتعاظم ذلك السرور بعد ان أنجبت له ولداً هو حفيد «نفيسة» حقاً ..

غير أنها أصبحت أكثر سعادة وبشكل صريح ، عندما تولى أبنها عبد الاله منصب «الوصاية» !

فعندما صُرع الملك غازي في حادث سيارة في نيسان ١٩٣٩ .. عقد مجلس الوزراء اجتماعاً مستعجلاً في قصر الزهور ، واتخذ قراراً بتنصيب الامير فيصل ولي العهد ملكاً على العراق ، وتسمية عبد الاله وصياً على الملك ، نظراً لعدم بلوغه سن الرشد القانونية .

وهكذا اصبح الامير عبد الاله بن الملك علي بن الحسين وصياً على عرش العراق ، وهو في السابعة والعشرين من العمر !

ويحكي علي جودت الايوبي - احد رؤساء الوزارات العراقية - في مذكراته قصة ترشيح الامير عبد الاله وصياً على العرش ، بعد مصرع الملك غازي ، وما دار في الاجتماع الخاص الذي عقد في البلاط الملكي ، والذي حضره ، رئيسا مجلس الاعيان والنواب ، ونوري السعيد رئيس الوزراء ، ورستم حيدر رئيس الديوان الملكي ، ورشيد عالي الكيلاني وجميل المدفعي وعلي جودت الايوبي من رؤساء الوزارات .فيقول عن ذلك :

«اقترح نوري السعيد ، ان يكون الوصي احد افراد العائلة الهاشمية .. فعقبه رستم حيدر قائلاً : ان الملك غازي كان قبل وفاته قد أوصى زوجته الملكة عالية ، بان يكون الامير عبد الاله وصياً على فيصل ، في حالة اصابته بمكروه ما ..

فأعترضتُ - أنا - على وصاية عبد الاله ، وبينت للحاضرين قائلاً :

- ليس من الحكمة ، ولا من المصلحة ، ان يكون رجل بمثل هذا العمر وقلة التجربة ، ولاسيما في مثل هذه الظروف وصياً على الملك مدة طويلة ، قد تقع خلالها أزمات واحداث خطيرة ، تستوجب معالجتها جمع زعماء البلاد ، وترؤسهم من قبله ، والتحدث اليهم فيما تقتضيه مصلحة البلاد ، لذا أرجح ان يُعهد بهذه المهمة الخطيرة الى رجل ذي حنكة ومرونة ، ليتمكن من انقاذ الموقف في المدلهمات من الاحداث ..

قال رستم حيدر : أن الملك عبد الله مشغول في شرق الاردن ، فلا يمكن تكليفه بمنصب الوصايه . الامير زيد متزوج بأمرأة تركية ، فلا يستحسن ان يمارس واجبات الوصاية ..

وتكلم اخرون . فأظهرو تأييدهم لوصاية عبد الاله .. فشعرت بدوري بان الذوات المحترمين ميالون جميعهم الى اسناد منصب الوصاية الى الامير عبد الاله ، فيما عدا جميل المدفعي ، الذي كان ميالاً الى تولي الامير زيد ، ولكنه كان متحفظاً في تصريحاته ضد ترشيح عبد الاله ! » .

أصبح عبد الاله ، ذلك الامير الخجول ، المغرم بالخيول وبالارياف – كما وصفه العقيد دي كوري ، الملحق العسكري في السفارة البريطانية ببغداد – وصياً على ابن اخته الطفل البالغ من العمر أربع سنوات . وبقي في هذا المنصب اربع عشرة سنة، الى ان بلغ الملك فيصل الثاني سن الرشد ..

وهكذا يكون الامير عبد الاله قد حكم مدة اطول من حكم فيصل الاول وغازي ، وفي أوقات أشد عسراً ، واكثر خطورة !

وعندما قام رشيد عالي الكيلاني بحركته الثورية في مايس ١٩٤١ ، هرب الامير عبد الاله الوصي على عرش العراق الى البصرة ومن ثم الى الاردن .

وفي ١٠ نيسان ١٩٤١ عقد مجلس الامة العراقي جلسة للنظر في غياب الوصي عن العراق ، وانتخاب بديلاً عنه . وتم فعلاً انتخاب الشريف شرف وصياً جديداً لعرش العراق .

والشريف شرف ، هو ابن الامير راجح بين الامير فواز بن الامير ناصر بن الامير فواز بن الامير عون . ويلتقي في نسبه مع الملك حسين بن علي ملك الحجاز .

وبعد فشل حركة الكيلاني ، عاد الامير عبد الاله وحاشيته الى العراق ، ونزلوا في «الحبانية» – حيث القوات البريطانية تعسكر فيها – يوم ٢٥ أيار ١٩٤١ . وقامت الطائرات البريطانية بتوزيع بيان اعدّه الامير عبد الاله بمناسبة عودته الى العراق ، يهاجم فيه الحركة الثورية ، ويتهم زعماءها بالخيانة والغدر ، ويدعو الى الهدوء والسكينة والنظام !

ومن المفارقات الطريفة ، ان الشريفة «ملك خانم» جدة الامير عبد الاله أبرقت اليه من اسطنبول في ٢٦ نيسان ١٩٤١ ، طالبة تسفيرها مع ابنة اخيها «مصباح خانم» الى العراق ، لزيارته وتفقد احوال العائلة ..

وكانت الامور انذاك – كما مرّبنا – غير مستقرة ، وتنبئ بعواقب وخيمة ، فأجاب الامير عبد الاله على برقية جدته ، بايقاف سفرتها الى العراق (نظراً للوضع الراهن في سوريا وفلسطين) ! !

وفي الرابع من ايار ١٩٤٢ صدر الحكم بالاعدام على يونس السبعاوي ورفاقه من اقطاب حركة رشيد عالي الكيلاني التحررية ، وفي نفس اليوم صدّق عليه عبد الاله . وفي مساء اليوم الثاني أسرعت السلطات باتخاذ الترتيبات اللازمة لوضع الحكم موضع التنفيذ ، وسط اجراءات مشددة تقتضي بالاستعجال والتكتم !

وما ان ذاع خبر الاعدام - كما يقول خيري العمري في كتابه «يونس السبعاوي» وسرى بين الناس . حتى وقع على الشعب وقوع الصاعقة بحيث هزَّ مشاعره هزاً عنيفاً . وفجر إحساسه تفجيراً عميقا . رغم وسائل الكبت التي انتهجتها السلطات في مطاردة المواطنين . ومنعهم من التعبير عن مشاعرهم . وزجهم في معتقلات الفاو . واحالة عدد كبير منهم الى المجالس العرفية . وفصل طائفة غير قليلة من وظائفهم وملاحقتهم في أرزاقهم . بشكل جعل البلاد ترزح في جو من الارهاب . فقد ظهر بوادر تُعبّر عن المشاعر الكبوتة . أنعكست في اندفاع عدد من فتيات بعض المدارس في ارتداء السواد حداداً على هذه الفاجعة الوطنية . وفي انتشار قصيدة (معروف الرصافي) التي رثى بها الشهداء . ومبادرة العناصر الوطنية الى طبع اعداد كثيرة منها وتوزيعها بصورة سرية على نطاق واسع . أثار نقمة دوائر الامن . فراحت تتحرى بمختلف الوسائل وشتى الطرق عمن يختفي وراء هذا النشاط . ويقوم بهذه التدابير . لاسيما وقد بلغ من سعة ذيوعها . وجرأة توزيعها . انها اقتحمت اسوار البلاط الملكي . بحيث وجد الوصي عبد الاله نسخة منها مرضوعة بين الاوراق المرفوعة اليه . ولما أخذ يقرأ أبياتها التي تتفجر بالغضب . وتنذره بانتقام الشعب . ووصل الى المكان الذي يقول فيه الرصافي :

شنقوكم ليلاً على غير مهلٍ ثم دسّوا جسومكم في الرمُوس
هكذا الخائف المُريب يُواري فِعلةَ السوءِ منه بالتفليس
فاستحقوا اللعن الذي كررته خاليات القرون في إبليس

حتى أمتقع وجهه . وأرتجف جسمه . ولم يستطع ان يواصل القراءة . وثارت أعصابه . فأرعد وأزبد . وأمر باجراء تحقيق عن كيفية تسلل هذه القصيدة الملعونة الى مكتبه . ومعاقبة الموظفين عن ذلك بأقسى العقاب .

وقد حاولت أم السبعاوي . بعد ان حطم شبح الاعدام اعصابها . وهي أمراة متقدمة في السن . ان تعمل شيئاً لانقاذ ولدها . رغم انه - اي السبعاوي - أوصى عائلته بعدم مراجعة أحد . فسعت الى مقابلة عبد الاله . الا انه رفض مقابلتها فاسرعت الى مقابلة امه «الملكة نفيسة» مقابلة قصيرة قالت لها خلالها :

- أنت أم . قبل ان تكوني اميرة وملكة . لكِ ابن واحد . شأنك شأني . تعرفين مبلغ تعلق الام بولدها الوحيد . فكيف اذا كان ذلك الولد قد رزقتُ به بعد ان فقدت قبله ثلاثة عشر ولداً .. ناشدتك بأسم الامومة ان تبادري الى انقاذ ولدي من حبل المشنقة الذي ينتظره .

ولكن هذه الكلمات المؤثرة التي تنطقُ بها ام مفجوعة . وتفتت الحجر . لم تحرك مشاعر الرحمة عند أم الوصي عبد الاله . بل بادرتها بكلمة تركية فاهت بها بعصبية وخشونة . فوقفت ام السبعاوي بشموخ وأباء . وارتدت عباءتها . وقبل ان تنصرف رفعت يدها . وأتجهت ببصرها الى السماء قائلة . والعبرةَ تخنقها : «اسأل الله ان يكون مصير ولدك كمصير ولدي ..» وحضر الامير عبد الاله مع نوري السعيد ساعة اعدام يونس السبعاوي من باب الشماتة به .

وتشفياً لحقد دفين في نفسه . فانطبعت صورة هذا المنظر في ذهنه ، وأخذ شبح السبعاوي يلاحقه مدة من الزمن ، يؤرق نومه ، ويقض مضاجعه ، فترآءى أمامه منتصباً مهدداً ، بحيث كثيراً ما كان يفيق من نومه مذعوراً خائفاً .. !

ومن يدري فلعل هذا الشبح تراءى له مرة اخرى ، وانتصب امامه في اخر ساعاته ، وهو يواجه مصيره صبيحة يوم ١٤ تموز ١٩٥٨»! .

وفي يوم ٢٥ كانون الاول ١٩٤١ اجتمعت المحكمة العليا - بعد ان وجهت وزارة نوري السعيد السادسة سؤالاً عما : اذا أنقطعت ولاية العهد بفقدان الذكور من ورثة الملك فيصل ، هل تنتقل الولاية الى الاناث من ورثته ؟ .. وعند عدم جواز ذلك ، فهل ان التصرف في هذه الناحية يغير من حقوق الشعب؟ .. وان المادة العشرين من القانون الاساسي العراقي قد نصت على ان : «ولاية العهد لأكبر ابناء الملك سناً على خط عمودي ، وفقاً لقانون احكام الوراثة»

اجتمعت المحكمة العليا في العراق وأصدرت قرارها الآتي :

«لدى المذاكرة في هذا الموضوع ، رأت المحكمة ان عبارة الابناء ، تفيد الذكور حصراً ، ولاتشمل الاناث ، في حالة انقطاع ولاية العهد - لاسمح الله - ترى المحكمة ان التصرف في هذه الناحية حينذاك يعود الى الأمة بحكم المادة (١٩) من القانون الاساسي» .

وعندما شُرع في تعديل القانون الاساسي ، جعلت المادة (٢٠) من القانون ، فقرة اولى أضيفت اليها فقرة جديدة هي :

٢ - اذا شغرت ولاية العهد نظراً لقانون الوراثة ، فأنها تنتقل الى أرشد رجل عراقي من ابناء أكبر ابناء الملك حسين بن علي مدة شغورها» .

ولما كان أكبر ابناء الملك حسين بن علي هو الملك علي . ولم يكن للملك علي من الذكور غير الامير عبد الاله بالذات ، فقد أتخذ مجلس الوزراء القرار التالي في جلسته الثانية والسبعين المنعقدة في ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣ (ايام الوزارة السعيدية السابعة) !

واستمع مجلس الوزراء الى الملاحظات التي ادلى بها فخامة رئيس الوزراء حول انطباق نص الفقرة الثانية من المادة التاسعة من تعديل القانون الاساسي رقم (٦٩) لسنة ١٩٤٣ : على صاحب السمو الوصي المعظم . وكون سموه اصبح ولياً للعهد بحكم القانون ، فقرر المجلس بالاجماع مايأتي :

«أن الفقرة الاولى من المادة التي أشار اليها فخامة رئيس الوزراء تجعل ولاية العهد لأكبر أبناء الملك سناً على خط عمودي ، وفقاً لاحكام قانون الوراثة ، وأن الفقرة الثانية منها صرحّت بأن ولاية العهد اذا شغرت فأنها تنتقل الى أرشد رجل عراقي من أبناء أكبر أبناء الملك حسين بن علي ، مدة شغورها . وحيث ان صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني لا زال تحت الوصاية ، ولا يوجد له ولد . فأن ولاية العهد تعتبر شاغرة بطبيعة الحال . ونظراً الى أن الأوصاف والمؤهلات

المبحوث عنها في الفقرة الثانية من المادة الآنفة الذكر . تنطبق على صاحب السمو الأمير عبد الأله الوصي على العرش تمام الأنطباق ، لانه أرشد رجل عراقي من أبناء جلالة الملك علي ، الذي هو أكبر أبناء جلالة الملك حسين بن علي ، لذا فقد أصبح سمو الأمير عبد الأله ولياً للعهد على عرش المملكة العراقية . بحكم الدستور ، فقرر تسمية سموه بـ (صاحب السمو الوصي وولي العهد لملك العراق) . وأعلان ذلك الى الحكومات ، ونشره في الصحف ، وتبليغ كل من وزارات الدولة ودواوينها بذلك وتقديم نسخة من القرار الى مجلس الأمة» .

أقترن الأمير عبد الاله أول مرة بسيدة مصرية تدعى «ملك فيضي» في عام ١٩٣٥ . فطلقها بعد توليه منصب الوصاية في عام ١٩٣٩ .

وفي تشرين الأول ١٩٤٨ أقترن الأمير عبد الأله مرة ثانية بالأنسة فائزة الطرابلسي ، بنت كمال الطرابلسي (المصري الجنسية) . فبقيت في عصمته مدة قصيرة ، اذ طلقها في ٢٦ تشرين الأول ١٩٥٠ بحسب رغبتها . كما جاء في بيان التشريفات الملكية الصادر في بغداد في ٢٧ من الشهر نفسه ! !

وفي الخامس عشر من حزيران ١٩٥٦ أقترن الأمير عبد الأله للمرة الثالثة بالأنسة هيام كريمة الشيخ محمد الحبيب ، أمير ربيعة . وقد حضر عقد القران. الملك فيصل الثاني وأمير ربيعة ، ورؤساء الوزراء وكبار الشخصيات العراقية . وكان الشيخ عبدالله السالم الصباح أمير الكويت يزور بغداد في هذه الأيام فحضر الحفلة يصحبه بعض شيوخ الكويت .

لم ينجب الأمير عبد الأله من هؤلاء الثلاثة . أية ذرية - لأنه - كما ثبت طبياً - كان عقيماً !

لم يكن عبد الاله ذا شأن يذكر قبل ان يتولى الوصاية .

فقد كان موظفاً صغيراً في وزارة الخارجية العراقية ، يهو الخيل والسباق . وأكثر أصدقائه من مربي الخيول وسياسها .

بدأ يوثق صلته بالقادة الأربعة . وبغيرهم من قادة الجيش الأخرين المعروفين بميولهم ضد الانكليز عن طريق العقيد الركن محمود سلمان المرافق الأول للملك غازي . وكان يظهر لهم تمسكه بالعروبة وغيرته على مصالح العراق والعرب ، فوثقوا به .

وبدأ أول أدواره على مسرح السياسة العراقية حين كشف أو شارك في وضع خيوط المؤامرة التي قيل عنها أنها كانت تستهدف أغتيال عدد من السياسيين ومن قادة الجيش ممن قضوا على بكر صدقي .

ومدة وجوده في العراق لم يطلب التجنس بالجنسية العراقية الأبعد أن أصبح ذلك أمراً لازماً حين صار وصياً على العرش .

وكان شخصاً غير محبوب من أبناء الشعب والأحزاب . ومن العديد من رجالات الحكم . لا سيا بعد أن صادق على تنفيذ حكم الاعدام بقادة وزعماء الحركة الثورية التي قادها رشيد

عالي الكيلاني في عام ١٩٤١ . ومرّ شخصياً بهم وهم معلقون على أعواد المشانق في باب وزارة الدفاع ، متشفياً ! !

ويذكر أن نوري السعيد عرض على عبد الأله بأسم الحكومة العراقية هبة مقدارها نصف مليون دينار . اذا هو وافق على أشغال منصب سفير العراق في (لندن) أو (واشنطن) ليفسح المجال للملك فيصل الثاني العمل منفرداً ، ولكنه رفض هذا العرض مع أنه كان قد أعلن قبل تنسم الملك فيصل الثاني سلطاته الدستورية عند بلوغه سن الرشد القانونية . بأنه سيترك الملك ليشق طريقه بنفسه ، ولكنه غيّر رأيه ، وأعلن أنه سيستمر في بقائه الى جانب الملك حتى زواجه ! !

ويحكي لنا الدكتور كمال السامرائي عن الأمير عبد الاله[1] . قائلاً : وعبد الأله أصغر من أخته مقبولة وأكبر من جليلة ، في وجهه وسامة . إلا اذا تبسم ضاحكاً فتبدو ملامح مصطنعة . وهو - كما يدّعي - أطول أفراد الأسرة الهاشمية ، وهوايته الاولى مشاهدة سباق الخيل . وله ، وللملك فيصل ، مقصورة خاصة تشرف على ساحة السباق في منطقة المنصور ببغداد . كما كان يهوى رياضة صيد أبن آوى في ضواحي بغداد . أو في جزيرة «أم الخنازير» القريبة من الدورة . وكان نادي صيد أبن آوى ، الذي كان عبد الاله أحد أعضائه ، يقيم حفلات سنوية في بهو أمانة العاصمة المجاور لوزارة الدفاع يحضرها من ضمن المدعوين بعض الوزراء وضباط الحرس الملكي .

وعبد الاله يدخن بكثرة ، ويشرب الويسكي حتى تنتفخ جفونه ، وتحمر عيناه وحينذاك ينكمش في غرفته يجالس فيها ضابط الخفر بالقصر . وهو ، مثل أخواته ، يحترم أمه ويخشى سخطها . ولا اعتقد انه يقابلها وهو مخمور ، أو في فمه سيكارة . وتصرفه المنظور مريح ، وقد يخرج عن طوره اذا أغتاظ فلا يتساهل مع من يستغفله أو يغالطه . ومما يدخل بهذا المعنى . ما حدث ذات يوم في مكتبةالقصر حين كان البيطار الانكليزي الميجر جادوك والدكتور دكسن فرث يلعبان الشطرنج ، وعبد الاله يتابع اللعبة واقفاً . في تلك اللحظات رن جرس التلفون . فرفع تحسين قدري السماعة الى أذنه : وطال الحديث بينه و بين المتكلم في الطرف الثاني . ثم التفت نحو عبد الأله وهو يُغطيّ سماعة التلفون براحة يده وقال : جماعة يطلبون مقابلة سموكم . عاجلاً أن أمكن . فقال عبد الأله . بعد لحظة تفكير : ليأتوا . وبعد أقل من نصف ساعة كان في المكتبة خمسة اشخاص . عرفت من بينهم جواد جعفر وذيبان الغبان ، أما الثلاثة الأخرون فلم أعرفهم ، مع أن وجوههم لم تكن غريبة عني . وبعد لحظات . والزائرون واقفون ، رفع عبد الأله رأسه عن رقعة الشطرنج . وقال يخاطب جواد جعفر : تفضل أستاذ جواد .. خير أن شاء الله . ما هو الأمر العاجل لهذه الزيارة ؟!

---

(١) في مقال له نشره عن «الأيام الاخيرة في حياة الملكة عالية» في العدد ٨ (آب ١٩٨٧) في «آفاق عربية» .

كان عبد الاله يعرف جواد جعفر . الذي كان لمدة طويلة يعمل سكرتيراً في مجلس الوزراء . وكان قد حدث بينهما لاحقاً خلاف على تحديد أرضيهما المتجاورتين في كرادة مريم . فرفع جواد جعفر شكوى الى القضاء ، ثم سُوّيت القضية صلحاً .

قال جواد جعفر يخاطب عبد الأله : تعرفون سموكم أن للسيد عبد المهدي خدمات كثيرة لسموكم ولهذا البلد . وهو الآن موقوف في مركز شرطة الكرادة . فلو يتفضل سموكم وتأمرون بأخلاء سبيله بكفالة ..

وهنا قاطعه عبد الأله ليسأله : من هو الذي أمر بتوقيفه ..؟!

فأجابه جواد جعفر : انه حاكم الكرادة سلمان بيات ..

فسأله ثانية : ولماذا أمر بتوقيفه ..؟!

فأجابه جواد جعفر : بتهمة التحريض على قتل الشيخ خيون ..

وبعد لحظات ، وعبد الأله يحدّق في وجه جواد جعفر ، قال له : أستاذ جواد .. أنت أشلون تقبل أن أتدخل بأختصاصات القضاء ..؟!

ثم أردف بغضب : أتصلوا بالحاكم بالطرق الأصولية ، والأمر بيده لا بيدي ، ولا تجعلوني وسيطاً لكم .. لا .. هذا ما لا أعمله ..

وأدار ظهره لجواد جعفر ورفاقه ، وعاد يتابع لعبة الشطرنج . وأنسحب الزائرون خارجين من المكتبة !..

ويقول الدكتور كمال السامرائي عن الأمير عبد الأله أيضاً أنه كان لا يحضر مجلسنا بعد العشاء ، الأاذا حضره نوري السعيد . وكان يحترمه ويحجم عن مقاطعته اذا تكلم ، ويخاطبه بلقب «باشا» دون ذكر أسمه ، بينما يخاطب الوزراء بأسمائهم أو بلقب «بك» بعد أسمائهم . أما نوري السعيد فيخاطب عبد الأله بلقب «سمو الأمير» ويخاطب الوزراء بلقب «بك» أو «أستاذ» !

وكان الأمير عبد الأله قد تخلى عن (الوصاية على عرش العراق) عندما تسلم الملك فيصل الثاني سلطاته الدستورية عند بلوغه سن الرشد في الثاني من مايس ١٩٥٣ – بعد أن مارسها منذ الرابع من نيسان ١٩٣٩ .

أعلن الأمير عبد الأله في ليلة الاول من مايس ١٩٥٣ أنتهاء حكم وصايته وأذاع الكلمة التالية :

«أيها الشعب العراقي النبيل ..

أبدأ بالحمد والشكر لله تعالى على حلول هذا اليوم السعيد . وتسلم جلالة الملك فيصل الأمانة مني . وأني لسعيد أن أعلن هذا اليوم للشعب العراقي الكريم أبتهاجي ومشاركتي إياه أفراحه . ولي وطيد الأمل والثقة بالله بأن عهد جلالته سيكون سعيداً ، وعهد خير وبركة وسلام للجميع . فقد شاءت أرادة الله تعالى قبل أربعة عشر عاماً أن أتحمل مسؤولية العرش بعد فجيعتنا بفقدان أخي غازي طيب الله ثراه . وأقول أخي ، لانه كان أخاً حميماً ، وقد كنا ، نحن

أحفاد الحسين . نعيش في كنف جد كريم عظيم — كان يرعانا جميعاً بعطفه وحبه وحنانه ، ذلك هو الحسين ، رضوان الله عليه . أما أبناؤه الذين كنا نراهم ، فقد أنصرف كل واحد منهم للعمل حسبما تقتضيه قيادة النهضة العربية التي كانت آنذاك تغلي وتفور . وكانت حياتنا في ذلك الجو العائلي حياة أخوة صادقة ومحبة خالصة . ثم تشاء المقادير أن تجمعنا بعد حين في عاصمة فيصل . وهنا في بغداد رحتُ وأياه نستظل برعاية والدينا . وترعرعنا في كنفها أخوين شقيقين ، حتى اذا تولى جلالته شؤون الملك ، وبسمت له ولنا الحياة ، فجعنا بوفاته على حين غرة ، فكانت مصيبتي بخسارته جسيمة ، وحزني عليه عظيماً . فكان عليّ أن أقوم بواجبين خطيرين هما السهر على رعاية جلالة الملك وتهيأته لهذا اليوم ، والقيام بممارسة سلطات الملك الدستورية بحكم الوصاية .

والآن ولله الحمد أنني لفي غبطة وراحة ضمير لاعتقادي بأني قد قمت بواجباتي ضمن أمكانياتي الدستورية بحرص وأخلاص لخدمة المصلحة العامة وسلامة المملكة وتوطيد أركان العرش . وأني لفخور ولله الحمد بأن جلالته هو الآن مهيأ للقيام بكل جدارة وخلق كريم . ومما لا شك فيه أن لشقيقتي عالية – رحمها الله النصيب الأوفر في هذا الاعداد . وأن ما يتمتع به جلالة الملك من صفات ومؤهلات حميدة هي ثمرة تلك الجهود . ولا يسعني وأنا أخاطبكم الا أن أبعث لكم جميعاً بمزيد شكري على كل ما لمسته منكم من عون ومؤازرة وأخلاص خلال مدة وصايتي ، مشيداً بجهود رجالات البلد وقادة الرأي فيه ، شاكراً للجميع هذه الروح . راجياً الخير والفلاح . وبعد أن أنهيت مهمتي ، أضع خدماتي تحت تصرف مليكي العظيم . مستعداً للقيام بأي خدمة تقضيها مصلحة الشعب ووطني العزيز . وختاماً أسأله تعالى أن يوفق جلالته في العمل على ما فيه خير هذه الأمة ، ويجعل عهده أياماً حافلة بالعز والسعادة أنه سميع مجيب والسلام عليكم» .

ولم يَدعْ الأمير عبد الأله للملك الشاب الذي تسنم سلطاته الدستورية أن يمارس تلك السلطات بمفرده ! !

وعندما أشير عليه ذلك من قبل المقربين اليه ، ومن قبل رجال الأحزاب المعارضة في بياناتهم ومقالاتهم التي كانت تنشرها صحفهم ، قال الأمير عبد الأله أنه فعلاً سيترك تدخلاته . وأنه سيقوم بسفرات الى دول عديدة ، ليبتعد عن الحكم !

كانت زيارات الأمير عبد الأله الى الخارج متواصلة ، فتارة الى لندن واخرى الى أمريكا ، واليابان ، وفرموزا ، والباكستان ، وتركيا . ومصر . ولبنان . وكانت هذه الزيارات ، تقع مرتين أحياناً في السنة الواحدة ! !

ولقد وجهت اليه النقد على تلك الزيارات . وقال منتقدوه أن تلك الرحلات تظهر بجلاء كيف كانت تلعب به أيدي الغربيين والأجانب ! !

وفي حديث صحفي نشرته مجلة «المصور» القاهرية ، غداة تسنم الملك فيصل الثاني سلطاته الدستورية . قال الأمير عبد الأله – لمندوب المجلة عندما سأله عن مشروعاته بعد أن أنتهت مهمته كوصي على عرش العراق :

– ليس عندي مشروعات الآن . وقد أذهب لحضور حفلات تتويج ملكة الأنكليز ، وهذا ما لم يتقرر بعد . وعلى كل حال ، فأنني أدرك الآن في وسعي الذهاب الى حيث أريد وبملء حريتي ، دون أن أخضع للقيود التي كنتُ أتقيد بها من قبل . وهناك أشياء كثيرة أريد أن أصنعها ، وكنت أحجم عنها وأنا وصي على العرش ، بحكم هذا المنصب وواجباته ..

• ألا تزورون مصر قريبا ..؟

– بودي أن أزور مصر . وعلى الخصوص الأسكندرية التي فيها ذكريات وأصدقاء !

وقصر الرحاب ، الذي يقيم فيه الملك فيصل مع خاله ، مُلك للأمير عبد الأله . وقد بناه وأطلق عليه أسم المكان الذي يقع فيه ، وسكنه في سنة ١٩٣٩ . وفي حدائق هذا القصر حظيرة الجياد الأصيلة التي يملكها الأمير ، والتي تُعدُّ من خيرة الجياد في البلدان العربية .

وحديث عبد الأله عن الخيول ، حديث عارف خبير :

– أنني لا أسمح لغير الخيول العربية الأصيلة بالأشتراك في حفلات السباق ببغداد ، ونحن حريصون جداً على المحافظة على نسل خيولنا . وفي بغداد نحو ثلاثة الألف حصان في مجال التمرين على السباق . ويُسجل سنوياً نحو الألف وخمسمائة حصان لهذا الغرض . ويبلغ مجموع خيول السباق هنا نحو عشرة الألف حصان ، وليس في العراق أسطبلات بالمعنى الذي تعرفونه في مصر ، غير الأسطبل الملكي ، وفيه خيول جيء بها من مختلف الأقطار العربية ، ولكن معظمها من العراق ..

وقد شاهدنا في الأسطبل ١٥ فرساً ، وهناك كثير غيرها في مزرعة الأمير البعيدة عن بغداد ، وأحب خيول الحظيرة الى الأمير فرس بيضاء أسمها «قبيلة» وعمرها ٢٠ سنة وهي من الدليم» .

والأمير عبد الأله من هواة الطيور . وعنده منها في حدائق قصره مئات يعنى بها بنفسه وكلها من طيور المناطق الحارة . وبينها مجموعة نادرة من الببغاء الأليفة .. بعضها ينطق بكلمات عربية !

• •

وعن ترشيح الأمير عبد الأله ليكون ملكاً على ليبيا ، يروي لنا العقيد يوسف شفيق النائب – الذي كان مرافقاً للملك فيصل الثاني منذ فشل حركة رشيد عالي الكيلاني ، وحتى نهاية عام ١٩٥٦ ، والذي كان مُطلعاً على أسرار العائلة المالكة – عن ذلك الترشيح ، فيقول : «كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد بدأت تضع أستراتيجية جديدة في المنطقة العربية وبدأت سياسة «الأحتواء» تسود في عام ١٩٥٤ ، وتم الاتفاق بين بريطانيا والولايات المتحدة على ما أسمي (آنذاك) بـ «الحزام الواقي» .. وهو التعبير الذي تردد عام ١٩٥٤ – للأستراتيجية الامبريالية – البريطانية الأمريكية .

وكانت تحكم ليبيا في تلك الأيام العائلة السنوسية ، وعلى رأسها الملك العجوز أدريس السنوسي . فأرادت الولايات المتحدة أن تبدله بشخص يميل اليها . فأقترح الدكتور محمد فاضل الجمالي – رئيس وزراء العراق في تلك الحقبة – على أصدقائه الأميركان أن يكون الأمير عبد الأله ، ملكاً على ليبيا ..

طلب مني الأمير ، في أحدى الليالي ، أن أصحبه في تمشّيه في حدائق القصر ، قال لي ضاحكاً :

– أمشي معي .. يازعيم المعارضين ..! (هكذا كان يلقبني لمعارضتي له في أحدى المرات) .. ثم أردف ، بعد أن خطونا بضع خطوات ـ قائلا : هل تأتي معي الى ليبيا .؟! وقبل أن أجيب ، والأستغراب يستحوذ عليّ ، قال : لقد رشحتك مع عدد من الضباط والسياسيين .

قلتُ له : لا أوافق ياسيدي ، لاني سأكون دائماً الى جانب جلالة الملك فيصل الثاني ، وسكت ولم يجب .. وأسدل الستار . بعد أيام عن ترشيحه ملكاً على ليبيا ، لان بريطانيا وقفت موقفاً معارضاً ومعانداً ضد ذلك الترشيح ! !

° °

ويروي فالح حنظل – الضابط في الحرس الملكي – في كتابة «أسرار مقتل العائلة المالكة في العراق» عن الأمير عبد الأله قائلاً : «كان أسود الشعر ، ذو وجه مليح ، وعينين واسعتين ، وحنك مستدق . بشرته حنطية ، ميالة الى التورد في الخدين ، الا ان شكل وجهه العام كان يشبه وجوه ممثلي السينما الذين تعهد اليهم الأدوار المكروهة . وكنتُ دائماً أكرر مع نفسي : لو أن سموه كان نجماً سينمائياً لأسندت اليه أدوار الرجل الشرير ، فقسمات وجهه تتسم بالصرامة والقسوة ، وهو اذا تطلع الى أحد فكانه يُسبر أعماقه ، ويتناهى الى أعماقه . وفي اللحظة الأولى التي شاهدته فيها بعد ثلاثة أيام من التحاقي بالحرس الملكي ، اذ كنتُ أقوم بواجب ضابط خفر قصر الرحاب . عندما مرّ الموكب الملكي أمام ثكنة الرحاب التي أقف ببابها على قارعة الطريق الخاص أودي التحية للموكب الملكي ، كان أول ما طالعني وجه الملك ، وكله أبتسامة ، ونظرة كلها عطف ومحبة ، وهو ينحني بجسمه حتى يكاد رأسه يخرج من نافذة السيارة ، وهو يرد عليّ التحية ، والى جانبه جلس الأمير وقد ركز نظراته عليّ وكأنها سهام تريدان تخترق جسدي . وهو يرفع بصره من قمة رأسي وينزله الى أخمص قدمي وقد أطبق شفتيه ، وتغضن صدغاه ، وزوىّ ما بين حاجبيه ، يطيل الأمعان والتمعن في هيئتي ، وبقي يتطلع اليّ وهو جالس في السيارة التي كانت تسير ببطئ ، ورأسه يدور عكس أتجاه السير .

ولا مشاحة ، بان المرء – من اللحظات الاولى لمشاهدته – يحكم عليه بأنه رجل عصبي المزاج – متقلب الأهواء ، من النوع الذي سرعان ما ينفعل ، وسرعان ما يهدأ . يتكلم بصوت خافت أجش وبسرعة ، لاتكاد السيكارة تفارق شفتيه ، فهو مدخن نهم ، أنيق بشكل معتدل في ملبسه ، معتدل الجسم ربعة ، اميل الى الطول ، رشيق القوام ، ولم تظهر عليه من سمات من

قارب الخمسين من العمر سوى أثر بسيط هو بعض الأمتلاء في بطنه . ويبدو شيء من الأحمرار في الجفن السفلي ، لكل من عينيه . وذلك من أثر الشراب !

وتحمل قسمات وجهه ملامح أمرئ تجرع الحياة حلوها . و ذاق بعض مرارتها كذلك . وانتهى الى الايمان ببعض الحقائق بالنسبة للشعب العراقي بحيث اثر ايمانه بهذه الحقائق الصائبه او المغلوطه حسب مايقدرها هو بنفسه في الطريق التي اختطها وحكم بها الشعب .

لم يكن بالانسان العادي البسيط فشأنه شأن اغلب رجال الحكم ورؤساء الدول والامم . غريب في اطواره. عجيب في تصرفاته. وتبدو اية ذلك في اختياره الرجال المقربين اليه. اواصطفائه الرجال الذين يقربهم الى الملك والذي كان (اي الملك) لاشأن له بأية حال من الاحوال، او شكل من الاشكال بهذا الاصطفاء.– أن أحب احداً رفعه في ليلة وضحاها الى القمة ثم لاتلبث ان تخبو جذوة الحب والصداقة في قلبه لينزله مرة اخرى الى طبيعته الاولى وهي الحضيض عينه.اذا ماقورنت بالايام الحلوة التي عاشها مع الأمير ! !

ولهذا ، فلم يستطع الأمير عبد الأله أن يجمع حوله مريدين وأصدقاء صدوقين ، فهو فضلاً عن كونه يفتقر الى بعض الصفات الأصيلة في القيادة والرئاسة ، لم يكن بقادر أن يستقطب حوله شخصية الضباط ، بحيث يحوز أعجابهم ، ويسلب ارادتهم بكونه صاحب مقدرة عسكرية أو عقلية علمية أو حتى كلامية !

لم يكن الأمير عبد الأله بالمتكلم المتفوه ، والخطيب البليغ . كان يتكلم العربية بلهجة عراقية تشوبها مسحة خفيفة من لهجة حجازية . لا يكاد المرء يلتقطها إلا اذا أطال الأصغاء الى حديثه .

كان سلاحه الوحيد في إستمالة قلوب الرجال اليه هو ظهوره بمظهر البساطة ، لان علاقاته الشخصية كانت في الغالب الأعم تتم على أساس النكتة التي يلقيها في ساعات مرحه وبساطته ، ولين عريكته ، وأنفتاح قلبه . لذلك يمكن القول بأن ضباط الحرس الملكي لا يتذكرون عن الأمير مآثر أو وقائع معينة ، اللهم ما عدا الساعات المرحة الحلوة التي كانوا يقضونها معه ، وهو في أوقات إنشراحه !

ويبدو الأمر أكثر غرابة في أبتعاده عن بعض أهله ، فقد كان لا يحب السيد عبد الجبار محمود زوج أخت الملك غازي – والذي كانت داره تجاور قصر الرحاب ، ويمر من أمامه نفس الطريق الخاص . وكانت الأوامر قد صدرت بمنع القاصدين دار عبد الجبار من المرور أمام قصر الرحاب» ! !

ويستطرد الملازم فالح حنظل قائلاً : «وكان البلاط الملكي ومكتب الأمير عبد الأله في مباني العرش .. وهو مكتب ملك البلاط الفعلي ، اذ لا يكاد أحدنا يدخل صباحاً غرف العرش في أنتظار تشريف الملك والأمير ، الأوجد على مكتب الأمير أكداساً من الرسائل والمظاريف المختومة بكلمة (سري) أو (مكتوم) أو (خاص) وكلها واردة من دوائر رئاسة أركان الجيش أو

الاستخبارات العسكرية أو الأمن العام والملحقيات والسفارات الخارجية . أما منهج المقابلات فيكون عادة حافلاً بالأسماء والالقاب والمناصب ، ولذا فأن واجبنا في حراسة مكاتب العرش كان منصباً على حراسة مكتب الأمير . أما مكتب الملك فلا شأن لنا به لعدم وجود ما يستأهل الاهتمام . وما أن ينتهي الدوام الا وجدت أكوام أخرى من الرسائل تكدست بأيدي المرافقين لتؤخذ الى القصر . وأمتلأت المدفأة ببقايا عشرات الرسائل المحروقة والممزقة . أما منفضة الدخان أمامه فتكاد تطفح ببقايا اللفائف التي دخنها خلال ساعات الدوام !

أما عندما نكون في قصر الرحاب ، فيقتصر زوار الملك على الأثنين أو الثلاثة من أصدقائه الخلص ، على حين أن زوار الأمير هم في الغالب من كبار الضباط والوزراء والمسؤولين عن المخابرات والأمن العامة وغيرهم ، مما يدل على أن الأمير عبد الأله لم يكن يقضي وقته عبثاً . بل يكون ليله كذلك حافلاً بالاحداث والأوامر، وتستمر أحياناً الزيارات الى ساعة متأخرة من الليل، بحيث لا تنتهي المقابلات الا ونحن نتنفس الصعداء بأنتهاء الواجبات الأساسية في القصر.

وينهي الملازم فالح حنظل أنطباعاته ورأيه في الأمير عبد الأله قائلاً : «في شهر حزيران من عام ١٩٥٨ -- وهو الشهر الأخير من حياته -- دخل عليه ضابط أستخباراته الخاص المقدم محمد الشيخ لطيف ، وقدم له ملفاً يحتوي أسماء وتنظيمات كل الضباط الاحرار والأنقلابين الذين يدبرون الثورة في العراق . وقرأ الأمير كل الأسماء التي وردت في الملف ، والتي ضمت العديد من ضباط رافقوه فترات من حياته ، سواء وحدات الحرس الملكي ، أو مرافقيه ورائديه السابقين . كما ضم الملف أسمين أو ثلاثة لضباط يعتبرهم الأمير من أصدقائه الخلص ، بل أن أحدهم كان يقضي معه أمسيتين أو ثلاثة أمسيات كل أسبوع !

وبعد أن أطلّع على الأسماء والتشكيلات ، صفق الملف ورماه أمامه على المكتب وقال :
- أن غالبية هؤلاء الضباط أصدقاء لي ، وأنهم -- ولا خلاف -- عرفوني جيداً . وأيقنوا أني غير صالح لحكم العراق ..

وأردف قائلاً : أما أنا ، فعلى علمي بأن هؤلاء الضباط جميعاً وطنيون ومخلصون وقد يفيدون العراق أحسن مني .. فأن كانوا لا يريدونني، أترك العراق وفيصل معي ..

قال هذا .. وقام من مكانه وترك غرفته ليتمشى وحده ليلاً في الشارع المعتم الممتد أمام قصره . ووقف على جسر الخر يتطلع الى المياه السوداء .. ويبدو أنه كان يتخيل اليوم الذي يوفد اليه هؤلاء الضباط وفداً يطلب اليه مغادرة العراق ، فينصاع فوراً لطلبهم الذي كثيراً ما راود فكره ومخيلته .. فيترك العراق ومعه فيصل وبقية أهله .. كما ترك الملك فاروق أرض الكنانة .

وقد تكون أخطاء الرجل كثيرة في أدارة حكم عضوض كالحكم في العراق . وقد قيل الكثير عن أخطائه التي أدت الى نهايته البشعة المعروفة ، لكن السؤال الذي طالما أفتعل في ذاتي : ماهي علاقة الأمير بالملك .. وهل كان لعبد الاله يد في جعل فيصل تمثالاً جامداً يتصدر قاعة العرش ؟!

يمكن القول : بنعم .. ويمكن القول : بلا !

نعم .. لأن الأمير ربّاه ورعاه أباً وأما له .. ربّاه بعيداً عن الشعب ، بعيداً عن الجيش ، بعيداً عن العراق كله .. !

ولم يحاول بعدها أن يعيد فيصل الى الشعب ، بل أبقاه على طبيعته المنطوية المنزوية .. والأرجح في تخميني أنه يمكن القول : لا .. لان الأمير لم يكن بقادر على أن يغير ما بفيصل ، هكذا شاءت أرادة الله عز وجل أن يكون فيصل : رقيقاً ، ضعيفاً ، مريضاً ، غير قادر على الحكم والأضطلاع بالمسؤولية .

لقد كان عبد الأله يناديه بأسمه المجرد أمام مرافقيه .. ويناديه «بسيدنا» أمام الغرباء . ويصدف أحياناً أن أكون جالساً مع الأمير ، واذا بالملك يفتح الباب علينا ليطل فجأة . فكان الأمير لا يحادثه الأواقفاً على قدميه !

ولم يحظر الأمير علينا البتة التكلم مع الملك بالسياسة أو شؤون الشعب والجيش ، كما تقول الشائعات .. لسبب بسيط ، هو ان الملك لم يكن ليتحدث بها إلينا أو معنا ، بل لم يصدف مطلقاً طيلة السنتين اللتين قضيتهما في القصر أن طلب الملك حضوري أو حضور أحد الضباط لمواجهته ، بصورة شخصية ، أو التكلم معه بأي شأن من الشؤون .

وفي الساعات العصيبة التي قضيتها مع الأمير نتناقش بمواضيع الثورة المقبلة في الجيش ، وعندما كان الملك يفاجئنا بالدخول .. لم يكن ليكلف نفسه عناء الأستماع أو المشاركة بالحديث أو إبداء الرأي .. أو حتى الجلوس معنا . كان كل ما يقوله كلمتين أو ثلاث عن مواعيد الغد . ثم يغادر الغرفة» !

قال توفيق السويدي - أحد رؤساء الوزارات - عن الأمير عبد الأله : «استطعت اقناع السيد محمد الصدر والسيد جميل المدفعي ان نقابل الأمير بصورة سرية ونقنعه بالابتعاد عن العراق كسفير في بريطانيا أو أمريكا ليفسح المجال للملك كي يتولى سلطاته الدستورية ، غير متأثر بسياسة خاله وتوجيهاته ، فيكتسب مزيداً من محبة الشعب وثقته . وعندما قابلناه . وبدأنا الحديث ظهر الاستياء والامتعاض على وجهه . وأعرب عن رفضه للفكرة بشيء من الضيق» !

وقال أحمد مختار بابان ، رئيس الديوان الملكي ، وآخر رئيس وزراء في العهد الملكي : «ان عبد الاله قبل معادرته بغداد في احدى رحلاته الأخيرة ناداه وهمس في أذ نه بأنه قد لا يعود الى العراق .. ولكنه عاد وأستمر في سياسته حتى كانت نهايته» .

كان عبد الأله شاباً عديم الخبرة . وكانت أخلاقه وشخصيته تفتقدان الكثير من صفات القيادة والمسؤلية ، لذلك وقع فريسة سهلة في أيدي السفارة البريطانية ونوري السعيد لفترة طويلة ينفذ تعليماتهم . ويخدم مصالحهم بأندفاع لا يقبل الشك . وأن أرتباطه الوثيق

بالبريطانيين . والتزامه جانبهم أدى الى أصطدامه بالعناصر الوطنية .

وقال عنه السفير البريطاني في العراق ، السيد موريس بيترسون : «كان نحيف الجسم ، وفي تصرفاته مظهر مجامل جذاب . وكان ولعه الأكبر بسباق الخيل والرياضة . وشجاعته الشخصية لا شك فيها» ! !

وقال سندرسن باشا - طبيب العائلة الملكية في العراق في أحدى المرات عنه :
«كانت من عناية الله أنه لم يرزق طفلاً ، لأن مثل ذلك الولد ، لابد وأن يتطلع في يوم من الأيام الى عرش العراق » .

وقال ناجي شوكت - أحد رؤساء الوزارات ، عن الأمير عبد الأله : «لم أر غراً يحكم العراق نحو عشرين سنة بحقد وطيش ونزق وجهل بأساليب الحكم مثله» !
وقال ناجي شوكت أيضاً : «كان عبد الأله مضرب المثل في الكسل وسوء الخلق في كلية فكتوريا بالاسكندرية . وكانت تقارير عمادة الكلية لا تبشر بخير ، فأعيد الى العراق قبل أن يتم دراسته فيها . وفي العراق أنزوى ، ولم يتصل بأحد ، وأقتصر همه على الأسهام في سباق الخيل . وكانت له أتصالات مع (منني) الجاكي . ولما أنتقل الى قصر الرحاب أصبحت مناسباته مع الجنود (لا سيما أفراد الحرس الملكي) مضرب الأمثال . وأصبح سكيراً في الحفلات التي يقيمها في قصره ، ومفترساً لكرامات النساء» ! !

وقال العقيد الركن صلاح الدين الصباغ ، أحد قادة الحركة الثورية عام ١٩٤١ :
«أن عبد الأله وصي .. لا ملك . وليس له ما للملك من حقوق . ثم أن ثقافة عبد الأله أبتدائية ، وقابليته محدودة . ويرفض الف دينار خصصها له مجلس الوزراء شهرياً . وهو يطلب المزيد . مع العلم أنه يقاسم أخته الملكة والوالدة وأبنها الملك فيصل الثاني مخصصاتهما . ناسياً كيف كان غازي يمده بالمساعدة ، اذ يكفيه راتبه القليل ، وهذا يجعلني أخشى عاقبته» !

وقال خليل كنه في أفادته أمام المحكمة العسكرية العليا الخاصة بتاريخ ١٦ آب ١٩٥٨ : «أن الأتجاه السياسي في العراق في المدة الأخيرة كان منصرف الى سيطرة عبد الأله في الداخل . وعدم أعطاء المجال الى أي نوع من العمل السياسي المنظم» !

كما أن رئيس الديوان الملكي عبد الله بكر كان صريحاً في قوله أمام المحكمة العسكرية الخاصة (محكمة المهداوي) : « ان الوضع كله معروف . كل شيء كان بيد عبد الاله .. حتى رؤساء الوزارات الآخرين ما كانوا يقدروا ان يعملوا شيء» !

ويقول شيخ المؤرخين عبد الرزاق الحسني في مقدمة الجزء العاشر والآخير من كتابه «تاريخ

الوزارات العراقية» : «وما كان لذلك النظام من الحكم ان ينهار في العراق بمثل تلك السرعة ، لولا الحوادث المؤسفة التي أدت الى مقتل الملك غازي في ليلة الرابع من نيسان ١٩٣٩ . وما أعقبها من تدابير شاذة في أسناد منصب الوصاية على الملك الجديد الى خاله الأمير عبد الأله الذي كرهه الشعب العراقي . وكره ديكتاتوريته السافرة ، وحكمه للبلاد حكماً تعسفياً لفت اليه نظر البعيد قبل القريب . وجعل الناس يتمنون زواله بأقرب فرصة ممكنة»

ويقول جيمس موريس في كتابه «الملوك الهاشميون» : «في ظل عبد الأله فقدت الملكية كل صلة بالاهلين ، كما أبعدت المظاهر الجديدة من قصور فخمة من المرمر . وأبنية حديثة للبرلمان ، وتصميمات للأوبرا وسط دجلة . الشقة بين العرش وبين الشعب الذي أخذ ينظر الى الملكية نظرة الأستغراب أكثر من الاجلال . لا سيما وأن الشعب كان معظم أفراده لا يزالون يعيشون في فقر مُدقع وعوز شديدين ، وأتجه اللوم الى الأسرة المالكة لسماحها بهذا الفساد الطاغي على جهاز الحكم في البلاد» .

وقال جان وولف في كتابه «يقظة العالم العربي» : «لقد كان الوصي شخصاً طموحاً أنانياً عابثاً مراوغاً . وكانت تربطه بلندن علاقات متينة ، ولكنها في موضع شبهة عند الشعب العراقي . وعندما أعتلى فيصل الثاني عرش العراق تابع الوصي تسيير دفة الحكم في الأتجاه المعاكس للقومية العربية المتزايدة عنفاً يوما بعد يوم . الأمر الذي كتب له نهاية مُحزنة على يد جماهير بغداد الثائرة» .

وقال توفيق السويدي - أيضاً - في مذكراته : «كان الأمير عبد الأله قد ذهب الى أستانبول بقصد البقاء فيها لقضاء الصيف ، أو التنقل خارج العراق من بلد الى آخر . وبين ليلة وضحاها رجع الى العراق في موسم أشد حرارة من كل مواسم العراق . فسألته لماذا أختار حر العراق على هواء استانبول العليل ؟ .. فأجابني بأنه فهم من أتصالاته ، ومن المعلومات التي أتته من الداخل ان بعض المفسدين قد يقومون ببعض الحركات والتشويشات أثناء غياب الملك وغيابه هو أيضاً عن العراق ، فأراد أن يبقى ببغداد عندما يغادر الملك الى لندن . وبذلك وقع الأمير هو الآخر صك إعدامه ، وسلك السبيل الذي أوصله إلى أعدائه في الوقت المناسب . الذي حدده القدر الساخر» !





الملك فيصل الثاني

حياته..

في الساعة الثامنة والنصف من صباح يوم الخميس الثاني من شهر أيار عام ١٩٣٥ سُمع من الغرفة اليسرى في الطابق العلوي في قصر الزهور - صراخ طفل وليد . فانطلقت الزغاريد من افواه نساء القصر وخدمه - تعلن قدوم المولود الجديد للملكة عالية والملك غازي

ورفع الدكتور كيندي والدكتور سندرسن - اللذان قاما بالاشراف على الولادة - تقريرهما الصادر عن البلاط الملكي ظهر يوم ٢آيار ١٩٣٥ - الآتي :

«ولدت جلالة الملكة عالية في الساعة الثامنه والنصف من هذا الصباح ٢ مايو . وحالتها جيدة» .

ثم نشرت الحكومة هذا البيان :

«تقرر تسمية صاحب السمو الملكي ولي عهد المملكة العراقية فيصلا . وابتهاجاً بالمولود السعيد وبهذا الحادث التاريخي المبارك تقرر ما يلي :

١ -اطلاق ٢١ طلقة مدفع في هذا اليوم .

٢ -تعطيل جميع دواوين الحكومة يوم السبت الموافق ٤ /٥ /١٩٣٥ .

٣ -اقامة معالم الزينات على المباني الرسمية لمدة ثلاثة ايام ابتداء من هذا اليوم .»

وعمّ البشر في انحاء البلاد ، وانهالت التهاني على والده المليك الشاب غازي من كافة الاقطار العربية والاسلامية والعالمية .

وفي يوم الخميس ٧ تشرين الثاني ١٩٣٥ جرت حفلة ختان ولي العهد «فيصل» في قصر الزهور . وحضر الحفل الامير عبدالله أمير شرق الاردن ، واركان البيت الهاشمي .

وقد أمر الملك غازي بتوزيع الصدقات على الفقراء والمساكين . وختن في الميتم الاسلامي ما ينوف على الخمسين يتيماً على حساب الملك . ووزعت عليهم الحلوى المختلفة وأقيمت مساء ذلك اليوم مآدبة ملكية لمناسبة الختان . حضرها الامير عبدالله ونجله الامير نايف والامير عبد الاله ، ورئيس الوزراء والرؤساء السابقون وكبار الشخصيات.

وعُنيت بالامير الصغير «فيصل» والدته الملكة عالية ، وخالته الاميرة عابدية . ومربيات انكليزيات ، أشرفن على العناية به ، وتدريسه اللغة الانكليزية ، وتلقينه اياها . ثم جيء له بمؤدبة انكليزية اخرى . هي المس ريميرس .

وعندما صُرع والده الملك غازي ليلة ٣/٤ نيسان ١٩٣٩ ، كان «فيصل» في الرابعة من عمره ، فنودي به ملكاً على العراق بأسم «فيصل الثاني» واعلن خاله الامير عبد الاله ، وصياً على عرش العراق .

وفي ١١ تموز ١٩٣٩ سافر الملك فيصل الثاني ، لاول مرة مغادراً عاصمة ملكه بغداد ، الى لبنان للاصطياف في ربوعه . وقد سبقه اليه رئيس الوزراء نوري السعيد لاعداد وسائل الراحة له . وكان بعد ثلاثة أشهر من مصرع والده !

وفي ٣ كانون الاول ١٩٣٩ سافر الملك فيصل الثاني الى البصرة يصحبه خاله الامير عبد الاله ، وعم ابيه الامير زيد ، وتفقد احوالها ، واطلع على معالمها ومشاهدة شط العرب - وعاد الى بغداد في السادس من الشهر نفسه .

وفي منتصف نيسان ١٩٤٠ اهدت الجمعية الزراعية الملكية بمصر الى الملك فيصل الثاني جواداً عربياً مؤصلاً ، يدعى «دهمان» بلون اشقر غامق - في جبهته علامة تدعى بالعرف المصري «صوانه» .

وفي نهاية نيسان ١٩٤٠ اهدى ملك مصر الى ملك العراق سيارة فخمه عربوناً على المحبة .

وعندما قامت حركة رشيد عالي الكيلاني التحررية في مايس ١٩٤١ ، قررت حكومة الكيلاني نقل الملك فيصل الثاني والعائلة الملكية الى أربيل - بعد ان هرب الامير عبد الاله الى خارج العراق ، وخشية ان يتعرض قصره الملكي الى قصف الطائرات البريطانية التي كانت تغير على بغداد في تلك الايام وتصب قنابلها على دورها واحيائها السكنية . فنزل الملك في اربيل في دار «ملا افندي» - والد النائب عزالدين الملا - التي افرغت لها . وهي دار كبيرة فخمة . وقد مكث الملك ووالدته الملكة عالية وبقية العائلة الملكية مدة تقرب من الاسبوع . حيث عادوا جميعاً الى بغداد في اليوم الثالث من حزيران ١٩٤١ - بعد فشل حركة رشيد عالي . وعودة الأمير عبدالاله الى العراق !

وفي عام ١٩٤٢ أعدَّ للملك فيصل الثاني ، في البلاط الملكي - الذي كان يقع في منتصف طريق الاعظمية - بغداد . والذي اقيم مكانه دار الضباط حالياً - جناح خاص ، جعل مدرسة يتلقى فيها دروسه الاولية على يد أساتذة عراقيين ، وانكليز أكفاء ، سالكين المناهج المتبعة في مدارس العراق الرسمية .

كان أول اساتذة الملك فيصل الثاني ، هو الدكتور مصطفى جواد . وقد باشر بتعليمه (الالفباء) العربية ، وترقى به قراءة الخط العربي ، وفهم لغة العرب الادبية ، وشغف المليك الصغير بلغة أبائه ، وأحب العلم ، وأنصرف لدرسه ،

وقد أختار خاله الامير عبدالاله ثلاثة من صغار الطلاب الذين هم بسنه للتعلم معه . لانه وجد ان تركه وحيداً في غرفة الدرس يتلقى دروسه عن اساتذته قد يوّلد في نفسه الملل والضجر

من الدراسة . فأمر بانتخاب ثلاثة من الطلاب الصغار . ليكون عنصر المنافسة والمثابرة بارزاً في نفوس الطلاب هذا الصف الصغير . وقد تمّ انتقاء هؤلاء الصغار من بين ابناء الشعب .

وقد كان يقوم بتدريس المليك الصغير ، اضافة الى الدكتور مصطفى جواد . الاساتذة : عبد الغني الدلي ، عبد الله الشيخلي ، ناجي عبدالصاحب ، أكرم شكري ، قاسم ناجي ، جليل مطر ، المستر سايد بوتم ، والمستر بيت رفرز .

ثم أضيف الى هؤلاء الاساتذة . البروفيسور هملي ، مستشار وزارة المعارف انذاك .

ونتيجة لكل ذلك فقد أصبح الملك فيصل الثاني يجيد اللغة الانكليزيه والعربية إجادة تامة . ويتكلم الانكليزية بطلاقة .

وفي ١١ أذار ١٩٤٣ زار الملك فيصل الثاني تصحبه والدته وجدته – والدة والدته – عمان . ومن عمان واصل سفره الى القاهرة حيث زار معالمها الاثرية وبعض مؤسساتها الهامة . ثم قفل عائداً الى بغداد في يوم ٣٠ من الشهر نفسه .

وفي صيف عام ١٩٤٤ . قصد الاسكندرية ، ومكث فيها أشهر الصيف على شواطئ البحر الابيض المتوسط .

وكتبت مجلة «الاثنين» القاهرية عن تلك الزيارة ، قائلة : «بفضل جلالة الملك فيصل الاسكندرية عما عداها من المصايف الاخرى . . وقد أبدى رغبته هذا العام في تمضية أشهر الصيف في الاسكندرية قبل رحيله الى انكلترا للالتحاق باحدى مدارسها .

وقد قال جلالته لمندوبنا ان حنينه للاسكندرية وبحرها لا ينقطع طوال العام ، حتى يقبل الصيف فيسرُع اليها .

وقد أعدّ له السيد تحسين العسكري وزير العراق المفوض في مصر «كابيناً» ضخماً بسيدي بشر – حيث يمضي وابن عمه الامير رعد ساعات الصباح في الترويض على الرمال والسباحة . اما الملكة والدته وحاشيتها ، فقد أفرد لها جناح خاص في فندق «سان استيفانو» أحيط بسياج من الخشب تحجبه عن بقية الفندق ، طبقاً للتقاليد الشرقية . كما أعدّ لهذا الجناح سلم خاص ، غير السلم العام للفندق» .

وعادوا جميعاً الى بغداد في ١٩٤٤/١٠/١٠ .

وسافر الملك فيصل الثاني الى لندن لأول مرة مساء الاثنين ٢٧ آيار ١٩٤٦ بصحبة والدته الملكة عالية . وعاد منها الى بغداد في الثامن من تشرين الاول ١٩٤٦ .

ويحكي الدكتور سندرسن في مذكراته عن سفره مع الملك فيصل الثاني والعائلة الملكية في أول رحلتهم الى انكلترا : قائلاً : «كانت الجماعة تتألف من : الملك فيصل الثاني . وأمه الملكة عالية . والملكة السابقة نفيسة . والاميرات : «عابدية» و«بديعة» و«جليلة» وزوجها الدكتور الشريف حازم . كما ضمت الجماعة ايضاً السيدة «بسك» زوجة المستشار وسفير بريطانيا في

فترويلا فيما بعد . والأنسه «نورا ستونهوبيرد» إبنة السفير البريطاني في العراق «السر هيو» والمدرسّ «جوليان بيت ريفرز» ومربية الملك «المس بورلاند» والاثنين من المرافقين وعدد من الخدم .

غادرنا بغداد بقطار خاص في الساعة السابعة والنصف من صباح يوم الاثنين السابع والعشرين من شهر آيار (مايو) . .

كان صباحاً مشمساً حاراً . وكانت درجة الحرارة في القطار تصل الى حدود ١١٠ درجات فهرنهايت . كما كان هناك انذار باحتمال قيام عواصف ترابية أيضاً . .

كانت السيدات يمضين معظم النهار في لعبة الورق ، أو انهنّ أعتصمن بالصبر في حين كان الملك فيصل الثاني – في الفترات ما بين الدروس يلهو ، بمساعدة مني ومن المدرسّ جوليان بيت بلعبة احازير كبيرة . وكان عندما يتضايق من ذلك ينسحب الى زاوية من العربة ، وينهمك في رسم صور خيالية بقلم الرصاص . تكشف عن موهبة فنية حقيقية .

ياله من طفل بهيج ! . . انه لم يلوّث بعد . إنه سخي معتدل . مرح ، ذكي ، نابه ، ومتعطش الى المعرفة . لقد كانت أمه منذ الايام الاولى لولادته تُصرّ على ان يعُامل كما اي طفل اعتيادي اخر ، ومن دون خضوع من اي نوع كان ، وذلك خلال سنوات قبل ان يتحقق بانه كان رئيساً للأمة ، ولكن بالأسم فقط !

وقد حدث هذا الأمر عندما خاطبه احد المرافقين بكلمة «جلالتكم» .

وحين سأله : لماذا استعمل هذه الكلمة. أجاب المرافق : «لانك أنت مليكي».

ومن ثم أنبأ ذلك المرافق فيصلاً بأنه قد فعل ذلك من دون انتباه ، وانه قد خالف الاوامر ، وانه يتضرع الى الملك بان لايخبر احداً عن غلطته هذه .

وقد حصل هذا الأمر قبل اكتشافه ببضعة أشهر .

أعتاد خدم القصر في أيام العيد ان يتسلموا الهدايا . كانت الملكة عالية تظن ان الوقت قد حان لكي يقوم فيصل نفسه بتوزيع تلك الهدايا . كان العاملون قد تجمعوا بهذه المناسبة . وبعد ان وزُعّت الهدايا عليهم انصرفوا .

والذي أعتقده – والكلام لايزال للدكتور سندرسن – ان نابليون الاول هو الذي كان يقول : «ان مستقبل مصير الطفل هو من صنع أمّه دوماً» . وكان واضحاً بان الملكة عالية كانت تشارك في هذا الرأي. فلقد صممتّ على ان يصبح فيصل رجلاً بمعنى الكلمة . وكانت تعمل على تقويمه بكل مثابرة .

كان فيصل يحب أمّه حُباً جَمّاً ، ولم يتمرد على اي امر يتسلمه منها .

فهو منذ اوائل طفولته كان يخاطبها بكلمة «ستي» – اي (سيدتي) . كما كان يخاطب مربيته بكلمة «ماما» . ولم تكن أمه تُناديه الا بعبارة «وقح ، بابا» او «جيجي بابا» على عبثه الصبياني !

ولم يظهر عليه سوى خوف ضئيل من اول زرقةٍ عُملت له . كان صغيراً جداً ، ولكنه ما ان

أخبر من قبل أمه بانه لن يصرخ . حتى راح يغالب دموعه بشجاعة . مع غصة خفيفة في تنفسه . وهو يقول : «انها مجرد لعبة» !

وفي اواخر عام ١٩٤٦ ساءت صحة الملك فيصل الثاني ، وأستمر مرضه الذي أصيب به من صغره (الربو) سنوات عديدة . وقد اذاعت الحكومة في هذه الحقبة من حياته نشرات طبية صادرة عن هيئة الأطباء عن تطور صحته .

ويحكي الدكتور سندرسن - طبيب العائلة الملكية في العراق - في مذكراته عن مرض الملك فيصل الثاني قائلاً :

«كان عليّ ان اواجه سنة ١٩٤٦ تجربة مفزعة . لقد استدعيت الى قصر الزهور في باكر احدى الأمسيات لرؤية الملك فيصل الثاني ، ولدى وصولي الى هناك ، أنبأتني مربيته بأن درجة حرارته قد أخذت بالارتفاع بعد الظهر ، وذلك في أعقاب قشعريرة خفيفة اصابته ، وانه يشكو من صُداع شديد ، وألم عام في رأسه . لكن لم تكن تظهر عليه أية دلائل لضيق النفس او النزلة الصدرية .

سألني الملك الصغير متضرعاً بتكرار قائلاً : «أرجوك يا «دوكي» - وهو اللقب الذي اطلقه الملك عليّ - أعطني شيئاً ما يُهدّي الصداع في رأسي» .

لقد كنت من تلك العقلية القديمة التي تعتبر ارتفاع درجة الحرارة في الجسم بمثابة ميكانيكية تحميه ، ولذلك كنت حذراً بشأن استعمال المنتجات المهدّئة المُركبة من مواد مضادة .

ومهما يكن الأمر فقد اضطرب الملك . كنتُ احمل معي حبّات من نوعية مركبّة تحتوي على قدر صغير من الأسبرين . ونظراً لاصابته بالتهاب القصبات فلم يوصف له مثل هذا الدواء قبلاً ، لكنه وقد تخلصّ من أي عارض مرضي ، وكانت الحبّات ماتزال في يدي ، فقد حطمّتُ واحدة منها وأعطيته ثلثها ، ثم أخذت نقطة من دمه ، وقلت بانني سأعود فيما بعد .

ماكدتُ اصل الى فندق «ريجنت بالاس» بعد عودتي ، حتى تلقيت نداءً هاتفياً يقول : ان الملك مريض بشكل ميئوس منه ، وان احدى سيارات القصر في طريقها إليّ لتنقلني الى قصر الزهور حالاً ، قطعت المسافة في سرعة هائلة جداً . كان يخيّم على سيدات القصر هدوء مشوب بالخوف ، في حين كان بقية افراد العائلة في حالة من الهياج .

كان إلقاء نظرة واحدة على المريض ، يكفي لتشخيص اسباب الهلع . لقد كان الاسبرين شديد الحساسية ، وكان وجه الملك وشفتاه وجفناه ، قد انتفخت الى درجة ان عينيه مُطبقتين ، وكان تنفّسه يدل على اصابته بنزلة صدرية .

أحدث زرقه بمادة «الادينالين» تحسناً مدهشاً ، تلقيتُ من جرائه عبارات التبجيل والشكران ، في الوقت الذي كنت أشعر ، وانا جد متألم ، بأنني انا المذنب في ذلك» .

وفي عام ١٩٤٧ ، أنهى الملك فيصل الثاني دراسته الابتدائية التي نظمت له بصورة خاصة

في البلاط الملكي .. وغادر العراق الى لندن مساء يوم ٢٧ تموز ١٩٤٧ ، حيث ألتحق بمدرسة «ساندرويد» .

وفي لندن سكن الملك فيصل الثاني في منطقة كنكستون ، في ضاحية «ستبتنس» في المسكن الذي اشتري له ، المطل على مطار هيثرو ومحاذياً سياج المطار .

ويروي لنا رئيس العرفاء ناصر سلمان (ابو ماجد) الذي رافق الملك فيصل الثاني ١٨ سنة ، ابتداءً من ١٩٤٠ ولغاية اللحظة الاخيرة في حياته ، في جميع رحلاته ودراسته وتنقلاته ، ان فيصلاً كان يناديه بـ (عمو) وانه كان يعامله بكل ادب واحترام طيلة هذه الفترة من حياته ، وانه كان على خلق رفيع يعامل الجميع برفق وحنان .

وفي انكلترا . وفي ذلك الوسط العلمي الغريب راح الملك فيصل الثاني يتلقى دروسه مع زملاء غرباء عنه ، فلم تمضِ عليه فترة من الزمن حتى رفعت ادارة المدرسة تقريراً مفصلاً الى خاله الامير عبد الاله الوصي وولي عهده ، وذلك عن الفصل الاول المنتهي في يوم ٨ تشرين الثاني ١٩٤٧ . وهو أول تقرير تربوي رُفع عنه في انكلترا :

الاسم : فيصل

العمر : ١٢ سنة و ٦ أشهر

الموضوع :

الرياضيات - القسم (ب) .. ذكي يدرك الافكار الحسابية الجديدة بسهولة ، الا ان تقدمه سيكون بطيئاً الى ان يبدأ بالعمل ويُحصر فكره كله بدون أية مقاطعة في دروسه .

الفرنسية - القسم (ز) - جيد جداً في الشفهي ، وله إلمام طيب في جميع مفردات الكلمات ، بيد انه ضعيف جداً في القواعد والتمارين التحريرية الانكليزية - القسم (د) .. ان معرفته اللغة الانكليزية ومكانته فيها لها من المستوى المتفوق . اما اعماله الكتابية فأنه يُعبّر عن افكاره ببطء نوعاً ما .

الموسيقى : له ذوق سليم في الاوزان ، واذا ماحصر فكره في الموضوع فانه يتعلمه بسرعة .

الرسم : يعمل بشجاعة واتقان ، وله عين ثاقبة في علم المناظر .

سيرته وتقدمه بصورة عامة : لم يحن الوقت لتقديم تقرير مفصل عن شكل اعماله في تدرجه في الحياة العملية ، لان هذا يتطلب وقتاً طويلاً ، حتى يستقر في اعماله المدرسية . وتصبح هذه الاعمال مألوفة لديه شيئاً فشيئاً .

ولقد اخذت قوته التفكيرية تتحسن بسرعة . وسبق له ان حصل على اصدقاء كثيرين . فصار يتمتع بالحياة المدرسية تمتعاً كاملاً ، ومبدياً حذقاً واهتماماً عظيمين . كي يقوم بما يترتب عليه من اعمال» .

هذا هو التقرير الذي رفعه مدير مدرسة ساندرويد عن نصف الفصل الاول من سنته الاولى في ذلك الجو الغريب .. !

اما الملك فيصل فقد أخذ يألف العمل المدرسي في محيطه الجديد ، وراح يتمتع بحياته الجديدة مبدياً رغبة واهتماماً كبيرين للمشاركة في الفعاليات المدرسية بكل جد ونشاط ، حتى أنهى عامه الدراسي فيها بتفوق .

واجتاز امتحانات ساندرويد بتفوق . فاصبح بامكانه الالتحاق بكلية «هارو» الشهيرة ، لاكمال تحصيله الثانوي قبل مباشرته سلطاته الدستورية ، لان امامه اربع سنوات فقط ليبلغ سن الرشد . .

وقد أصيب الملك فيصل الثاني في ١١ كانون الثاني ١٩٤٨ بكسر في ساقه عند انزلاقه على الجليد في فيلارد في سويسرا ، حيث كان يقضي عطلة راس السنة في تلك الربوع ، كما اصيب بجرح بسيط . وتولى علاجه الاخصائي السويسري الشهير الدكتور ديكر . بعد الكشف عليه بالاشعة ، واعادة العظمة المكسورة في ساقه . ولم تحدث للملك الفتى مضاعفات ، وتماثل للشفاء بعد مدة وجيزة .

ومن الطريف ان الدكتور مصطفى جواد ، مدرس الملك فيصل الثاني كان هو الاخر قد أصيب في نفس الساعة بكسر في ساقه عندما كان يتزلق على الثلج بمعية تلميذه الملك ! !

وفي يوم ٧ آيار ١٩٤٩ اذاعت رئاسة التشريفات الملكية البيان الآتي :

«تلق حضرة صاحب السمو الملكي الوصي وولي العهد المعظم بتاريخ اليوم برقية من حضرة صاحب الجلالة الملكة المعظمة تفيد بأن حضرة صاحب الجلالة فيصل الثاني المعظم قد قُبل في كلية هارو ، في صف أعلى ، بعد اجتيازه امتحان الدخول الخاص بتفوق» .

فقد قُبل الملك فيصل الثاني في الصف الثاني ، بعد ان أُعفي من الصف الرابع الواطئ ، نتيجة إجابته لأمتحان الدخول . ومما تجدر الاشارة اليه في هذا الخصوص – ان المستر تشرشل ، رئيس الوزارة البريطانية ، كان قد درس في هذا الصف !

وكلية هارو هذه – كلية عريقة في القدم والشهرة ، أنشئت في زمن الملكة اليزابيت الاولى ، ويرجع الفضل في انشائها وتنظيمها ، ورسم نظامها الدراسي ، الى المستر «جون لايون» عام ١٥٧٢ .

وقد اصبحت هذه الكلية خاصة بتربية واعداد أبناء الاسر العريقة ، فتخرج فيها عدد كبير من السياسيين الانكليز ، كما درس فيها عدد من الامراء من الشرق والغرب . وكان الملك غازي قد قضى ايضاً في هذه الكلية سنتين ، عندما كان ولياً للعهد ، وهاهو ابنه يلتحق بها وينغمس في محيط هذه الكلية الديمقراطي ، ويسجل في سجلها بأسم (فيصل بن غازي) . ويقيم في قسمها الداخلي ، ويخضع حال انخراطه فيها الى القوانين والانظمة الصارمة التي تسير عليها الكلية لتنشئة شباب متخلق بالخلق الرضي . فشبع بروح الاخاء والتعاون .

كان فيصل شديد الملاحظة بشكل استثنائي – كما يقول العقيد جرالددي غوري . في كتابه «ثلاثة ملوك في بغداد» – وكانت شدة الملاحظة هذه واحدة من خصائصه التي لوحظت عند

وصوله الى «كلية هارو» في شهر ايار من عام ١٩٤٩ . وهو في الثالثة عشرة من عمره . وبعد ان أمضى سنة واحدة في مدرسة «ساندرويد» التمهيدية وفي «هارو» ذهب الى «موربتونز» . وكان ناظر البيت فيه هو السيد «بولبي» وقد قالت امه عالية بأنها ترغب في ان يعامل ولدها مثل بقية الصبيان الاخرين .وان لا تعطى له أية امتيازات خاصة . وأن يأخذ دوره في التلمذة مع البقية. وحين حان الوقت لان يصبح فيصل تلميذاً لأحد التلامذة الكبار ، سُئل أولئك التلاميذ بعد اسبوعين من ذلك الوقت ، عمن برهن على جدارته بذلك من الصبيان الجدد . فرد الجميع بانه «فيصل» .

ولقد كتبت أرملة الناظر «بولبي» - فيما بعد عن فيصل ، تقول بأنه : «كان يتصرف تصرفاً جيداً مع كل أنسان . وكان معتدلاً ، ذا فكر ثاقب . غير ان هناك جانباً أكثر عمقاً في خلقه . ربما لم يستطع معاصروه فهمه . كان يتحدث إليّ كثيراً عن وفاة أمه . وكان اهتمامه الرئيس منذ سنواته الاولى ، برخاء شعبه . وبمرور الوقت استطعت ان أدرك بان آماله قد تركزت على ان يصبح قادراً على رفع المستوى المعاشي لافراد الشعب . وان يوفر الخدمات النافعة والصناعات الحديثة لمساعدة بلده . وبحكمة لم تتوفر لشاب مثله . تأكد لديه بأنه لن يمتلك السلطة لتحقيق هذه الخطط الا بعد ان يكبر ويغدو رجلاً مجرباً» .

تخصص الملك فيصل الثاني في موضوع التاريخ ، ومارسه جيداً . ولو انه لم يكن متميزاً في الموضوعات الاخرى . وبلغ فيه الدرجة العليا الخاصة . ولقد كانت خصائصه التي اشار اليها في اول الامر اساتذته في «هارو» الذين يتذكرونه .تتميز بالرقة ، والانفتاح ، والاعتدال . ودفء الاحاسيس . فلقد أعطيت له في اول الأمر غرفة خاصة . بدلاً من ان يشاركه فيها تلميذ آخر . لكنه لم يكن هنالك اي فرق في المعاملة . وهو لم يظهر اي تذمر اثناء تتلمذه على معه من الطلاب الكبار . بل على العكس من ذلك ظهرت عليه دلائل المباهاة لتتلمذه على ... الاخرين . لأنه ظل يحتفظ فيما بعد ، بين الاشياء المختلفة ، المزيد من الاوراق في المنزل الذي سكن فيه بمنطقة «ستانول» والتي تم العثور عليها في قطعة من ورق مبطن من دفتر . ملاحظات كتبت خلال ايامه الاول في «كلية هارو» على الشكل التالي :

واجبات الصبيان اليومية - ١٩٤٩

- حضور الاوائل الستة بعد التمرين الى الدوش (الحمام) .
- ان يكون الماء خارج الحمام .
- ان يرتدي الاوائل الستة ملابسهم استعداداً للحمام .
- ان يجري جميع الصبيان عندما يدعون ، وان يجروا بسرعة حسب المستطاع . ولا يصح التوقف للحديث اثناء الطريق .
- قطع دعوة الصبيان يعاقب عليه بشدة .

شارك في تربية الملك فيصل الثاني ، مربية ، ومشرفة ، ومعلم ، وكلهم من الانكليز ، بالاضافة الى مدرستين انكليزيتين ، احداهما تمهيدية ، والثانية عامة . وأعطيت له دروس في اللغة العربية في العراق وفي انكلترا .

وفي الثلاثين من آذار ١٩٥٠ عاد الملك فيصل الثاني الى بغداد ، ووصل معه الامير زيد – عم والده – سفير العراق في لندن ، بعد ان مرَّ بدمشق ومكث فيها ساعة .

يحكي أمين المميز في كتابه «بغداد كما عرفتها» – عن مرور الملك فيصل الثاني بدمشق في ٣٠ مارت ١٩٥٠ قائلاً : «ان الشعور الذي لمسته من المستقبلين والمودعين ومما ذكرته معظم الصحف السورية . وما تناقلته الألسن والافواه في الاندية والمجتمعات والمقاهي وسائر اوساط سواد الشعب السوري ، كان شعور العطف والاشفاق والحنان نحو شخص الملك اليافع . انه فتى في عنفوان صباه ، ماضيه ناصع ونزيه ، وحاضره نقي ونظيف ، ومستقبله مرهون بمشيئة الله وهدايته وقضائه وقدره وهو علام الغيوب . ان الدافع وراء ذلك الشعور تجاه الملك الفتى . هو كونه حفيد فيصل الاول الذي ذاق السوريون حلاوة الاستقلال الحقيقي على عهده منذ اليوم الاول الذي استخلص فيه سوريا من الحكم العثماني . واسس اول دولة سورية مستقلة» .

وقد انتهز الملك فيصل الثاني فرصة وجوده في بلاده فزار بعض المدن العراقية متفقداً امورها . كما انتهز فرصة حلول عيد ميلاده في الثاني من آيار ١٩٥٠ فخاطب الشعب العراقي من محطة اذاعة بغداد في كلمة جاء فيها :

«شعبي العزيز : تغيبتُ عن وطني العزيز فترة من الزمن ، وانا في شوق وتطلع الى العراق الحبيب . ولهذا اغتنمت عطلتي المدرسية لأقضيها بين خالي العزيز وبين شعبي المجيد ، ولأجتلي ربوع بلادي العزيزة حفظها الله وصانها من كل مكروه . ومما ضاعف سروري وابتهاجي مالمسته من مظاهر الحفاوة والشعور الطافح بولاء شعبي وتعلقه العظيم بشخصي في كل مكان حللت فيه سواء في العاصمة او في سائر انحاء العراق جنوباً ووسطاً وشمالاً . واني إذ أشكر لشعبي الحبيب وده وولاءه ، أعود عما قريب الى متابعة دراستي وفي نفسي ذكريات حبيبة لا تُمحى للأيام السعيدة القصيرة التي تمتعت بها في بلادي . داعياً المولى العلي القدير دوام تقدمكم ورفاهيتكم ، راجياً ان يوفقني لخدمة وطني العزيز» .

وفي اليوم الثامن من آيار عام ١٩٥٠ غادر الملك فيصل الثاني جواً قاصداً انكلترا لمتابعة دروسه ، فصحبه الامير زيد سفير العراق في لندن ووالدته الملكة عالية .

وفي ٢٣ تشرين الاول ١٩٥٠ عاد الملك فيصل الثاني مع والدته الملكة عالية وخاله الامير عبدالاله من لندن ، بعد ان أستفحل المرض الخبيث بوالدته . ونزولاً عند اقتراح الملكة نفيسة – جدة الملك فيصل الثاني ، والدة الامير عبد الاله . أزمع فيصل وعبدالاله على القيام بزيارة قبر

الرسول محمد ﷺ في المدينة المنورة بالحجاز . ولذلك طاروا معها (الملكة عالية) الى هناك . وعادوا خلال يوم واحد .

عاد الى بغداد . بينما كان التدريس جاداً في «هارو» ، لانه كان مضطراً لمرافقة والدته . التي اضناها مرضها العضال . ونصحها الاطباء بضرورة الاقامة في محل يلائم حالتها الصحية . ولكنه لم يكد يصل عاصمة ملكه حتى نُظمّت له دراسة على غرار دراسته في كلية هارو . حتى لاتضيع السنة الدراسية عليه . فقد اذاعت رئاسة التشريفات الملكية في الاول من تشرين الثاني ١٩٥٠ بياناً أوضحت فيه مايلي :

«بالنظر لاشارة الاطباء بضرورة إقامة حضرة صاحبة الجلالة الملكة عالية المُعظمة في محل دافئ يلائم حالة جلالتها الصحية ، وتطميناً لرغبة جلالتها في ان تكون مع جلالة الملك ، فقدتمّ الاتفاق مع إدارة هارو . على ان يسافر جلالته مع جلالتها الى بغداد ويواصل دراسته فيها بموجب منهج الكلية ، ويؤدي الامتحان فيما بعد بالكلية نفسها في وقته المعين . ونظراً لهذا الترتيب المتخذ ، فقد أختير لتدريس جلالته في المواضيع المقررة . حسب منهج الكلية . الاساتذة المختصون الاتية اسماؤهم :

الدكتور خالد الهاشمي	لتدريس اللغة العربية
الدكتور عبد العزيز الدوري	لتدريس التاريخ
الدكتور لوبون	لتدريس الجغرافية
العقيد الركن علاء الدين محمود	لتدريس جغرافية العراق والتاريخ العسكري
المدام تيبوليه	لتدريس اللغة الفرنسية
الاستاذ سعدي الدبوني	لتدريس الرياضيات
الاستاذ جون بير بانك	لتدريس اللغة الانكليزية
الشيخ عبد الله الشيخلي	لتدريس العلوم الدينية

وقد واظب الملك فيصل الثاني على دراسته هذه في بغداد ، الى ان انتقلت والدته الملكة عالية الى جوار ربها في الحادي والعشرين من شهر كانون الاول ١٩٥٠ .

وتلقى الملك حكم الاقدار بوفاة والدته . فتركت في نفسه حزناً عميقاً .

وبعدها بأسابيع قليلة، أصيب بنكسة مرضية كادت تودي بحياته . .

ويحكي الدكتور محمد حسن سلمان الذي شغل منصب وزير المعارف في حكومة رشيد عالي الكيلاني، ثم أصبح وزيرا للصحة في وزارة نوري السعيد الثانية عشرة ووزارتي جميل المدفعي السادسة والسابعة ، عن مرض الملك فيصل الثاني بعد وفاة والدته ، قائلاً :

«كان الملك فيصل الثاني يشكو من مرض (الربو) منذ طفولته . وكانت تنتابه بعض النوبات والازمات لهذا المرض من حين لأخر وبدرجات متفاوتة . وقد عولج في العراق وخارجه . وكان رجال القصر يكتمون ذلك عن الناس .

وفي احدى ليالي مطلع عام ١٩٥١ ، كلمني هاتفياً احدهم من القصر الملكي (الرحاب) ورجاني ان احضر للاشتراك في علاج الملك . حضرت سيارة من البلاط وحملتني الى القصر مع حقيبتي الطبية ، فدخلته وانا مندهش لهذه المفاجئة غير المتوقعة . فلم أكن على صلة بالبلاط ، ولاسبق لي أن عالجت الملك . كما اني لستُ الاخصائي الوحيد في مثل هذه الامراض . لأفتقد في مثل هذه الظروف . لم اسأل في وقته عن ذلك . ولم يهمني في تلك اللحظات إلا أن أقدم ما استطيع من خدمة طبية واجبة كما اقدمها لأي مريض اخر .

تلقاني الدكتور عبد الهادي الباجه جي والسيد تحسين قدري ، ودلفا بي الى المكتبة . فوجدت كلاً من الامير عبد الاله ، ونوري السعيد ، وطبيب العائلة الخاص وكان (انكليزياً) . وبعض رجال الدولة والبلاط . فبادر السيد تحسين قدري بقوله : «سيدي .. هذا الدكتور محمد حسن سلمان ! ! فقال الامير وعيناه مغرورقتان بالدموع : أصعدوا الى غرفة الملك» .. وكانت في الطابق الثاني ، في نهاية الممشى .. صحبني السيد تحسين قدري وادخلني غرفة نوم الملك . وكان مسجّى في فراشه ، وهو يتنفس بصعوبة بالغة . وقد احتقن وجهه وعيناه . وصدره يعلو ويهبط وارنبتا أنفه ترتجفان . وقد وسّد بعض الوسائد، منحني الرأس، وهو وضع كل من تمرّ به هذه الازمة ، فاشار إلي بيده اشارة يفهمني بها ان لافائدة من العلاج .

تقدمت كطبيب ، وبأحساس غريب ، هو مزيج من الشفقة والحنان والتردد والخوف ، واليأس والامل ، ورجوته ان يسمح لي بالكشف عليه ، فاوما برأسه موافقاً ..

بدأت الفحص ، فوجدت ان الحالة تنذر بالخطر ، وان الازمة شديدة ، والقلب ضعيف ، وهيَ مانسميها في الطب حالة (ستاتس أسماتيكس) فتأثرت كثيراً ، ولم أجد الا ان اكذب عليه كذبة الاطباء البيضاء ، حيث طمأنته وهوّنت عليه .

فابتسم غير مصدق ! .. ثم استأذنته للنزول الى الطابق الاول لأرى الامير . فدخلت المكتبة ثانية ، حيث لايزال الجميع فيها ، فاعلنتُ رأيي بان الحالة مع الاسف خطيرة . وقد تأكد لي بان الزملاء الاطباء عملوا كل مافي وسعهم وعلمهم في هذا الخصوص ، وليس عندي ما أضيفه ، ثم أتبعت قولي هذا بكلمة رأيت لابد لي كطبيب ان اقولها ، اذ سبق لي ان شاهدت امثال هذه الحالات المرضية في عيادة الدكتور (براون) في برلين اثناء وجودي ايام الحرب ، وكان هذا الاخصائي يستعمل حقنة خاصة هي مزيج من مادتين قويتين خاصتين بعلاج هذا المرض ، تكون نتيجة زرقها ، إما إنحسار النوبة ، وإما الاضرار بالقلب ، مما قد يؤدي الى الموت ..

ثم تابعتُ الحديث قائلاً : لو كان المريض غير الملك لتحملتُ المخاطرة والمسؤولية . ولكن المريض ليس كذلك ، فلا استطيع تحمل مسؤولية عدم النجاح .. »

ختم الصمت على الحضور ، ونظر كلٌ في وجه الأخر . فقطع الامير حبل الصمت وقال :
- لابد من عمل شيٍ . أعمل اللازم يادكتور «وعلى الله الاتكال». خرجتُ من المكتبة . وقد شعرتُ وكأن جبالاً سقطتْ عليَّ . إذ وضعني قرار الامير في موضع لا أحسد عليه . وحملني مسؤولية تاريخية عظيمة . فرفعت وجهي الى السماء ، ودعوتُ الله ان يعينني على ما انا قادم عليه .

صعدتُ الى غرفة الملك مرة ثانية ، فوجدت حول سريره جدته الملكة (نفيسة) بخمارها الابيض جالسة فوق سجادة للصلاة . وخالاته الاميرات يحيطون به . فاخبرتهم بأنني ساحقنه الان ، آملاً بالشفاء ان شاء الله ..

هزَّ الملك رأسه ، ليقول ان لافائدة من ذلك .. وسلمني ذراعه . فمزجت الحقنتين وزرقتها في وريد الذراع الناحل . ويداي ترتجفان . وقلبي يكاد يقف عن الخفقان ، إذ لم تمر بي حالة كهذه من قبل ، وكانت ابصار من حولي شاخصة واجفة ، مبتهلة الى الله القدير ان يرأف بهذا المريض المحبوب .

جلستُ خلف المريض أسند رأسه الى صدري حتى اخذته إغماءة ، فوسدته ثم افترشت الارض لصق سريره ، وآلة ضغط الدم مربوطة الى ذراعه ، وانا أرقب ضربات قلبه التي وهنت ، وضربات قلبي التي تضاعفت ، وكأنها تريد التعويض . صورة حية مأساوية لاترسمها ريشة ، ولايصورها خيال ، أنطبعت في صميم ذاكرتي ، لاتمحوها الايام ، وهي لاتزال اعظم ما مرَّ في حياتي من صور ورؤى وأحلام !

بدأ الضغط الدموي يهبط ، والقلب يضعف ، فبدأ يأسي يزداد ، وقد نسيتُ كل شيٍ إلا تعلقي بالسماء ، وإلاشعاع من الايمان بالذي هو أقرب من حبل الوريد ..

وبعد زمن هو دهر من السنين ، عاد الضغط تدريجياً الى الارتفاع ، وقوي القلب ، وانتظم النبض ، وهدأ النفس ، وكدتُ لا اصدق علائم الخير هذه ، فأنصتُ مجدداً لاتأكد ، حتى تململ الجسد المُسجىّ ، وفُتحت العينان ، وتلفت الوجه الحزين ، يتصفح الوجوه المحدقة ، وأرتسمت الابتسامة الرقيقة ، وأشرق الأمل بعد اليأس ، وتحركت اليد وأمسكت بيدي ضاغطة برقة معربة عن الشكر والامتنان .

حاولتُ ان أنهض من مجلسي على الارض ، فلم اجد لي أرجل لأقوم ، فقد كانت مُخدرة شبه مشلولة من طول الجلوس والإطواء ، فمددتها وضغتها حتى جرى الدم فيها ، وقمتُ لأجلس على طرف السرير ، لأواجه عودة الحياة الى ذلك الوجه الذي غرق في سكرات الموت ، ثلاث ساعات طوال ، هنّ في حساب القلق والترقب ، ثلاثة اعوام او يزيد ..

جلس الملك في فراشه ، وطلب الطعام ، فأمرت له بشئ من الشاي والبسكويت ثم استاذنته بالانصراف»

وعن سبب دعوته لعلاج الملك ، ولماذا استدعي في تلك الظروف ، يحكي لنا الدكتور محمد حسن سلمان قائلاً :

«ذهبت الى تحسين قدري مدير التشريفات الملكية في البلاط . فرجوته ان يصدقني الخبر . وهو لماذا وقع الاختيار عليَّ لعلاج الملك ؟

فقال : سأقول لك السر ، أملاً ان لاتفشيه ولايزعجك ..

فقلتُ : كما تشاء .

قال : كنا جميعاً الامير والوزراء ، وحتى الاطباء يائسين من حياة الملك ، وقد فكرّنا في موضوع شهادة الوفاة ، ومن سيوّقعها ؟ ! .. وكل الموجودين ، من اطباء اجانب وبعضاً من العراقيين ليسوا موضع ثقة الشعب . فخشينا ان يشاع ان في الامر جريمة ، وان الدافع طموح الامير الى العرش ، فتذكرناك ، وأنت لاتزال حديث عهد بالسجن ، وسمعتك لاغبار عليها بين الوطنيين ، والشعب يعرفك من رجال حركة ٤١ . فتوقيعك والحالة هذه على شهادة الوفاة ، ضمان لتصديقها من الشعب .. هذا هو السبب الاصلي ، والخير فيما اختاره الله .

فقلتُ : مكروا ، وكان الله خير الماكرين» .

وفي السادس من شباط ١٩٥١ غادر الملك فيصل الثاني بغداد قاصداً لندن لمواصلة دراسته في المعاهد البريطانية . وقد رافقه في سفرته هذه خاله الامير عبد الاله ، ليكون الى جانبه ،بعد فقده والدته الملكة عالية ، التي كانت تلازمه دائماً .. وتألفت هيئة للوصاية من : محمد الصدر ، وجميل المدفعي ، والشريف حسين بن علي ، صهر الأمير عبد الاله . وقد عاد الامير عبد الاله الى بغداد في العشرين من اذار ١٩٥١ .

وعاد الملك فيصل الثاني الى بغداد في ١٦ كانون الاول ١٩٥١ ، مغتنماً عطلة أعياد الميلاد ورأس السنة الميلادية في انكلترا ، وليقضي هذه العطلة بين افراد عائلته وشعبه .. وقفل عائداً لاتمام دراسته هناك في ٢١ كانون الثاني ١٩٥٢ .

وفي مطلع عام ١٩٥٢ تلقى الامير عبد الاله من المستر ترومان ، رئيس الولايات المتحدة الامريكية يدعوه فيها والملك فيصل الثاني الى زيارة الولايات المتحدة الامريكية «كي تتاح الفرصة لصاحب الجلالة فيطلع على مراحل التقدم الصناعي والزراعي في تلك البلاد» . وقد صدر بيان من التشريفات الملكية في ١٩ حزيران ١٩٥٢ يعلن قبول هذه الدعوة .

وفي يوم ١٦ تموز ١٩٥٢ سافر الوصي الامير عبد الاله الى لندن ليصطحب الملك في زيارته الى اميركا .

وفي ٢١ آب ١٩٥٢ وصل الملك فيصل الثاني والوصي عبد الاله الى ميناء «نيويورك» على ظهر الباخرة «كوين ماري» ، فأستقبلا استقبالا رسميا ..

ومنذ اللحظة التي وطئت قدماه أرض القارة الامريكية ، تولت السلطات الاميركية الرسمية تنفيذ البرنامج المُعَد لهذه الزيارة التي استغرقت أربعة أسابيع ، زار خلالها والوصي الامير عبد الاله نيويورك وواشنطن وديترويت وشيكاغو ودنفر وسان فرنسيسكو ولوس أنجلس وغيرها من كبريات الولايات الاميركية .

وزار اثناء مكوثه في تلك المدن كثيراً من المواقع التاريخية والمراكز العلمية امثال : دار جورج واشنطن . والنصب التذكاري لابراهم لنكولن . والكابيتول . ومعهد الدراسات الشرقية . وجامعة شيكاغو . والكلية البحرية في ماريلاند. كما زار هيئة الامم المتحدة . وبناية (الامباير ستيت) - أفخم ناطحة سحاب واعلاها في الولايات المتحدة قاطبة انذاك . وشهد مؤسسات إحياء الاراضي ومشاريع الري الكبرى والسدود العظيمة ، ثم مراكز ضخ المياه للزراعة . وشهد كيف تروى المساحات الواسعة من الاراضي من جراء تنظيم الري ، وكيف تنطلق القوة الكهربائية من مساقط المياه في تلك المشاريع . فوقف على خير الطرق للافادة من مياه الانهار .

ثم زار المرصد الكبير في نيفادا ، وشهد الاستعراض العسكري الكبير الذي اقيم في معسكر (نوكس فورت) ، وزار جامعة كاليفورنيا ، وهوليوود ، والمجمع الاسلامي وجامع واشنطون . وتبرع له بمبلغ (٢٨٠٠) دولار .

كما التقى بالرئيس الامريكي المستر هاري ترومان ، رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية .

وفي ١٧ ايلول ١٩٥٢ غادر الملك فيصل الثاني وحاشيته اميركا متجهاً الى انكلترا حيث لبى الدعوة التي وجهتها اليه الملكة اليزابيث الثانية ، ملكة بريطانية ، ونزل في ضيافة الملكة في قصر بالمورال التاريخي في سكوتلاندا .

وفي يوم ٢٢ تشرين الاول غادر الملك فيصل الثاني الجزيرة البريطانية عائداً الى وطنه عن طريق فرنسا ، فالبحر الابيض المتوسط على ظهر الباخرة (اسبيريا) ، وفي ٢٨ تشرين الاول ١٩٥٢ وصل الاسكندرية . وكانت في استقباله المدمرة (ابراهيم) على بعد ثلاثة اميال من الشاطئ ، الذي يعج بالآف من ابناء مصر الشقيقة الذين هرعوا لاستقبال ملك العراق ، وفي مقدمتهم اللواء اركان حرب محمد نجيب رئيس الجمهورية ، واركان القيادة العامة وعدد من الشخصيات المصرية والعربية .

وتقدم اللواء محمد نجيب من الملك فيصل الثاني وهو يقول : «انه لما يشرفني ان أكون في شرف استقبال جلالتكم بأسم الشعب والحكومة والجيش ، وقد قدمتم اهلاً ، وحللتم في بلدكم ، فعلى الرحب والسعة» !

وبعد ان قضى الملك فيصل الثاني ليلة في الاسكندرية غادرها صبيحة يوم ٢٩ تشرين الاول قاصداً ميناء بيروت ، حيث وصلت الباخرة في اليوم التالي . وكان في استقباله كميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية . وبعد استراحة قصيرة ، غادر بيروت على متن طائرة عراقية خاصة قاصداً بغداد ، فوصلها مساءً .

وفي الثالث والعشرين من تشرين الاول ١٩٥٢ . أعلنت رئاسة التشريفات الملكية في بيان

لها عن أنتهاء دراسة الملك فيصل الثاني في كلية «هارو» وحصوله على الشهادة الرسمية بتفوق .. وانه في طريق عودته الى العراق .

وكان الملك فيصل الثاني قد تلقى في «كلية هارو» اللغة اللاتينية ، والادب الانكليزي ، والرياضيات ، والتاريخ ، والجغرافية ، والعلوم الطبيعية ، واللغة الفرنسية ، والموسيقى ، والالعاب الرياضية والفروسية والتدريب العسكري . كما اصبح يجيد اللغة الانكليزية إجادة تامة . كما يحسن اللغة الفرنسية . اما لغته العربية فسليمة صحيحة .

وفي الثلاثين من هذا الشهر عاد الملك فيصل الثاني الى عاصمة ملكهِ ، بغداد .

وكانت قد سافرت الى بيروت بعثة شرف لاستقباله من على ظهر الباخرة «أسبريا» ، مؤلفة من وزير الدفاع حسام الدين جمعه ، ورئيس التشريفات الملكية تحسين قدري ...

وقد سُرّ الملك ماشهده من الشعب العراقي من محبةٍ ووفاء ، فوجه الكلمة التالية من دار الاذاعة مساء يوم ٢ تشرين الثاني ١٩٥٢ :

«شعبي العزيز .. في الوقت الذي أعود فيه الى بلادي العزيزة لايسعني الا ان اتقدم اليكم بوافر الشكر على ماابديتموه نحوي من ترحيب وولاء مما ترك أعمق الأثر في نفسي . وانه ليسرني ان اعود الى الوطن بعد استكمال دراستي ، وسيكون في وسعي ان أتلمس حاجات شعبي وامانيه عن كثب ، دارساً ومستقصياً مايعود نفعه على البلاد بالخير . واني لآمل بفضل تآزركم وتعاونكم الوثيق ان تتحقق للبلاد امانيها . وختاماً أكرر شكري ودعائي لكم ، سائلاً المولى العلي القدير ان يأخذ بيد الجميع لما فيه خير الشعب وعز البلاد ، والله ولي التوفيق» .

واختير للملك فيصل الثاني ، بعد عودته الى بغداد ، عدد من كبار الموظفين والخبراء لمباحثته في شؤون البلاد العامة ، فاختير الدكتور نديم الباجه جي لمباحثته في شؤون النفط ، والاستاذ عبد الجبار التكرلي – عضو محكمة التمييز لمباحثته في الحقوق الاساسية وتشكيل المحاكم ، والاستاذ عبد الحميد رفعت ، مدير الداخلية العام ، لمباحثته في الشؤون الادارية والعشائرية .

قال عنه اساتذته ، الذين درسّوه في الفترة الاولى من حياته انه كان حريصاً على إعداد الواجبات الدراسية [1] ..

قال الدكتور مصطفى جواد : «لايعرف التقصير في الواجب عليه . ولايعترف به الا اذا كان الباعث عليه قاهراً قاسراً ، واني لأذكر انه كان في ايام تعليمي له حريصاً كل الحرص على اعداد الواجبات الدراسية ، فكان اذا حال بينه وبين الواجب اليومي حائل من مرض ، او سبب مجبر ، طلب ان يقدم عذره الى استاذه قبل ان يلقاه فيقطع الحساب جملة لاتفصيلا .

ولا ازال اذكر يوم أنكسرت رجله في سويسرا سنة ١٩٤٨. وكنت قبله قد أصبت بصدمة فاسخة شديدة في قدمي اليسرى ، فذهبت متحاملاً الى غرفته ، والعائلة الكريمة تتقطع قلوبها

(١) هذه الاراء نشرت في مجلة (اهل النفط) في عددها الصادر بمناسبة تتويج الملك فيصل الثاني عام ١٩٥٣

أسى من الحادثة ، فرأيت فيه من الجلادة والاحتمال المفضي الى عدم الاكتراث ، امراً عجيباً ، وحالاً مدهشة ، وصبراً مُحيراً . ومن المعلوم ان الجلادة من اهم صفات الملوك» !

وقال عنه الدكتور ناصر الحاني : «لقد كنت اتحدث وجلالته ذات مرة عن الزراعة في العراق، وشكوت من هذه الوسائل التي ظلت تعيش معنا وظللنا نعيش عليها .

وشكوت من هذا التفاوت في الملكية ، ولم يحضرني نسبة الاراضي المزروعة الى غيرها ، فراح جلالته يذكرها تفصيلاً ، ويذكر الطرق التي يمكن معها اسقاء كل منطقة في بلدنا ، وكيف نحقق استثمار الاراضي بالوسائل الزراعية وبالزراعة ذاتها وفلاحيها . ولم يأسرني هذا التفصيل كما اسرني هذا التفاؤل ، كما بدا في وجه جلالته وحديثه . وجلالته لايعرف صعباً ولايثنيه عما يقدم عليه مايعتوره ان ادرك فيه خيراً . رأيت هذا في الكتاب المغلق الوعر ، يتجلد له ، ويصبر دونه ، حتى يعيه ، والمسألة المعقدة يقلبها دون توان حتى يقف عليها . وهذا ركن هام في الطموح» .

وقال الدكتور خالد الهاشمي : «وجلالة الملك فيصل الثاني ملك عصري بكل معنى الكلمة . فهو ملك مثقف، عالم يفهم القوى والعوامل التي تسير وتوجه عالم اليوم وخاصة في ميادين العلم والمخترعات والصناعة والاساليب العلمية ، ومايمكن ان توفره للبشرية من سعادة ورخاء لو أحسن توجيهها واستثمارها في النواحي العمرانية المختلفة».

ويحكي عبد الرزاق الهلالي ، الموظف في البلاط الملكي ، ذكرياته عن الملك فيصل الثاني فيقول :

«كان ذلك منذ ست سنوات، وكان الملك في الثانية عشرة من عمره المديد، حين سأل عمه سمو الامير زيد بن الحسين عن سبب اختياره كلمة «رعد» أسماً لنجله الكريم . فاجاب الامير زيد :

– عندما بشروني بولادة الغلام ، فتحتُ القرآن الكريم، لأقوم باستخارة تمكنني من اختيار اسم له ، فاذا انا افتح كتاب الله على سورة الرعد ، فاخترت له هذا الاسم عملاً بالاستخارة ..

وهنا أبتسم الملك فيصل الثاني ، وقال لعمه مداعباً :

– وماذا كنتم تسمون ابن عمي لو أنكم حين فتحتم القران الكريم ووقعتم على سورة «الفيل» ؟!

وكانت نكتة بارعة ، ضحك لها سمو الامير زيد ، وهي لاشك تَنمُ عن سرعة الخاطر ، وروح الدعابة الاصيلة» !

وتابع الهلالي حديثه قائلاً: «ان الملك فيصل على جانب عظيم من المهارة في الشؤون الميكانيكية ، فهو يهوى تفكيك الالآت ، ودراسة أجزائها ، ثم تركيبها من جديد ، وله ولع [illegible] بمطالعة الكتب والمجلات التي تُعنى بالآلات والمحركات حتى ان مدير احد المعارض [illegible] في لندن قال لجلالته :

– ينبغي لي ان استدعي كبير المهندسين للاجابة على اسئلة جلالتكم الفنية المحرجة ..!

ومن أطرف مايروي عن مهارة الملك الميكانيكية ان صاحب السمو الملكي الامير عبد الاله كان في بريطانيا يرافقه آمر القوات الجوية السيد سامي فتاح ، فذهبا معاً الى احد مصانع الطائرات ، وأوصيا على عدد منها للحكومة العراقية ، واحضرا معهما «الكاتالوكات» وقدماها الى جلالة الملك فيصل الذي لم يتسع وقته لزيارة المصنع معهما . واخذ الملك يتصفح الكاتالوك ، ويقرأ التفاصيل عن انواع المحركات ، واذا به يسأل خاله الوصي :

اي طراز أخذتم للطائرات التي اوصيتم عليها؟.

فأشار الوصي الى نوع المحركات على الكاتالوك ، فاذا بالملك يهبُّ من مقعده مذعوراً ويقول :

– هل أمضيتم العقد مع ادارة المصنع. يجب الغاء العقد حالاً...

واستغرب سمو الوصي ، وآمر القوات الجوية هذا الطلب المفاجئ ، وسألا جلالته عن السبب فقال :

– ان وسائل التبريد في المحركات التي أوصيتم عليها مصنوعة خصيصاً لجو بريطانيا ، وهي لاتصلح لجو العراق ، فان المياه تغلي عندنا لارتفاع الحرارة ، ويتعذر على الطائرات العمل بانتظام .

ولدى مراجعة ادارة المصانع ، تأكد سمو الوصي ان جلالة الملك الشاب على حق في ملحوظته القيمة ، وأمر بابطال العقد ، وأوصى على طائرات نافورية ، بدلاً من الطائرات الاخرى .

ومن أبرز مزايا الملك الشاب ووفاؤه لاصدقائه ، ولاسيما رفاقه في الدراسة في كلية هارو ، فهو لم ينسهم في حفلات التتويج ، بل دعا خمسة منهم الى المهرجانات في بغداد ، فحضروا وحلوا ضيوفاً على جلالته . وكنا نشاهدهم يحيطون به في السهرات ، وجلالته يخصهم بعطفه ورعايته .»

وتابع عبد الرزاق الهلالي حديثه فقال : «ان الملك لايدخن ، ولايذوق الخمر ، ولايحب السهر ، وان يكن يتذوق الموسيقى ، ولاسيما الغناء العراقي القديم ، وهو مولع بالمطالعة ، ويفضل كتب التاريخ على سواها . وقد قرأ كتب المؤرخ «ماكولي» جميعها . ولعل أروع عبارة تؤثر عن جلالته هي تلك التي قالها لمراسل احدى الصحف العربية :

– هناك ثلاث كتب احتفظ بها دائماً : كتاب الله ، و «حياة محمد» لمحمد حسين هيكل ، ووصية المغفور لها أمي !

ويتحدث الدكتور مصطفى جواد ، مرة اخرى ، عن تدريسه اللغة العربية للملك فيصل الثاني ، قائلاً :

«بين يدي الآن اضبارة كنت قد جمعت فيها وثائق المراحل الاولى لدراسة الملك فيصل الثاني ، وكان بدؤها في اليوم العاشر من شهر كانون الاول سنة ١٩٤٢ .

وقد اخترت «القراءة الخلدونية» لأنها مؤلفة على الطريقة الصوتية المتبعة في تعليم اللغات وتعلمها في عامة البلاد المتمدنة ، من حيث هي اقرب الطرائق الطبيعية الى بلوغ الغاية ، واسهلها في ذلك الشأن ، على اني اجلت فيها يد الاصلاح اجالة مستدامة ، لتقريب الكلمات من مداركه بالتغيير او الاستبدال .

وقد اظهر من الذكاء والتقبل والادراك والفهم مابعثني على السعي سعياً حثيثاً في تعليمه ، والاسراع في تدريسه لاختصار الزمان ، والقيام بالواجب علي قبل فوات الاوان ، وليس تعليم الملك كسائر التعليم لما فيه كل فرد من افراد الامة ، لايطيق تحمل تبعة التقصير فيها مخلص للامة .

وماشككت في اخلاص من ندبني الى تعليم الملك ، وحبه للبيت الهاشمي ، وحرصه على بلوغ الغاية بأقصر وقت واقل جهد ، فقد تدب اباً شفيقاً رؤوفاً ، قد اتقن اصول التعليم والتدريس على وفق الطرائق الحديثة ، وسلخ في التعليم اثنتي عشرة سنة ، عشر سنوات منها في المدارس الابتدائية ، واطافته تجارب التعليم من الصف الاول الابتدائي الى الصف الرابع في دار المعلمين العالية .

وكان ولع الملك فيصل باللغة العربية الفصحى شديداً مع التبكير به في تعليم اللغة الانكليزية ، ووفارة الكتب الانكليزية الشائقة الرائقة ، مضافاً الى ان العربية التي يدرسها هي غير العربية التي يتكلم بها وهي اللهجة العراقية المعروفة البعيدة عن الاعراب وصحة التركيب ، وكنت اتبين فيه صحة التفكير والتأني في الحكم وطول الاناة والصبر على التلقي والقيام بالواجب عليه مع افراط في التزام الرسوم «الايتيكيت» عاداً ذلك من الاواجب المتقبلة وقد قويت فيه الميل الى التاريخ وفروعه كالآثار العتيقة لأن الملوك ينتفعون بالتاريخ احياناً ما لاينتفعون بأنصح النصحاء واحكم المستشارين ، ذلك لأن التاريخ الصحيح امور عملية محسوس بنتائجها ، مشعور بآثارها ، والنصائح نظرية تحتاج الى التطبيق لتكون تاريخاً .

واذكر انه سألني عن القصر العباسي القائم في القلعة الداخلية العتيقة اي وزارة الدفاع على الشط بجوار المجلس النيابي فقلت له انه «دار المسناة» التي بناها الخليفة الناصر لدين الله ، ولما زار القصر قال له الدليل الموعز اليه بايضاح تاريخ القصر ، ان القوم لم يقفوا على حقيقة باني القصر ، فاعترضه قائلاً : بل هو الخليفة الناصر لدين الله وذكر لهم برهاناً على ذلك كان قد سمعه مني .

وكان يحفظ صور الالفاظ العربية حفظاً متقناً ، فكان يكتبها على الصحة والصواب ، وغير خافية صعوبة الالفاظ العربية على طريقة السماع والالقاء ، وعندي نماذج من كتابة ، نال فيها الدرجة التامة ، والله يعلم اني لم اكن احابيه في تقدير الدرجات ، لانه كان يكفيه ان تمر اللفظة تارة واحدة تحت عينيه الكريمتين فتنقش في ذهنه ، ولايستطيع النسيان ان يتطرق عليها ابداً .

وقد تحققت فيه رباطة القلب وقوة النفس في مواطن ثلاثة واحوال ثلاث : في البلاط الملكي ذات يوم كان يكتب فيه على السبورة بالطباشير وطالت الكتابة سفلاً ، حتى ثني رجله

اليمنى على البساط ليتمكن من مواصلة الكتابة فأصاب ركبته «دبوس تثبيت» من النوع الاصفر المعروف فما اظهر تألماً ولاتأذياً ولاتكلم بكلمة تعرب عن التوجع كما يفعل في العادة منهم في عمره وسنه من الصبيان ، بل انتزع الدبوس والقاه في المهملات واستمر على الكتابة . وفي مدرسة سندرويد بانكلترة فان الحمى ذات مرة اشتدت عليه ، حتى اضنته فدخلت عليه حجرة التمريض فاذا هو سقيم عليل قد وعكته الحمى وعكاً شديداً واخذت منه بالانفاس والكظم . فهو لايستطيع الكلام ، ولكني لم اشهد منه تاوهاً ولاتوجعاً ولاتخاذلاً ، بل كان يتجلد ويتصبر ، حتى خفت من صلابته على نفسه . وفي سويسرة حين قيل لي انه قد خرج مع مرافقيه يتزحلق على الثلج فتحرك حركة سريعة كسرت ظنبوب رجله اليمنى ، وكنت يومئذ مصاباً في قدمي اليسرى وملازماً للفراش فتحاملت على نفسي فوجدته قد اقعد على اريكة ، وثنى رجله اليمنى وهو ساكت صابر يتجلد ودموع من حوله تبتدر وتحسراتهم تتوالى توجعاً له ، وترثيا له من ذلك المصاب ، الذي كاد يدمي القلوب حين وقوعه .

ومع هذه الجلادة والشجاعة وثبات الجنان تغلب عليه رقة القلب في مواضع الرقة والهشاشة والبشاشة عند الانبساط والارتياح ، ويضحك من النادرة ويحب القصص القصيرة الطريفة ويميل الى سماع المحاكاة ومشاهدتها ، وذلك مما قوى عنده ملكة الرسم والتصوير ، لما فيهما من صامت التعبير ، والمحاكاة المنقوشة ، اللذين هما حقيقة مجسمة .

وكان منذ صباه مولعاً بمطالعة المجلات والكتب على اختلاف موضوعاتها وبذلك حصل على انواع من المعرفة قلما نجدها عند امثاله في العمر حتى عند الكهول والشيوخ الذين اتسموا بسمة العلم والفهم ، وهذا الميل الى اكتساب العلوم والمعارف من محاسن التوفيق وامارات الاهتداء وعلامات سمو النفس وسعيها في نيل الكمال ، فأعظم مامدح به قدماء الخلفاء والملوك والأمراء انهم كانوا مشاركين في شيْ من العلوم مشاركة بالغ التاريخ في وصفها ، على العادة في مبالغة التواريخ في سير الملوك الذين ألفت من أجلهم ، ولكن الملك فيصل الثاني حصل بمطالعته – فضلا عن دراسته – مقداراً من العلوم ندر ان نجد له مثيلا في التاريخ ، واعتقد انه اذا استتبت الامور السياسية في العالم وخرجت نظرية السلام العام من بابة الفكرة الي بابة التحقيق والتطبيق يستطيع ان يعيد لنا عصر عبد اللّه المأمون ، وان كانت العلوم العصرية لاتقابل بتلك العلوم الفجة والبحوث غير الناضجة فالقياس باطل ان جرى ، والمقابلة غير صحيحة.

ويحدثنا الشيخ عبد الله الشيخلي ، مدرّس الملك فيصل الثاني العلوم الدينية عن ايمان الملك الفتى ، بربه عز وجل إيماناً صادقاً لاتشوبه شائبة ، فيقول : «لعلي لاأبالغ إذ اقول ، ان أسعد اوقات الملك فيصل ، هي تلك اللحظات التي كان يؤدي معي فريضة من الفرائض الدينية ، متوجهاً بكليته الى الله رب العالمين ..

اما القرآن الكريم ، فان تلاوة أياته البينات ، أحب شيْ الى نفسه ، يتلذذ بتلاوة كتاب الله العزيز ، ويلقيه إلقاء ينسجم مع معانيه ، ولايقرأ آية الا ويسأل تفسيرها ومعاني كلماتها ..

ويقول الملك فيصل الثاني الى الصحفي العربي ناصر الدين النشاشيبي ، عندما رجاه ان يوجه كلمة الى الشباب العربي عبر مجلة «اخر ساعة» المصرية عام ١٩٥٢ : «قل لهم ان فيصل يحبكم ، ويعتبر كل شاب عربي أخاً له ، ثم قل لهم انه ليس عندي ماأقدمه سوى جهدي واخلاصي ، فكل ذخيرتي في الحياة كتاب الله الذي لاافارقه وأنشد فيه البركة والسلامة . وحياة محمد ، ووصايا المرآة التي كانت لي كل شيء ، أمي رحمها الله» .

ولقد أظهر الملك عناية فائقة واهتماماً كبيراً في دراسة التاريخ العربي الاسلامي . وقد سئل مرة عن الشخصية التاريخية التي كان لها أثر خاص في نفسه فقال : «ان أحب شخصية الى قلبي هي شخصية النبي الكريم (ﷺ) . فقد قرأت كتاب السيرة لأبن هشام . ثم أعدت قراءتها مرة ومرة . وتأثرت بما أنطوت عليه من حروب وحكم واحاديث وفتوحات . حتى تركت في نفسي اثراً لن يمحى ...» .

ويروي عبد الغني الدلي - أحد مدرسي الملك عام ١٩٤٦ عن الملك فيصل النادرة اللطيفة قائلاً :

«عندما كنا على مأدبة الغذاء ، الملك والامير رعد نجل الامير زيد التفت إليّ الملك وقال :
أتعلم .. لماذا ابن عمي بأسم «رعد» ؟!
فقلتُ : كلا .. ! !
فأغرق الملك في الضحك ، ثم قال :
- إنها قصة مدهشة . ذلك ان عمي عند ولادة أبنه . فتح القرآن الكريم يستفتح له . ويطلق عليه اسم السورة التي تطالعه لدى الفتح . فجاءت سورة «الرعد» ..
ثم راح الملك يضحك . ويقول : ليس العجب هنا . ولكن العجب كان يكون أشد . لو أن عمي عندما استفتح له وقع على سوة «الفيل» مثلاً . فماذا كان يصنع .. أيسميه فيلاً ؟!
ويستطرد الدلي قائلاً : وللملك فيصل الثاني ذاكرة قوية . فهو يتذكر الحوادث السابقة حتى ولو بعد مضي بضع سنوات . وله فوق هذا قدرة عجيبة على تذكر المناظر التي يمر بها ، او التي تقع عليها عيناه» .

ويتحدث الدكتور ناصر الحاني ، مُدّرس الملك ، مرة اخرى عن ذكرياته وانطباعته عن الملك فيصل الثاني ، فيقول :
«أذكر انني سافرت مرة الى المانيا ، عندما كنت اقوم بتدريس الملك في انكلترا ، لانتقاء الاساتذة الالمانيين للتدريس في العراق . ولما عُدتُ سألني عن مهمتي ومدى نجاحها فذكرتُ الخبراء الاربعة الذين أنتقيتهم واسماءهم . وبعد زمن طويل سألني عما حلّ بالخبراء . ولم يكتف بهذا بل راح يمزح - كعادته ، ويذكرهم باسمائهم ..» !
ويحكي العقيد الركن علاء الدين محمود ، رئيس المرافقين في مطلع عام ١٩٥٢ ، عن قوة ذاكرة الملك فيصل الثاني ، قائلاً :

كان نوري السعيد قد القى في عام ١٩٥٠ محاضرة عن حروب نابليون في قاعة الملك فيصل الثاني . تطرق فيها الى تاريخ استعمال البارود . وذكر كيفية استعماله في البنادق فاشار الى انه كان يستعمل بادئ الامر من فوهة البندقية حتى اذا حل تاريخ -كذا- بدئ باستعمال طلقاته من اسفل السبطانة .

ولما سمع الملك التاريخ الذي ذكره نوري السعيد ، فكّر لحظة ثم قال اعتقد ان هذا التاريخ ليس هو التاريخ الذي بدئ فيه استعمال البارود على هذه الطريقة بل الاصح هو تاريخ -كذا- ثم لاثبات صحة قوله بعث في طلب دائرة المعارف البريطانية فجاءت مؤكدة ما قاله ..»

ثم هذه النادرة . لقد اتفق ان كان الملك حاضراً في مجلس ضم الامير عبد الاله وجماعة المرافقين وطيار الملك الخاص المقدم جسام محمد .

وكان جسام بحكم مهنته كطيار متضلع في فن وهندسة الطيران يتكلم عن طائرة - الجت - والكل يستمع اليه إلا انه عندما وصل في حديثه الى نقطة فنية معينة انبرى الملك فيصل قائلاً : ان ماتقوله ياجسام غير صحيح بل الاصح هو كذا. فأصر جسام - وهو الطيار المختص - على رأيه فقال له اسمع ياجسام انت طيار مختص وانا لست كذلك ولئن أبديت لك ما أقول فليس ذلك من بنات افكاري أو من خيالي انما هو ما قرأته في الكتاب الفلاني ، ثم أمر باحضار الكتاب وسلمه الى جسام قائلاً : اقرأ ماجاء فيه حول هذه النقطة . فلما قرأه جاء كما قال الملك .

وعندها سكت المقدم الطيار شاكراً هذا الالتفات الصحيح .

والمعروف عن الملك انه صبور يكظم الحزن والالم ويتجلد امام المصاعب والنكبات ...

وليس أشد على المرء وقعاً من فقد امه الحنون في وقت هو احوج مايكون فيه الى رعايتها وعطفها . ولكنه كان صبوراً تحمل هذه الصدمة المؤلمة بجلد ولسان حاله يقول :

اذا ثارت خطوب الدهر يوماً عليك فكن لها ثبت الجنان

فقد كان فيصل ثبت الجنان متين الاعصاب . ولم يستغرب منه ذلك فلقد روى عبد الرزاق الهلالي قائلا : دار بيني وبين الملك عبدالله حديث عندما قدم مسرعا بالطائرة الى بغداد يوم وفاة الملكة عالية . اذ كنت في شرف استقباله في المطار المدني . فقد سألني قائلا :

- خبرني كيف حال فيصل ؟ وكيف تلقى هذه الفاجعة ؟ ..ألم يواجهها بصبر وجلد ؟ !

قلت : بلى والله انه لكذلك .

فقال الملك عبد الله عندما سمع جوابي :

الحمد لله ... هذا ما كنا نأمله فيه .

كان اول رئيس مرافقين للملك فيصل الثاني . منذ الثالثة من عمره . هو اللواء عبد الوهاب

عبد اللطيف السامرائي . وقد رافقه الى ان بلغ الرابعة عشرة من عمره . ثم أعقبه الزعيم الركن (العميد) عبد المطلب الامين . فالعقيد الركن علاء الدين محمود . فالعقيد الركن احمد محمد يحيى . فالزعيم (العميد) عبد الوهاب شاكر . فالزعيم (العميد) نوري جميل . هؤلاء بالاضافة الى واجباتهم العسكرية كرؤساء للمرافقين ، فقد كانوا يقومون كذلك بتدريسه التاريخ الاسلامي والجغرافيا لاسيما جغرافية العراق والعالم العربي ..

لم يتدرب الملك فيصل الثاني عسكرياً . فقد شاءت الاقدار ان يحرم من أبيه ، الملك الشعبي ، الذي عاش جندياً ، ومارس خشونة العسكرية وشظفها ، وقاسم الضباط أفراحهم وأتراحهم ، فأحبه افراد الجيش كواحد منهم ، ومارس السياسة فغامر بها ، وألهب حماس ومشاعر الشعب بوطنيته الدافقة ، وكرهه لبقايا الوجود الانكليزي في العراق ..

وربما لو قدر للملك فيصل ان يعيش في كنف والده الجندي الوطني الشجاع ، لكان اكتسب وتعلم منه عشقه مهنة الجندية ، وفنه في الاضطلاع في أعباء الملك والحكم .

وفي ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٢ افتتح الملك فيصل الثاني خطاً جديداً لانابيب نفط كركوك (قطر ثلاثين عقده) . وقد شهد حفل الافتتاح في كركوك ، الوصي ورئيس الوزراء والوزراء وكبار الشخصيات الرسمية والاهلية .

وفي ٢٢ شباط ١٩٥٣ غادر بغداد الى كربلاء والنجف ، الملك فيصل الثاني والوصي عبد الاله . وبعد ان قضيا في القصر الملكي في الكوفة مدة ، سافرا الى لواءي الديوانية والحلة ، ثم عادا الى العاصمة في الخامس من اذار .

وفي الخامس عشر من اذار توجها بالقطار الى لواءي المنتفك والكوت . وبعد ان تفقدا اقضيتهما ، واقيمت على شرفهما المآدب ، عادا الى العاصمة فوصلاها في ٢٠ آذار . وفي الخامس من نيسان ١٩٥٣ قصد البصرة جواً الملك فيصل الثاني يصحبه خاله الامير عبد الاله ، ونوري السعيد وزير الدفاع ، وبعد ان تفقد معالمها ، وزار ملحقاتها ، استقل اليخت الملكي الى الكويت فاستقبل فيها استقبالا فخماً ، ثم عاد الى البصرة ومن ثم الى بغداد

• •

كان الصحفي المصري حبيب جاماتي ، قد قابل الملك فيصل الثاني ، قبيل تسلمه سلطاته الدستورية بايام قليلة ، واجرى معه حديثاً صحفياً نشره في مجلة «المصور» القاهرية قال فيه : «عرفته طفلاً ، كما عرفت أباه من قبل طفلاً . وعرفت الاثنين في سن الشباب . ووجوه الشبه كثيرة بينهما ، طفلين وشابين ، وأوفرها وضوحاً : الوداعة والبساطة والصراحة ورقة الشعور . وكانت جميعها متوفرة ايضاً في الجد فيصل الاول ، كما توفرت من بعده في الابن غازي ، وفي الحفيد فيصل الثاني .

والملك فيصل الثاني لم يقابل احداً الى الان الا بحضور الوصي على العرش الامير عبد الاله ولكنه سيقابل بمفرده بعد اليوم الثاني من شهر مايس ١٩٥٣ ، اي بعد ان يضطلع باعباء ممارسة سلطاته الدستورية .

واذا كان قصر «البلاط» يعج دائماً بالزائرين وطلاب مقابلة الملك او الوصي ، وافدين من جميع انحاء العراق ، من مدنه وباديته ، بأزيائهم المنوعة ، فأن قصر الرحاب ، على عكس هذا ، يقصده غير المقربين من الاهل والمسؤولين ، ومن ضربت لهم المواعيد .

ويشغل الملك في البلاط حجرة تواجه حجرة الوصي ، وهي له بمثابة مكتب يتلقى فيه الدروس . والمفروض انه سيشغل من الان فصاعداً القاعة التي كان الوصي يتخذها مكتباً له . وكل شيء من محتويات الحجرة يُذّكر الملك الشاب بأبيه وجده : التماثيل والصور والرسوم وقطع الاثاث نفسها . والبروتوكول في بلاط العراق مقصور على اللازم الضروري ، بحيث ان الزائر يشعر من أول لحظة بانه في بلد ديمقراطي ، يجلس على عرشه ملك ديمقراطي ايضاً ، ورث البساطة عن أسلافه ، وعن أسرته . وهذه البساطة تتفق في آن واحد مع تقاليد الهاشميين ، ومع طباع العراقيين .

وكان الملك يتلقى الدروس على استاذه عبد الجبار التكرلي . وكان موضوع الدرس «الدستور» . وقال الملك بعد انتهاء الدرس:

– أُريد ان اطلّع على دقائق الدساتير في العالم ، وعلى كيفية تطبيقها ، وتقيد المسؤولين بنصوصها ..

وأجاب الملك على سؤال بخصوص اللغات التي يدرسها ، فقال :

– درستُ اللغتين العربية والانكليزية دراسة جيدة ! ، ولكنني ملُم ايضاً بالفرنسية والتركية . ولديّ رغبة في توسيع معارفي ، بحيث تشتمل جميع النواحي التي قد احتاج الى طرقها .

ولايقتصر وقت الدرس على الفترة التي يقضيها الملك مع اساتذته ، بل انه يواصل مطالعاته ايضاً في اوقات متفرقة من النهار في قصر الرحاب ، حيث يقيم مع خاله الوصي ، صاحب هذه الدار .

فيوم الملك فيصل مفعم بالنشاط . انه يستقيظ من نومه في الثامنة صباحا .

وبعد تناول الافطار ، يرتاح برهة وجيزة ، ثم يقصد البلاط الملكي في الساعة العاشرة ، ومنهاجه هناك ، فترتيبه كالاتي :

مقابلة رئيس الديوان ، والاطلاع على مالديه من معلومات واخبار واوراق ، ثم مقابلة الوزراء ، وكبار الموظفين ، والنواب والاعيان . فللوزراء والموظفين ثلاثة ايام في الاسبوع . وللاعيان والاجانب ثلاثة ايام اخرى . واليوم السابع للراحة . اما رئيس الوزراء فله ان يقابل الملك في كل يوم ، وفي كل وقت .

وللملك فيصل الثاني ولع خاص بالرياضة ، وقد وصف ولعه هذا بقوله :

– في المدرسة بانكلترا . كنتُ شغوفاً بكرة القدم ، والملاكمة ، والتنس ، والبنك بونك «كرة المنضدة» والصيد ..

• وهل كنتم تفوزون على اقرانكم ، أم كانوا هم يفوزون عليكم ؟

– كنتُ أخرج من المباريات ، احياناً غالباً ، واحياناً مغلوباً . واظن انني لن استطيع هنا ان اواصل ممارسة هذه الالعاب كلها ، خصوصاً الملاكمة !

• ولكن امامكم ملاكمات من نوع آخر ، ارجو ان تخرجوا منها دائماً فائزين !

– شكراً .. انني اعرف ان مهنة الملك مهنة صعبة شاقة ، ولكنني سأواجه مشاكلها بروح الايمان بالله ، ورغبة صادقة في خدمة البلاد والشعب .

• قال لي سمو الوصي ، انكم تجيدون الرماية !

– أجل ، ويسرني انني تفوقت في مباريات عديدة ، بحيث اصبحت اعتقد انني من الرماة الماهرين !

• اذن جلالتكم مولعون بالاسلحة ؟ !

– الى حدٍ بعيد . وأنني أجمع منها الكثير المتنوع ، وافحصها فحصاً دقيقاً ، واعرف كل خفاياها . ولي ميل خاص الى كل مايتعلق بالفن الميكانيكي .

• وقيادة السيارات .. ؟ !

– لا .. انني اعرف كل شيءٌ عن السيارات ، ولكنني لا أقودها بنفسي ، بالرغم من انني أُحسنُ قيادتها ..

قال الملك فيصل الثاني ، ونحن في بهو القصر ، وتطلّع الى الآية المنقوشة فوق الباب بمداد مموه بالذهب : «بسم الله الرحمن الرحيم .. قل اللهم مالكَ المُلك ، تؤتي الملكَ من تشاء ، وتنزعُ الملك ممن تشاء ، وتعِزُّ من تشاء ، وتُذلُّ من تشاء ، بيدكَ الخير ، انك على كل شيءٌ قدير» .

وقف الملك الشاب لحظة يتطلع الى هذه الاية الكريمة ، وقال :

– كتب هذه الاية الخطاط صبري ، من ضباط الجيش القدماء ، وقد مات منذ اسابيع رحمه الله .. وانا أُكثرُ من الوقوف أمامها ، معجباً بجمال الكتابة ، ومأخوذاً بروعة المعنى ! .. لقد أختار خالي هذه الاية ، واراد ان تنقش في هذا المكان بالذات ، لتكون اول ما يطالعه النظر عند تخطي عتبة هذا الباب .

وفي البهو تماثيل قديمة ، وكؤوس فضية ، قال الملك عنها :

– ان هذه الكؤوس ربحتها جياد الاسطبل في السباق . وهذه التماثيل نماذج من آثار قديمة ترجع الى العهود الغابرة في العراق . وانا شديد الميل الى دراسة كل ما يتعلق بها . فتاريخ العراق القديم حافل بالمآثر ، ولكنه مجهول في بعض نواحيه ، بخلاف تاريخ الفراعنة في مصر .

• هل تنون العودة الى انكلترا لمواصلة الدرس ؟
– كلا ، فقد أنتهيت من دراستي هناك ، واكتفيت بما حصلت في كلية هارو وسأواصل الدرس في بغداد .
• ماهي المواد التي ترغبون في التعمق في درسها .. ؟
– اللغة العربية اولاً . ثم الحقول الدولية والشؤون الدستورية .
• ماهي مطالعاتكم المفضلة .. ؟
– أنني أحب المطالعة إجمالاً وفي كل موضوع . ولكنني أُكثرُ من القراءة في الموضوعات التاريخية ، لأنني أجد فيها فائدة وتسلية وعظات وعبراً .
• بأية لغة تفضلون المطالعة .. ؟
– بالعربية او الانكليزية على السواء .
• وهل تقرأون الصحف .. ؟
– أقرأ منها مايكفي للاطلاع على انباء العالم والالمام بحوادثه . ولكنني افضل الكتب . وألتهم منها عدداً كبيراً ، وأتابع نتاج المطابع والمكاتب في البلدان العربية وفي اوربا كيلا يفوتني شيٌ مما يجب عليّ معرفته .
• هذا غذاء للاذهان . فهل تفضلون نوعاً خاصاً من غذاء الاجسام .. ؟ !
– كلا ، فكل انواع الطعام عندي سيان . والانسان يأكل ليعيش ، ولايعيش ليأكل . وانني اعجب للذين يضيعون دقيقة من وقتهم في التفكير في هذا ..

كان الملك وهو يفضي بهذا الرأي منهمكاً في معالجة بندقية عاصية ، فسألناه :
• أتميلون الى الجندية .. ؟
وجاء الرد سريعاً وقاطعاً :
– بالطبع .. ! فقد كان جدي رجل حرب ، وكان ابي مثله . وارجو ان اكون جديراً بالاثنين في هذا المضمار .. وقد مارستُ التدريب العسكري في «هارو» مع رفاقي في الدراسة ، وتمرنت تمريناً واسعاً على استخدام الاسلحة المنوعة ، من كبيرة وصغيرة ، نارية وغير نارية ، وسأواصل هذا التدريب في العراق ان شاء الله ، لكي اكون جديراً بالرتبة التي سأحملها في الجيش العراقي الباسل !
وتحدث الملك عن الخيل ، وهو من هواتها ككل عربي أصيل . ولكنه التفت الى الوصي ، وقال :
– اني أحبها ، ولكنني لستُ خبيراً فيها مثل خالي ، وارجوا ان اصبح مثله.
ولما انتقلنا الى الاسطبل الملكي ، جعل الملك فيصل يداعب جواده المفضل ، واسمه «نشيط» وهو يفاخر به ، لأنه ربح أول سباق اشتركت فيه خيوله :
– لقد فرحتُ كثيراً عندما كسب هذا الجواد السباق .. وكنتُ في صغري أركب حصاناً من نوع

«السيسي» القزم . وقد مات قبيل سفري الى انكلترا لدخول الجامعة . وبعد ان عدتُ الى العراق جعلت أتدرب على ركوب الخيل الكاملة النمو . ولم أعد أكتفي بالاقزام منها ..

• وهل تجيدون الفروسية .. ؟

– أجل . وأتجنب السرعة وانا على ظهر الحصان ، كما أتجنبها وانا في السيارة.

• وهل في الاسطبل جواد آخر تخصونه باهتمامكم .. ؟

– هذا .. واسمه «سبلان» وهو هدية من المغفور له الملك عبد الله ، قبل وفاته بقليل ..

• وماذا تفضلون بين الحيوانات الاليفة .. ؟

– الكلاب .. وقد وصلني منها اخيراً هذان الكلبان ، هدية من ملك الافغان.

والكلبان غريبان حقاً ، بشكلهما ، وشراستهما . وكانا لم يألفا بعد الجو الجديد الذي نُقلا اليه ..

وقال الملك فيصل الثاني انه يُعنى ايضاً بكلاب الصيد ، وانه يخرج احياناً بتلك الكلاب ، فيصطاد الطيور ، ولكنه لايصطاد على ظهور الخيل ، ولابواسطة الصقور .

ولما سألناه عن نوع السلاح الذي يفضله للصيد ، اجاب بلا تردد :

– البندقية الانكليزية «بوردي» .

وخيّل الينا ان الملك الشاب يسعى جهده لتكييف حياته وتفكيره ونشاطه وفاقاً للجو الجديد الذي يحيط به . فقد قضى فيصل الثاني بضعة اعوام في انكلترا يتلقى فيها العلم ، بعيداً عن وطنه ، فليس له بين شبان العراق اصدقاء وزملاء ورفاق . وليس اختيارهم الان بالامر السهل الهين ، ولهذا فان هذه الناحية من نواحي حياته تشغله وتشغل المقربين اليه .

وسألنا الملك الشاب اذا كان ينوي زيارة البلدان العربية او الاجنبية . فأجاب :

– أتمنى ذلك .. فالأمور مرهونة باوقاتها ، وانا اعرف مصر ولبنان والاردن وسورية ، واعرف انكلترا وفرنسا وسويسرا وايطاليا ، ودرستُ مدة من الزمن في الاسكندرية ، واحب هذه المدينة كثيراً ..

وهنا اضاف الامير عبد الاله ضاحكاً :

– يريد ان يزاحمني في هذا الشعور . فقد أقمتُ انا ايضاً في الاسكندرية بضعة اعوام ، ويحق لي القول بأنني «اسكندراني» !

• •

كان الملك فيصل الثاني . قبل سفره للدراسة في انكلترا . يقيم في قصر الزهور مع والدته ، حيث يقيم فيه ايضاً والده الملك غازي ، وهو قصر فخم مبني على الطراز الانكليزي ، واكثر مناعة من قصر الرحاب ، الذي بناه الامير عبد الاله لسكناه وعائلته عام ١٩٤٤ .

وعندما توفيت الملكة عالية في قصر الزهور ، والملك فيصل لما يزل في دراسته . وعندما عاد نهائياً الى العراق عام ١٩٥٣ ليتسلم صلاحياته الدستورية بعد بلوغه سن الرشد ، وأنتهاء عهد الوصاية ، قرر ان لايقيم في قصر الزهور - وهوبمفرده - وآثر ان يقيم مع خاله وخالاته وجدته في قصر الرحاب ، فاصبح من ذلك الوقت «القصر الملكي» .

اما قصر الزهور ، فبقي مقراً لكبار الضيوف والوافدين الى بغداد ، ومركزاً للواء الحرس الملكي وقيادته .

في ٢ مايس ١٩٥٣ تولى الملك سلطاته الدستورية ..

فقد نصت المادة (٢٢) من القانون الاساسي العراقي على ان «سن الرشد للملك هو تمام الثامنة عشر عاماً من العمر» . ولما كان الملك فيصل الثاني قد ولد صباح يوم الخميس ٢٩ المحرم سنة ١٣٥٤ الموافق ٢ آيار سنة ١٩٣٥ الميلادية ، اصدر وصيه الامير عبد الاله ارادته الملكية المرقمة ٢٩٥ في ١٤ حزيران ١٩٥٢ بجمع المحكمة العليا للبت في : «هل يعتبر التاريخ الهجري تاريخا رسميا لتثبيت سن الرشد للملك، أم يعتبر التاريخ الميلادي لهذا الغرض؟» .

اجتمعت المحكمة العليا في ٢١ حزيران ١٩٥٢ واصدرت قرارها الآتي :

«أن المقصود بالعام الوارد ذكره في المادة (٢٢) من القانون الاساسي ، هو العام الميلادي» .

وعلى هذا ، فقد عُيّن يوم ٢ مايس ١٩٥٣ عيداً رسمياً لتولي الملك سلطاته الدستورية ، بعد ان مارسها خاله الوصي وولي عهده منذ الرابع من نيسان ١٩٣٩ ، يوم صرع الملك الشاب غازي في ذلك الحادث المُدبّر !

أجتمع مجلس الأمة - الاعيان والنواب - بجلسة مشتركة صباح السبت الثاني من آيار ١٩٥٣ ، حيث تم تحليف الملك نص اليمين الدستورية ، الآتي :

«أقسم بالله بأنني احافظ على احكام القانون الاساسي واستقلال البلاد ، وأخلص للامة والوطن» ..

وبعدها القى الملك الكلمة التالية :

حضرات الاعيان والنواب .. أحييكم وأحيّ الشعب العراقي الكريم بكم ، بحول الله وقدرته سأمارس منذ اليوم واجباتي الدستورية وذلك بمؤازرة المسؤولين في إدارة المملكة ، ومعاضدة شعبي العزيز وممثليه ، ملكاً دستورياً حريصاً على الاسس الديمقراطية ، داعياً الله عز وجل ان يعاضدني ويأخذ بيدي لخدمة شعبي العزيز ، وللترفيه عنه بكل الوسائل الممكنة لديّ. كما أنني سوف احصر كل جهودي لتأمين أسمى غاياته . واني أتضرع اليه تعالى ان يوفقني واياكم لخدمة وطننا العزيز . ولي عظيم الثقة بانكم ستشدون أزري بتوحيد صفوفكم وجهودكم الصادقة لنتعاون جميعاً لتحقيق اهدافنا القومية .

وقبل ان أختم كلمتي هذه ، لابد لي ان اشكر خالي العزيز على ادائه واجب الوصاية على العرش بكل حرص واخلاص ، وعلى عنايته الفائقة في اعدادي لهذا اليوم كأب شفوق ، ولابد

لي ايضاً ان أشيد في هذا اليوم ايضاً بذكرى أمي الحنون رحمها الله . أمي الفاضلة التي حرصت على تربيتي ، واحتضنتني طيلة ايام حياتها القصيرة بكل حنانٍ وتضحية ونكران للذات . وغذتني بالفضيلة وحب الخير للجميع ، وهيأتني لكم ، ولأقوم بخدمة شعبي على احسن مايرام . والله تعالى ولي التوفيق» .

وكان الوصي الامير عبد الاله قد اعلن في الليلة الماضية انتهاء حكم الوصاية واذاع كلمة بهذه المناسبة من دار الاذاعة .

وقد غنى مساء ذلك اليوم في الحفلة الكبرى التي أقيمت بهذه المناسبة ، المطرب العراقي المعروف محمد القبانجي ، أغنية من مقام (الجمّال) ، قال فيها :

والبوم أنشدُ في المليك مدائحي ... في فيصل الملك العظيم الثاني
يوم أغرّ فيه تُوج فيصل ... تاجاً سما فخراً على التيجانِ
والمرتجى للنائبات ليعربٍ ... ابن النبي المصطفى العدناني

وأمر الملك فيصل الثاني بتكريم القبانجي بوسام الرافدين من الدرجة الثانية فما كان من القبانجي الا ان يمسك (الميكرفون) بعد الاعلان عن تكريمه مباشرة وارتجل مغنياً من مقام (الدشت) ابياتاً من الشعر مطلعها :

لأن حليتَ صدري في وسامٍ ... كأن سناءه بدر تمامُ
فلي ياسيدي شرفٌ عظيم ... يُحليه رضاؤوك والوسامُ

وقد افتتح الملك فيصل الثاني عهد ممارسته سلطاته الدستورية بان أمر بصرف مبالغ الهدايا الكثيرة التي قدمت اليه بهذه المناسبة على اعمال البر والاحسان ، كما شمل المساجين . فأصدر ارادة ملكية بتخفيض مدة محكومياتهم ، وتبديل عقوبات الاعدام المبرمة الى السجن المؤبد . كما نال موظفو الدولة الذين يتناولون راتباً يقلّ عن ١٨ ديناراً ، راتب شهر كامل اضافي .

ويحكي العقيد جرالد دي كوري - في كتابه «ثلاثة ملوك في بغداد» عن ايام تسنم الملك فيصل الثاني سلطاته الدستورية ، قائلاً :

«وما ان اعلن العيد الثامن عشر لميلاد فيصل الثاني ، وحلول سن التتويج في اليوم الثاني من شهر آيار ١٩٥٣ ، حتى أعلن عن قيام ذات الاحتفالات لتتويج الملك حسين في عمّان في نفس ذلك اليوم . ويمكن تصور القلق الذي ساد الاوساط الدبلوماسية المعنية . وفي النهاية توجه رجال بارزون من امثال «دوق غلوستر» الى بغداد اولاً ، ومنها الى عمان مباشرة . ولم تحدث ذات الصعوبة بالنسبة الى عدد من الزوار الوافدين من انكلترا . ممن وجهت الدعوة اليهم من لدنّ

البلاط في بغداد . فقد كان هؤلاء كلهم من الرجال الذين خدموا في العراق . ومن المعروفين معرفة جيدة لدى الاسرة الملكية والحكومة . وكان من بينهم اربعة من الشبان الذين كانوا مع فيصل في مدرسة هارو . بالاضافة الى السيد «هاردوود» الممثل الجديد لشرطة سكوتلانديارد . والذي كان على اتصال بالزوار الملكيين العراقيين الى انكلترا ، وكان محبوباً جداً لديهم (!!). والسر «ستيفن غيسون» رئيس مجلس ادارة شركة النفط البريطانية التي هيأت الطائرة لنقل الضيوف، مع عدد من موظفيها .

وصل «دوق غلوستر» ممثلاً عن ملكة انكلترا في اليوم التالي ، وكان ممن رافقه في حاشيته بهذه المناسبة «الفريق رنتن» رئيس البعثة العسكرية البريطانية في العراق . وكان من بين ممثلي الدول الاخرى . الامير سعود بن عبد العزيز السعود ، ولي عهد المملكة العربية السعودية .

تميّز انتهاء عهد الوصاية ، وتولي فيصل سلطاته الدستورية ، بقسم أداه فيصل في البرلمان . وباذاعة الاحتفال الى الشعب ، وباطلاق التحية بمائة طلقة وطلقة .

كان فيصل وعبد الاله يرتديان بدّلات بيضاء ، وقبعتين مفرطحتين ، ويركبان عربة من مبيعات «هور» في شارع «سنت جيمس» بلندن ، ترافقها حاشية من الحرس الخاص . يمتطي افرادها الخيول ، ويرتدون البدلات الحمر الجميلة ، والخوذ البيضاء ، التي كانت تلتمع في شمس الصباح . كان عبيد عبد الله المضايفي ، آمر الحرس الملكي الخاص يمتطي بمباهاة جواده على رأس ثلة الحرس تلك . في حين كانت الحشود تهتف فرحة في الشوارع : «يعيش ملكنا اليتيم» !

كان فيصل اثناء ايام الاحتفالات يقوم بين فترة واخرى بتفقد اصدقائه من مدرسة «هارو» فيسبح معهم ، ويشاركهم في تصويب النار الى الاهداف، ويساهم معهم في انواع الالعاب التي كانوا يستمتعون بها في انكلترا قبل ان يكبروا .

كان من بين اصدقاء فيصل في مدرسة «هارو» ايضاً «بركات بن الامير بيرار» الابن الاكبر لنظام حيدر اباد . والذي كان يمارس معه تلك الالعاب . ومن بينها التزحلق على الماء .

وفي احدى المرات تراهن فيصل مع بركات على قنينة الكوكاكولا . ان هو استطاع ان يقطع بسيارته الف ميل في مدة اربع وعشرين ساعة . ففاز بركات بذلك الرهان . اما فيصل فلم يشاركه رغبته في قيادة السيارة بسرعة !

وهناك اصدقاء اخرون من الشبان العراقيين ، من بينهم اولاد جميل المدفعي وعلي جودت الايوبي ، واحد افراد عائلة الجوريجي ببغداد ، وابن عم ابيه رعد وهو في مثل عمره .

لقد نفذ فيصل الثاني وعده الاول ، فقد حقق في حياته الاعتيادية والخاصة اشياء كثيرة بشكل جيد . كان صياداً ماهراً يحب السباحة ، ولعبة الشطرنج ، وجمع آخر التسجيلات الموسيقية العصرية ، وممارسة الرسم بنجاح . وكان يختار الصور بحصافة ، ويشرع في انتخاب اعداد صغيرة لها قيمتها .

وعلى خلاف والده . كانت له هوايات منتظمة . فقد أعتاد ان يذهب الى النوم في الساعة الحادية عشرة . وان ينفق في القراءة مدة ساعتين . ولاسيما في قراءة الكتب العلمية . وكان يهتم بالتصوير الشمسي . والاشرطة الملونة . وكانت لديه سينما خاصة . وكان من احد الاشرطة احبية لديه . وبالحجم الكامل. هو شريط «الصحراء الحية» للفنان «والت دزني» .

وبعبارة اخرى . كان فتى قديراً بشكل غير اعتيادي. واكثر من هذا انه ما ان بلغ السنة الثالثة والعشرين من عمره . حتى اخذ يتحول الى ملك دستوري. ويحمل في قلبه الاهتمام برفاه شعبه» .

كانت أول ارادة ملكية يوقعها الملك فيصل الثاني . هي قبول استقالة وزارة جميل المدفعي السادسة .

فما كاد يُنتهى من حفلات التتويج . حتى تقدم رئيس الوزراء جميل المدفعي بأستقالته في الخامس من مايس ١٩٥٣ الى الملك حسبما تقتضي به الاعراف الدستورية في الحكومات الديمقراطية . عندما يتسنم ملك جديد سلطاته فقبلها ، ثم عهد اليه مرة اخرى بتشكيل وزارة جديدة . فشكل المدفعي وزارته السابعة في السابع من مايس ١٩٥٣ .

وفي السابع عشر من تموز ١٩٥٣ قصد الملك فيصل الثاني وولي عهده الامير عبد الاله مصيف «سرسنك» في شمالي العراق . للاستجمام . وقضاء فصل الحر الشديد . في تلك الربوع الباردة . وعادا الى بغداد في التاسع من اب ١٩٥٣ .

افتتح الملك فيصل الثاني في الاول من كانون الاول ١٩٥٣ . مجلس الأمة في اجتماعه الاعتيادي الثاني من دورته الاعتيادية الثانية بالقائه خطاب العرش - وهو اول خطاب عرش يلقيه الملك .

فقد كانت وزارة محمد فاضل الجمالي الاولى قد هيأت خطاب العرش الذي يلقيه الملك في هذا الاجتماع ليكون بمثابة «منهاج الوزارة» . وقد القاه الملك ، غير ان صحف المعارضة . شنت هجوماً قاسياً على ذلك الخطاب الذي تضمن منهاج وزارة الجمالي . من غير ان تشير الى المليك الشاب !

وفي ١٢ اذار ١٩٥٤ توجه الملك فيصل الثاني وولي عهده الأمير عبد الاله الى كراجي . بزيارة رسمية ، بناءً على الدعوة التي وجهها اليهما حاكم باكستان العام . وقد صحبه كذلك نوري السعيد وعبد الغني الدلي وزير الزراعة . وكان الغرض من سفر نوري السعيد مع الركب الملكي . حمل الهند وباكستان على الدخول في الحلف العسكري المزمع عقده. وقد عاد الركب الى بغداد في ٢٨ من الشهر نفسه !

وكان الملك فيصل الثاني يحب الأستماع الى المقامات العراقية ، لا سيما تلك التي يغنيها المطرب العراقي المعروف محمد القبانجي . كما كان يهوى الرسم . وقد تلقى وهو في لندن عدة محاضرات في فن التصوير الزيتي على يد الفنان المشهور (أرثريان) . وقد عرضت للملك في عام ١٩٤٩ بعض الألواح في المعرض الفني الذي أقامته في لندن الجمعية البريطانية العراقية . كما عرضت أحدى لوحاته ، وتحمل أسم (أستاذي) في معرض الرسم الدولي في (نيودلهي) في عام ١٩٥٣ .. ويحكي لنا الفنان عطا صبري – الذي كان يشغل رئاسة فرع الزخرفة في معهد الفنون الجميلة ببغداد ، عن هواية الملك فيصل الثاني للرسم ، وعن رسمه اللوحة الزيتية لـ (ابن الشيخ)* وعرضها في لندن ومعارض اخرى فيقول :

«في سنة ١٩٥٤ عندما كنت أقضي شهراً كاملاً في مصيف سرسنك للراحة والرسم . حاملاً أدواتي الزيتية الكاملة مندفعاً بعد الفطور للخروج من الفندق للرسم كما كانت عادتي في كل صباح واذا بي أتقابل بنوري السعيد حيث كان جالساً بمعية الأمير عبد الأله ولي العهد فسألني فخامته عن عدد الصور التي أنجزتها حيث كان يتتبع انجازي للصور الزيتية الجديدة وينتقدها في بعض الأحيان . ثم طلب مني أن أجلب المجموعة كلها لكي يراها الأمير . وبعد مشاهدتها تفضل سموه وطلب مني في اليوم الثاني أي عندما أرجع وأنتهي من أعمالي الفنية في الصباح لكي يأخذني بمعيته للقصر الصيفي الملكي حيث كان الملك فيصل الثاني يقضي صيفه في تلك السنة في مصيف سرسنك وفي قصره الصيفي . وفي اليوم الثاني وفي الوقت المعين تفضل الأمير وشرفني بأخذي لحضرة الملك فيصل الثاني وكان عبد الله بكر بصحبتنا فوصلنا القصر الصيفي وفي صالونه الريفي البسيط في التأثيث والراقي الذوق شرفني الأمير بتقديمي للملك فتفضل بالتفرج على المجموعة كلها حيث كان قسم منها لا تزال الاصباغ فيها غير ناشفة . وبهذه المناسبة كلفني أن أرسم قرية سرسنك من حديقة قصره الصيفي فرسمتها بعد ذلك عند الغروب ونشرت تلك اللوحة الزيتية وبالألوان على الصفحة الاولى من مجلة – ستوديو الانكليزية الفنية منذ عدة سنوات مع مقال عن الفن العراقي المعاصر من قبل الكاتب الانكليزي الن نيم – ثم كلفني الأمير أيضاً برسم لوحة آخرى زيتية تمثل سرسنك ولكن من جهة آخرى أي من شرفة نوري السعيد حيث كان رئيساً للوزارة أيضاً آنذاك فظهر قسم من الفندق في اللوحة مع شجرة كبيرة والجبال العالية في أفق اللوحة وهاتان اللوحتان موجودتان الآن في قصر الرحاب ضمن مجموعتها الخاصة وعندما أنهيت أعمالي الفنية رجعت الى بغداد منغمساً مرة أخرى بواجباتي التدريسية بمعهد الفنون الجميلة وتنظيم المعارض الفنية وغيرها من الأعمال الفنية مرة آخرى . وفي شهر شباط من السنة التالية حسبما أتذكر دق جرس التلفون من البلاط الملكي واذا برئيس المرافقين يخبرني بأن الملك يطلب مني أن أقابله . وكنت في ذلك اليوم منغمساً في أنهاء واجباتي لامتحان نصف السنة ، وبعد أنهاء واجباتي الرسمية ذهبت تواً وقابلت رئيس المرافقين وكان آنذاك الزعيم عبد الوهاب شاكر فتشرفت بالمقابلة الملكية وتفضل وابلغني بأنه أستلم وبصورة مستعجلة طلبا من أحدى الهيئات

الفنية في أنكلترا و يطلبون منه الأشتراك بمعرض فني خاص .

وقال الملك : «ماذا تفكر في أن أرسم ؟» فقلت : أما منظر طبيعي عراقي أو لوحة زيتية تمثل شخصية عراقية وبملابسه القومية أو موضوع عن العراق. وكان الوقت ضيقاً للغاية وأخيراً أقترحت أن يرسم شخصية عراقية بالزي القومي . واخذ في التفكير أولاً في أنتخاب الشخص الملائم للوحة – كموديل – وثانياً نوع الزي . وفي النهاية قرر أن يرسم – أبن أمير ربيعة – وبزيه العربي المتكون من جزية بيضاء وعقال أبيض والذي يرتديه بنو ربيعة في منطقة الكوت مع الزبون والعباءة السوداء . فكنت قلقاً في هذه اللحظة الى ان قابلت الموديل وعند ذاك أستقر رأيي وسرت في رأسي نوع من الطمأنينة والاستقرار لسحنته العربية وتقاطيعه الملائمة للوحة الزيتية التي سوف يباشر في رسمها الملك وبأسرع وقت . وعملت أنا من جانبي بقدر ما يتعلق بي الأمر لاعداد الترتيبات اللازمة في تحضير اللوحة الخاصة بالرسم الزيتي والأصباغ والمواد والعلبة الكاملة مع حمالة سفرية للرسم مربوطة بها . وفي اليوم الثاني في الوقت المعين بعد الظهر وصلت لبيتي ومرسمي في الصليخ سيارة البلاط الملكي وأقلتني الى قصر رحاب . حيث أندفع الملك الشاب بوجه باش ومستعداً بكل لهفة وشوق للرسم في ذلك اليوم.وصل الموديل في الموعد المعين ونظمت قاعة الأستقبال الصغيرة في قصر رحاب كمرسم لضوئها الكافي ولشبابيكها الكبيرة والمطلة على الحديقة الغناء . وطبعاً كان هذا المرسم الخاص المعد لرسم الملك يختلف عن مرسمنا نحن الرسامين من حيث تنظيمه بذوق وارض الصالة مغطاة بالزوالي النفيسة الألوان وعلى الجدران لوحات زيتية ثمينة ولطيفة وعلى الموقد لوحة كبيرة من الزيت للمغفور لها الملكة عالية الوالدة . وعلى الجهة اليسرى من الصالة وأمام الزاوية راديو كرام . ومن أحدث نوع كان قد وصل للملك كما وصل المهندس المختص لتوضيح بعض النقاط الفنية . لأنه يرغب في أن يلم بكل المعلومات التكنيكية مع الأطلاع على جميع التفصيلات .

ثم نظمنا محل الموديل بالنسبة للضوء والألوان وأعدَّ الملك الحمالة الخشبية والمثبتة بها صندوق الألوان الزيتية والأدوات الأخرى وثبتت عليه اللوحة من القماش والخاصة للرسم الزيتي . ثم أنتخب الفرش المطلوبة ووضع الوانه الزيتية على لوحة الألوان – الباليت – مع علبة الدهون ووضع فيها – دهن اليترينتاين ثم بدأ في التخطيط عن الموديل باللون الأزرق وقليل من اللون البني المسمى بـ (بيرنت سينا) . واخذت ملامح الموديل تظهر في التخطيط شيئاً فشيئاً وتتقارب نحو الموديل الخاص ، وكان حجم الصورة يتقارب الى الحجم الطبيعي للأنسان أي الرأس والكتفين فقط . وكان يرسم حوالي الـ ٤٥ دقيقة يعطي الراحة للموديل بمقدار ربع ساعة وكان ينتخب الأسطوانات الموسيقية الخفيفة اللطيفة والتي كانت تصله بأستمرار لكي تعطينا جواً لطيفاً للغاية . ومن خلال تعليقاته على بعض القطع الموسيقية أطلعنا على مدى معلوماته الغزيرة العميقة في الموسيق وتاريخها مع بعض التفصيلات حولها وبعض الحوادث المعينة المربوطة بها والموسيقيين .

وهكذا أخذت الأيام تتعاقب بسرعة وفي كل يوم وفي الوقت المعين يحضر الملك والموديل ، وكان يزورنا أثناء الرسم أو قبله أو بعده الأمير عبد الأله ، والسيد تحسين قدري وغيرهم . وكان الكل فرحين ويبدون أعجابهم بلوحة الملك الفنان ، وفي أثناء تلك الفترة مرت بعض الشخصيات العالمية البارزة في بغداد وبمناسبات سياسية عديدة وكانت تبدي بدورها أعجابها باللوحة الزيتية التي كانت تتقدم يوماً بعد يوم . وبسرعة فأخذت الألون وبسرعة تغطي اللوحة الكبيرة وبهمة ونشاط وأخذت الملامح تظهر يوماً بعد يوم . وكان الملك يضع الوانه بقوة وبساطة وبضربات عريضة تدل على العزم والقوة . وكان تعبير الوجه قوياً مع نوع من البساطة في خلفية الصورة . وكان يضع الوان الوجه بشكل لطيف ومعبر للغاية .

وكنت خلال هذه المدة واقفاً معه لابداء بعض الملاحظات الفنية وبدون أن أضع يدي فيها لأن طريقتي في التدريس معروفة .

وكان من عادة الملك وبعد المغيب وأنتهائه من الرسم ان يتفضل بتشريفنا في دعوتنا معه لصالون الطعام لتناول الشاي فكانت فرصة عظيمة لي للتعرف ، بصورة أقرب وأكثر على مزاياه المتعددة وثقافته العالية والتعرف عليها ملياً وعن كثب ودراستها من جميع الجوانب ، وكان بمنطقه القوي الجذاب يتصدر هذه المباحثات عن جدارة ، ويبدي رأيه الشخصي في كل صغيرة وكبيرة . من عسكرية وفنية وأجتماعية مطعماً هذه الأحاديث بطرائف يذكرها عن الصيد . وكانت المشكلة الوحيدة خلال هذه الفترة من ممارسته الرسم وتوفير الوقت الكافي للرسم حيث كانت دائماً وبصورة مستمرة تصادف حدوث مناسبات مهمة يحضرها ثم يعود مسرعاً لمرسمه لأنهاء لوحته الزيتية . وكان يحضر معنا رئيس المرافقين العسكريين الزعيم عبد الوهاب شاكر ورفاقه المرافقون الآخرون بالتناوب وكانت رغبتهم للرسم تزداد يوماً بعد آخر .

فكانت رغبة الملك في الرسم المستمر والمثابرة على الصورة المذكورة تدل على نبوغه الفني وقابليته وكنت دائماً أتمنى لو أستمر في الرسم ولكن المشكلة لدي كانت دائماً تتعلق بالوقت . الوقت الكافي للانغماس بفن الرسم . وأن رغبته الملحة للرسم ورعايته للحركة الفنية وتشجيعه لها حدت بشموله معارض نادي المنصور السنوية الكبرى برعايته الملكية السامية وكذلك معرض جمعية الفنانين العراقيين للسنة الماضية وكذلك رئاسته الفخرية لجمعية الفنانين العراقيين واتذكر جيدا عندما كنت في الدراسة الفنية في لندن واقمنا معرضنا الفني الأول في لندن عام ١٩٤٩ شرف الملك المعرض المذكور بالحضور وحضرنا بالمثول بين يديه حيث قدمنا اليه الأمير زيد وعقيلته الرسامة الأميرة فخر النساء زيد وعندما طاف جلالته في المعرض أقتنى بعض اللوحات وكنت من المحظوظين حيث أحتفظ من لوحاتي بـ «لوحة خانقين» ولوحة «أشجار» الزيتيتين ، ومن معرضنا في نادي المنصور وللسنة الماضية أقتنى عدة لوحات ومن جملتها لوحتي الزيتية «غروب على نهر دجلة» في الصليخ .

وكان الملك يبدي بعض انطباعاته عن بعض الفنانين المعاصرين والمعارض الفنية وكانت كلماته وأحاديثه تدل على معلوماته وأطلاعه الغزيرين في تاريخ الفن العالمي والعراقي بصورة خاصة .

وفي خلال تلك المدة الوجيزة أي الأسبوعين اللذين أمضيتها بمعيته كان يبدي بعض الملاحظات حول بغداد والحياة فيها وظهر لي منها انه مطلع على نواحي عديدة من حياة بغداد القديمة منها والحالية وبشكل يثير الاعجاب .

وهكذا توالت الأيام بسرعة وقاربت صورة - ابن الشيخ - التي كان يرسمها على الانتهاء . وجاء اليوم الأخير وكان الملك يضع ضرباته الأخيرة في اللوحة واذا برئيس جمهورية تركيا جلال بايار يصل الى بغداد في ذلك اليوم بعينه وقبل الظهر . وكان الملك بملابسه العسكرية والمرافقون ببزاتهم الملونة والبراقة والعسكريون باوسمتهم في قصر رحاب الذي كان يعج بالموجودين من رجال القصر وغيرهم من الوزراء كما حضر كذلك الأمير عبد الأله بملابسه العسكرية الخاصة . والملك الفنان كأن لم يحدث شيء حوله منهمك في صورته وتجمعت السيارات الفخمة في الميدان الفسيح الدائري الشكل أمام القصر والكل ينتظرونه ولكنه لا يزال يرسم ومنهمكاً في عمله الفني . حتى أنتهى منها ووضع أسمه - فيصل - بحروف واضحة وبسيطة وترك الفرشة على اللوحة وترك الصالون الى السيارات ورأساً الى المطار المدني حيث أخذت الطائرات تحوم حول المطار ووصل في الوقت المعين لاستقبال ضيفه الكريم .

وفي اليوم الثاني أرسلت الصورة الى لندن جواً وبأطار مناسب وعرضت في ذلك المعرض الفني الآنف الذكر تحت عنوان - ابن الشيخ - ولقد كتب النقاد والكتاب الكثير عنها مع تقديرها. ولقد نشرت مجلة أهل النفط في حينه اللوحة بالألوان . وعندما أقيم -- المعرض الفني الأول للرسم والنحت في نادي المنصور - تصدرت تلك اللوحة قاعة المعرض الذي أفتتح تحت الرعاية الملكية .

° °

وفي الثاني من أيار ١٩٥٤ اذاع الملك فيصل الثاني خطاباً من دار الأذاعة بمناسبة عيد ميلاده . والذكرى الأولى على تسلمه سلطاته الدستورية . وعبَّر في كلمته عن أمتنانه للدول الشقيقة والصديقة على ما أبدوه من نبيل المؤاساة وكريم الشعور إزاء كارثة الفيضان التي حلت ببغداد في تلك الأيام .

وفي ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٤ طار الملك فيصل الثاني ومعه الأمير عبد الأله . ونائب رئيس الوزراء أحمد مختار بابان . ووزير الخارجية موسى الشابندر . ورئيس التشريفات ورئيس الديوان الملكي - الى عمان . وقد سافر معه سرب من الطائرات الحربية . أظهاراً لقوة العراق . وبعد يومين سافر الركب الى بيروت حيث أجتمع بكميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية . وتناولت المباحثات الأوضاع الدولية عامة . واقدام العراق على الدخول في حلف عسكري تشترك فيه تركيا وأيران وباكستان .

وقد أصطدمت طائرتان حربيتان ، ممن كانتا ترافق طائرة الملك وجماعته في طيرانهما من عمان الى دمشق في ٢٠ من هذا الشهر ، فقتل الملازم الطيار نهاد سعيد والملازم الطيار طارق العزاوي ، فنقلت الجثتان الى بغداد ، وجرى تشييع رسمي لهما حضره الأمير عبد الأله نفسه حيث عاد خصيصاً لهذا الغرض . وقد أعتبر هذا الحدث المفجع ، نذير شؤوم لذلك الحلف !

وفي ٢٨ آذار ١٩٥٥ سافر الملك فيصل الثاني الى عمان في زيارة خاصة أستغرقت ثلاثة أيام ، فناب عنه ولي عهده الأمير عبد الأله ، وذلك لحضور زفاف الملك حسين بن طلال على الأميرة دينا عبد الحميد .

وفي الثالث من شهر تشرين الثاني ١٩٥٥ سافر الملك فيصل الثاني الى السليمانية لحضور المناورات التي أجراها الجيش العراقي بالاعتدة الحية في أطراف السليمانية ، والتي حضرها وفود عسكرية من سورية ولبنان والأردن ومصر والسودان واليمن وباكستان وتركية وأيران . وقد أستمر التدريب أسبوعاً كاملاً .

وأتجهت النية – في هذه الأيام – الى ترويج الملك فيصل الثاني . وكانت لسلطان مراكش ، سيدي محمد بن يوسف ، فتاة بارعة في الجمال والكمال ، كما يقول شيخ المؤرخين الحسني – تسمى الأميرة عائشة . فأنتهز الأمير عبد الأله فرصة عودة السلطان المشار اليه من منفاه ، فسافر الى باريس في الخامس عشر من شهر تشرين الثاني ١٩٥٥ لتهنئة السلطان بعودته في الظاهر ، وليخطب الأميرة عائشة للملك فيصل . فأخفق في مسعاه ! !

وكان الملك فيصل الثاني قد أمضى معظم أيام صيف عام ١٩٥٥ خارج العراق ، فقد غادر بغداد في الثاني والعشرين من شهر حزيران ١٩٥٥ قاصداً بيروت بطريق الجو ، تصحبه خالاته وعماته الأميرات . وكان خاله وولي عهده الأمير عبد الأله قد سبقه اليها في التاسع عشر من هذا الشهر . ومن بيروت أستقل الجميع اليخت الملكي «عالية» الى تركيا في زيارة رسمية تستغرق خمسة أيام ، يرد الملك بها الزيارة الى رئيس الجمهورية التركية جلال بايار ، الذي كان قد زار بغداد من قبل وقد بلغ اليخت مياه البوسفور في ٢٦ حزيران . وبعد أن مكث في المياه المذكورة نحو الشهر ، توجه الى فرنسا في ٢٠ آب . وفي ١٢ أيلول بلغ لندن . وفي ١٤ تشرين الأول عاد الى بغداد . وكان الأمير زيد سفير العراق في لندن قد أستدعي الى بغداد ليتولى نيابة الملك ، فلما عاد الملك الى عاصمة ملكه ، رجع الأمير الى لندن !

وفي الثامن من مايس أفتتح الملك فيصل الثاني محطة تلفزيون بغداد[1] . وكانت أول محطة تلفزيون تقام في الشرق الأوسط .

---

١) كانت هذه المحطة قد عرضت في المعرض الصناعي البريطاني الذي أقيم في بغداد في خريف ١٩٥٤ فأبتاعتها وزارة نوري

وفي الخامس عشر من مايس ١٩٥٦ سافر الملك وولي عهده الى أسبانيا في زيارة رسمية تستغرق خمسة أيام . وقد أستقبل الملك في مدريد أستقبالاً رسمياً . ثم زار غرناطة . وأشبيلية . ومدنا عربية قديمة آخرى .

وتلقى الملك . وهو في مدريد ، دعوة من ملك مراكش لزيارة الرباط . فقبل الدعوة . وقصد العاصمة المغربية في السابع والعشرين من أيار (مايس) . ثم توجه بعد ذلك الى باريس وروما . وعاد الى بغداد في ٣١ من الشهر نفسه .

وفي الثاني عشر من تموز ١٩٥٦ توجه الملك الى عمان ، فلبث فيها ثلاثة أيام ثم تابع السفر الى العاصمة البريطانية في زيارة تستغرق بضعة أيام . فبلغها في السادس عشر من هذا الشهر .

وكان الملك فيصل يتناول العشاء ضيفاً على المستر أنطوني أيدن رئيس وزراء بريطانيا – عندما أعلن الرئيس جمال عبد الناصر ، في تلك اللحظات التاريخية – تأميم قناة السويس ..

قال إيدن في مذكراته : «في مساء السادس والعشرين من تموز كان الملك فيصل وغيره من زعماء العراق يتناولون العشاء معي في داوننك ستريت . وكنا على المائدة عندما جاءني أحد أمناء سري الخصوصيين يحمل النبأ القائل بأن عبد الناصر قد أستولى على قناة السويس ، وأغتصب جميع ممتلكات الشركة التي تديرها وفقاً لاتفاقية دولية . فقد أعلن في خطاب القاه في الأسكندرية أن مصر نفسها ستجد الأموال التي تبني بها سد أسوان . فالوسيلة متوفرة وفي متناول يده ، وفي أمكانه أن يستولي على القناة وسحب من دخلها راس المال الذي يحتاج اليه . وأبلغت ضيوفي النبأ . ورأوا بوضوح أن هناك حدثاً قد غيّر كل المرئيات . وادركوا لتوهم أن كل شيء يتوقف على العزيمة التي سنقابل بها هذا التحدي» ! !

وقال الكاتب الفرنسي «نبوا ميشان» في كتابه «ربيع العرب» : «يوم أمم عبد الناصر شركة قناة السويس . كان نوري السعيد في لندن – وكان يتناول طعام العشاء مع الملك فيصل الثاني على مائدة إيدن . فما كاد يطّلع على أخبار التأميم حتى صاح مخاطباً مضيفه :
– أضربه الآن يا أنطوني إيدن . واضربه بقوة . وأنا أضمن لك أن العراق لن يتحرك» !

أما الملك فيصل الثاني . فلم يتفوه في تلك اللحظات بأي كلمة . بل ظل صامتاً ومصغياً الى أقوال نوري السعيد . ونبراته المنفعلة المهتاجة !

وكانت الملكة اليزابيث – ملكة بريطانيا – قد أقامت وليمة في قصر بكنغهام تكريماً للملك فيصل الثاني . وقالت في كلمتها الترحيبية «أن العراق قد تلقى قبل سنة خلت ، قوة جديدة عندما أرتبط مع الأمم الصديقة في تحالف أوسع عن طريق حلف بغداد» ! !

وقام الملك فيصل الثاني - في تلك الرحلة - بزيارة ال «ستي» - الحي المالي الرئيس في لندن ، وتناول طعام الغذاء مع «اللورد مابر» - أمين العاصمة - في «غلد هول» . كما أقيمت له حفل أستقبال في المساء من لدن الحكومة في «لانكستر هاوس» . ثم قام الملك فيصل بزيارة القاعدة الجوية في «أودهام» وكلية «هارو» - التي دَرس فيها . كما أقام حفل عشاء في السفارة العراقية بلندن للملكة اليزابيث . وحضر عشاء في الجمعية العراقية الأنكليزية . في أحدى الأيام التي أعقبت الزيارة الرسمية .

وقد وصفت هذه الزيارة : «خاتمة لعهد الحداثة الطويلة التي قطعتها الدولة العراقية . ولفيصل نفسه» ! !

وفي العشرين من أيلول ١٩٥٦ سافر الملك فيصل الثاني الى «الدمام» في السعودية حيث أجتمع هناك بالعاهل السعودي سعود بن عبد العزيز ، وجرت بينهما محادثات عامة تتعلق بأملاك الهاشميين في الحجاز ، ومستقبل العلاقات بين المملكتين العراقية والسعودية !

وعاد الملك فيصل الثاني الى بغداد في ٢٢ من الشهر نفسه ، فأبرق الى العاهل السعودي شاكراً له حسن الأستقبال وكريم الضيافة !

وعندما جلت القوات البريطانية والفرنسية عن الأراضي المصرية ، بعد الاعتداء الثلاثي الغاشم على مصر العربية ، قابل الشعب العربي انسحاب هذه الجيوش المعتدية عن «بور سعيد» بفرح وأبتهاج بالغين ، أبرق الملك فيصل الثاني الى الرئيس جمال عبد الناصر ، البرقية التالية :

«حضرة صاحب السيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، رئيس الجمهورية المصرية - القاهرة :

تلقيتُ بسرور بالغ نبأ أنسحاب القوات المعتدية من بور سعيد ، وأني أنتهز هذه المناسبة لأعرب لسيادتكم ، وللشعب المصري الكريم ، عن أصدق مشاعر الاغتباط والاعجاب ، راجياً أن يتحقق في وقت قريب بفضل تضافر جهود العرب ووحدة كلمتهم جلاء قوات الغدر الأسرائيلية عن صحراء سيناء وقطاع غزة ، لتعود هذه الأراضي العربية الى أحضان وطننا العربي» .

وقد تلق الملك فيصل الثاني من الرئيس جمال عبد الناصر الجواب التالي :

حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني ، ملك العراق - بغداد .

أشكر جلالتكم أجمل الشكر على برقيتكم الرقيقة التي حملت إليَّ كريم تهنئتكم وصادق مشاعركم ، بمناسبة خروج الأعداء من بور سعيد . وأن كفاح مصر المجيد في معركة الحرية والكرامة قد أنقذ الأمة العربية من المستعمرين ومآربهم . وان أنسحاب قوى الشر والعدوان من ارض بورسعيد ، المدينة الخالدة ، رمز البطولة والفداء ، قد أعز جانب العروبة ، وضمان للشعوب العربية كيانها . وان لمن أحب أمانيَّ ان تتوحد كلمة العرب ، وتتساند

قواهم لعلاء مكانة القومية العربية ، وتدعيم سيادتها ، وأني لأتمنى لكم قلبياً الصحة والسعادة والهناء ، وللشعب العراقي الشقيق ، المجد والسؤدد والأزدهار ، والله أسأل أن يلهمنا سبل الرشاد ، ويتم علينا نعمة الوئام والتضامن ، ويأخذ بيدنا جميعاً لما فيه خير الأمة العربية ووحدتها» .

وفي يوم ٣١ آذار ١٩٥٧ أفتتح الملك فيصل الثاني في مدينة بغداد ، أول مركز للطاقة الذرية يؤسس في الشرق الأوسط . وفي هذا المركز يدرس علماء العراق وأيران وباكستان وتركيا وسائل أستخدام القوة الذرية في الطب والزراعة والصناعة ، تحت أشراف خبراء من الأقطار الأربعة ومن بريطانيا . ويشرف على المركز هذا ، المجلس العلمي التابع لحلف بغداد .

وفي الرابع من تموز ١٩٥٧ سافر الملك فيصل الثاني ومعه ولي عهده الأمير عبد الأله الى أسطنبول ، لتمضية فصل الصيف على ضفاف البسفور ، فناب عنه الأمير زيد سفير العراق في لندن ، وعاد الى بغداد في الرابع عشر من أيلول ١٩٥٧ .

وفي ١٨ تشرين الأول توجه الملك يصحبه ولي عهده الى طهران بناء على دعوة وجهها اليهما شاه أيران . وشهد مع الشاه عرضاً عسكريا في مدينة كرمنشاه . كما ذهب واياه الى بحر قزوين . وتبادل الطرفان خطب المجاملة المعتادة ، واقيمت لها المآدب التكريمية . وعاد الى بغداد في ٢٨ من الشهر نفسه .

وفي يوم السادس عشر من أيلول ١٩٥٧ أعلن بيان رسمي ، أذيع من محطة الأذاعة وتلفزيون بغداد ، خبر خطبة الملك فيصل الثاني ، وقد جاء فيه :

«بناء على رغبة حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم بالزواج من الأميرة الفاضلة بنت الأمير محمد علي بن محمد وحيد الدين بن أبراهيم أحمد بن أحمد رفعت بن أبراهيم بن محمد علي الكبير ، ووالدتها الأمير خان زاده بنت الأمير عمر فاروق بن الخليفة عبد المجيد . فقد أمر بأن يجتمع المجلس الخاص للأطلاع على هذه الرغبة السامية ، وعليه أجتمع المجلس برئاسة جلالته ، وعضوية كل من أصحاب الفخامة والمعالي رئيس الوزراء ، ونائب رئيس مجلس الأعيان ، ونائب رئيس مجلس النواب ، ووزير العدلية ، ووزير الداخلية ، وأعلن عن ترحيبه بهذه الرغبة الملكية السامية ، مبتهلاً الى الله تعالى أن يجعل هذا الزواج الملكي المبارك مقروناً باليمن والاقبال» .

وقد قرر مجلس الوزراء أعتبار يوم ١٦ أيلول عطلة رسمية . ونظمت أذاعة بغداد منهاجاً خاصاً ، أذيعت فيه أغاني البهجة والسرور تيمناً بهذه المناسبة .

ويقول شيخ المؤرخين الحسني في كتابه «تاريخ الوزارات العراقية» : «ان هذا اليوم - أي يوم ١٦ أيلول ١٩٥٧ - يصادف ١٩ صفر سنة ١٣٧٧ الهجرية . وفيه ذكرى عودة رأس الأمام

الحسين بن علي عليهما السلام من دمشق الى العراق . وهو من أيام الحزن عند مسلمي العراق خاصة . وقد أعرب رئيس الوزراء عن رغبته في أرجاء اعلان الخطوبة الى عشرة أيام . حيث يحل شهر الربيع . وهو شهر الأفراح والأزهار . فتعلن الخطوبة بفرح وأبتهاج . فأبى الأمير عبد الأله أن يقر هذه الرغبة . فكانت ثورة الرابع عشر من تموز خير جواب على هذا التحدي لشعور مسلمي العراق» !

وصلت الأميرة فاضلة ، خطيبة الملك فيصل الثاني الى العراق في شباط ١٩٥٨ بصحبة والديها الأمير محمد علي أبراهيم . والأميرة خانزاد حفيدة السلطان وحيد الدين .

وقد أستقبلت من الهيئات الرسمية وغير الرسمية بحفاوة وترحاب . وكان الجميع يريد التعرف على ملكته الجديدة .

والاميرة فاضلة، عندما قدمت الى بغداد كانت في السادسة عشرة من عمرها، وبذلك كما قيل في حينه ، أنها ستصبح أصغر ملكة في العالم .

والأميرة الشابة ، طويلة القامة ، تبدو أكبر من سنها الحقيقي ، رقيقة تجيد العربية والتركية والانكليزية والفرنسية . كما تجيد العزف على البيانو ، بدأت هوايتها الموسيقية ، وهي طفلة في السابعة من عمرها ، وأكملتها في باريس .

وأقيمت على شرفها في بهو أمانة العاصمة حفلة ، تعرفت خلالها على سيدات المجتمع العراقي . وهناك القت كلمة ، قالت فيها : «أنها ستنتهج نهج الملكة عالية في أحتضان المشاريع . لا سيا مشاريع الأمومة والطفولة ، وستبذل وسعها لمؤازرتها ما أستطاعت الى ذلك سبيلا ..»

وأقام الأتحاد النسائي العراقي حفلة تكريم للأميرة فاضلة ووالدتها الأميرة خانزاد . في نادي الأتحاد ، دعا اليها وفود من كافة الجمعيات ليحيين «ملكتهن» القادمة . وكانت رئيسة الأتحاد أسيا توفيق وهبي ، تقدم سيدات المجتمع اليها . وأبدت الأميرة أهتماماً كبيراً في نشاط المرأة العراقية وخدماتها في الحقلين الاجتماعي والانساني . وقد ضمت الحفلة هذه مندوبات عن «البيت العربي» و «اخوات الرفق بالفقير» و «الجمعية المسيحية للشابات» و «بيوت الأمة» و «حماية الأطفال» وسواهما .

ويحكي ناجي شوكت - احد رؤساء الوزارات - في مذكراته عن قران الملك فيصل الثاني ، فيقول : «عند وصولي اسطنبول ، قادماً من اوربا - في اوائل ايلول نزلت في اوتيل هيلتون . وكان حكمة سليمان قد سبقني اليها ، ونزل في هذا الاوتيل نفسه . ولقد لفت نظري وجود عدد من الوزراء والذوات العراقيين في هذا الاوتيل ايضاً :

نوري سعيد وداود الحيدري ، ثم علمتُ ان الغاية من مجيء هؤلاء ، حضور خطبة الاميرة فاضلة ، التي تنتمي الى العائلة المصرية الملكية من ناحية الاب ، والى أسرة آل عثمان من ناحية الأم . ومالبث ان حضر الى اسطنبول رئيس الوزارة العراقية علي جودت الايوبي ايضاً للغرض نفسه

وكان نجيب الراوي سفيراً للعراق في تركيا، فأعدّ مأدبة عشاء في اوتيل هيلتون تكريماً للملك فيصل وخطيبته .. وتلقيت دعوة لحضور هذه المأدبة ..

كانت الاميرة الفاضلة آية الجمال ، وكانت أمها أجمل منها ، على الرغم من انها كانت في حوالي الاربعين من عمرها . وكان منظر الملك مع خطيبته يلفت النظر ، ففيصل قصير القامة جداً ، بينا كانت خطيبته مربوعة القامة واطول منه إذ كان رأسه يعلو كتفها قليلاً . فقلتُ في نفسي : مسكين يافيصل ، كم أنت سيئ الحظ . لقد سيطر خالك عليك في شؤون الملك كافة ، فجاءت عروسك أطول منك قامة .. ! !

ومن المؤسف ان يكون حظه بعد قرانه ، أسوء منه قبل القران ، اذ لم تمض عليه الا أشهر معدودات حتى قامت ثورة ١٤ تموز ، لتقضي عليه وعلى خاله الى أبد الابدين» !

وفي ١٧ تشرين الثاني ١٩٥٧ أفتتح الملك فيصل الثاني المؤتمر الثقافي العربي ، ومؤتمرالاثار العربي ، وقد حضرهما ممثلون عن مصر والسودان وسورية ولبنان والاردن والسعودية وتونس والكويت .

وفي الثاني من كانون الاول ١٩٥٧ سافر الملك فيصل الثاني يصحبه ولي عهده الامير عبد الاله ورئيس وزرائه علي جودت الايوبي الى السعودية بناء على دعوة وجهها اليهم الملك سعود عاهل المملكة العربية السعودية . «وقد بحث الطرفان ورجال حكومتيهما السياسة العربية العامة ، والاحداث التي مرت بها منذ اجتماعهما الاخير في شهر شوال سنة ١٣٧٦ الموافق ايار ١٩٥٧ في بغداد . وقد اغتبط جلالتاهما إذ تحققا من استعراض موقف حكومتيهما في تلك الفترة من الزمن ، من انها كانت تتمشى طبقاً للمبادئ التي اعلناها في بيانهما التاريخي الصادر في عقب تلك الزيارة» !

وفي اثناء وجود الوفد العراقي في الرياض ، جرى تبادل وثائق ابرام الاتفاق الاقتصادي بين الحكومتين : العراقية والسعودية الموقّع عليه في بغداد في ١٥ مايس ١٩٥٧ ، في اليوم الخامس من كانون الاول ١٩٥٧ في قصر «البديعة» بالرياض

وفي الحادي عشر من شباط ١٩٥٨ سافر الملك فيصل الثاني الى عمّان ، تلبية لدعوة الملك حسين بن طلال . وقد عقدت بين الجانبين العراقي والاردني عدة اجتماعات ، توصل الطرفان فيها الى عقد اتفاق ، وانشاء (الاتحاد العربي بين العراق والاردن) اعتباراً من شباط ١٩٥٨ ، على ان يبقى الاتحاد مفتوحاً للدول العربية الاخرى التي ترغب في الانضمام اليه ، وتحتفظ كل من الدولتين بشخصيتهما الدولية المستقلة وبسيادتها على ارضها ، وان تبقى المعاهدات والمواثيق والاتفاقات الدولية التي أرتبطت بها كل من الدولتين قبل قيام الاتحاد بينهما مرعية بالنسبة الى الدولة التي عقدتها ، وغير ملزمة للدولة الاخرى .

وعند قيام الاتحاد العربي ، أسرع الرئيس جمال عبد الناصر فأرسل برقية الى الملك فيصل الثاني مهنأ بالاتحاد . وجاء الرد متأخراً على هذه البرقية ، وخالياً من الاشارة الى وحدة الشعب العربي في مصر وسوريا . وقرر بالاتفاق مع الاردن تأجيل اعترافه القانوني بالجمهورية العربية المتحدة ، الى مابعد تأليف وزارة الاتحاد خلال ثلاثة أشهر .

ولم تكتف الحكومة العراقية بذلك ، وأنما طلبت من دول حلف بغداد بان لاتعترف بدولة الوحدة . غير ان دول الحلف ، لم تلتفت الى طلب العراق .

يحكي الملك حسين بن طلال - عاهل الاردن - في كتابه «مهنتي كملك» عن «الاتحاد العربي» الذي تم بين العراق والاردن ، قائلاً :

«ما أكثر الآمال التي كانت تغمر قلبينا، الملك فيصل الثاني وأنا، في صباح هذا اليوم الرابع من شباط (فبراير) عندما كان علمنا الجديد ، الاسود والابيض والاخضر ، يرتفع صاعدا نحو السماء ! .. لقد عملتُ بلا انقطاع من اجل وحدة بلدينا .

ولو كان الامر لايتعلق الا بي وحدي ، لكان الاتحاد قد وُلد منذ مدة طويلة .

عندما عانقت فيصل تبادرت الى ذهني أولى كلمات خطابي الذي اذعته بالراديو وهي : «هذا هو أسعد أيام حياتي ، إنه يوم عظيم في التاريخ العربي . لقد أتخذنا في ظل علم واحد ، في ظل راية العروبة التي حملها دائماً جدنا الأكبر الوقور الحسين بن علي الكبير ، خلال الثورة العربية الكبرى» .

وقد قبلتُ بسرور تعيين فيصل على رأس الاتحاد ، وان تصبح بغداد وعمان عاصمة على التوالي ، كل منها لمدة ستة أشهر . كان الاتحاد مفتوحاً لكل : بلد عربي يرغب الانضمام اليه . كان لابُدَّ من توحيد السياسة الخارجية والمالية والتربية والتعليم والتمثيل الدبلوماسي لبلدنا في الاشهر المقبلة ، على ان تحافظ مع ذلك كل دولة على وجودها المستقل ، وسيادتها الاقليمية ، والنظام القائم فيها ..

كل شيء لم يتم بالطبع بلا مشقة ، فقد برزت صعوبات لامفر منها عندما أتخذنا تحت علم واحد . بعض هذه الصعوبات نجمت عن المشاكل التي كانت تواجه فيصلاً .

كان ابن عمي ورفيق دراستي في «هارو» مقرباً الى نفسي ، فتبنيتُ الأمنية التي اعرب عنها عبد الناصر في عام ١٩٥٥ ، اذ قال : «انني أتمنى له الكثير من النجاح ، وأعلق عليه امالاً كبارا» . ولكن فيصلاً كان يعيش مأساة ، فلم يستطع ان يحقق أية من رغباته ومشروعاته ، ولم تعط له الفرصة إطلاقاً ليمارس شخصياً مسؤولياته .

وعندما أفكر في اليوم الذي وقعتُ فيه معاهدة الاتحاد ، يعود الى ذهني الكثير من الذكريات التي أعتقد بضرورة الكشف عنها . لالشيء الا للدفاع عن ذكرى صديق وأخي في الدم ، فيصل . ان الحوادث التي سأرويها قد سبقت اغتيال ابن عمي ، اذ لم يحمل الحكام

العراقيون على محمل الجد تحذيراتي المتكررة ، كما ان فيصلاً كان عاجزاً او غير قادر على ان يفصل في أمر أو أن يقوم بعمل !

عندما كنتُ في «هارو» كنتُ احب ان أتمتع بحريتي . وكانت تقلقني رؤية فيصل مخنوق الارادة لايتمكن من التصرف منفرداً ، فكأنه كان واقعاً في شرك نصب له . وليس في نيتي ان أنحى باللائمة على الجيل القديم من الساسة الذين تولوا تربيته ، ولكنني لا أستطيع تجنب ذكر بعض عدم التوازن في علاقاته مع خاله ولي العهد ، الذي اغتيل الى جانبه .. »

ثم يستطرد الملك حسين في حكايته عن الملك فيصل الثاني ، قائلاً : «عُين ولي العهد ، الامير عبد الاله وصياً بعد وفاة والد فيصل ، الملك الشعبي غازي الذي توفاه الله على أثر حادث سيارة . كان فيصل مازال بعد طفلاً ، فسيطر ولي العهد على المسرح السياسي العراقي طوال سنوات ، ريثما يبلغ ابن عمي سن الرشد ويتمكن من ممارسة سلطاته الدستورية . كانت البلاد بأسرها تبتهل الى الله لكي يصبح ملكاً في احد الايام . ولكن حتى في هذا اليوم لم يطرأ على الأمر أي تغيير يذكر !

كان ولي العهد قد عمل الشيء الكثير للعراق . ولكن تأثيره على فيصل كان من العمق بحيث بقي الرئيس الفعلي . وعلى الرغم من انه لم يكن يملك الكثير من الشعبية ، الا انه كان يتمتع بسلطة واسعة ، احتفظ بها حتى آخر يوم من حياته . ولعل مما يؤسفني جد الأسف ، أنني شخصياً لم أكن مع ولي العهد ، على صلة ودية ولئن كانت تقاليدنا شديدة الدقة فيما يتعلق بالاحترام الواجب الاعراب عنه لكبار السن ، الا انه كان يصعب عليّ احياناً ان أتقيد بها . وتعود برودة العلاقات بيننا الى حادث وقع في «ساند هيرست» .

عندما كنتُ تلميذ ضابط ، كان الملك فيصل يشغل داراً في مدينة «ستين» يستخدمها في رحلاته الى بريطانيا العظمى . جاء في احد الايام لزيارتي في «سانت هيرست» بصحبة ولي العهد ، وأتذكر ان ذلك ، كان يوم سبت ، لانني كنتُ في اجازة . وكنتُ قد اعتزمت الذهاب الى لندن . ولكن في لحظة المغادرة سألني :

– لماذا لاتأتي معنا الى «ستين» لتناول الشاي .. ؟ . أنك تستطيع ان تذهب بعدئذٍ الى لندن اذا شئت ..

قبلتُ الدعوة ، وانطلقنا معاً . كان ولي العهد يقود السيارة بنفسه ، وكان المرافق العسكري ، الذي كان قائداً للحرس الملكي العراقي اثناء الانقلاب ، يحتل المقعد الأمامي الاخر . وكنتُ انا وفيصل نجلس على المقعد الخلفي . وكانت سيارتي تتبعنا .

نشب شجار في الطريق بين فيصل وخاله . لم أستحسن اطلاقاً ان يحدث مثل هذا الخصام امام المرافق العسكري وبحضوري ، ولكنني جاهدت نفسي لكي أكظم غيظاً كان يتعاظم ، توقف النزاع لحسن الحظ .

كنا على مقربة من «ستين» عندما سأل فيصل ولي عهده :
- ألا نستطيع ان نسلك طريقاً منحرفاً ياخالي . يوجد فيلم تصور مناظره غير بعيد من هنا . وستكون رؤية الكيفية التي يجري فيها العمل هنالك ، مدعاة للبهجة والسرور .. !

لم يتنازل ولي العهد حتى بالاجابة . أصبتُ بالذهول ، لان فيصلاً كان ملكاً على العراق على كل حال . أستشاط عبد الاله غضباً من جديد بدون سبب مبرر . وجعل يشتم الملك ، ويُوبّخه ، ويُعنّفه ، كما لو كان صبياً غير مهذب !

فقدتُ عندئذٍ رباطة جأشي ، وزايلني هدوء اعصابي ، وأنفجرتُ قائلاً :
- خففوا السرعة اذا سمحتم .. انني آسف لحضوري هذا الشجار العائلي .

ولكنني لاأستطيع ان احتمل اكثر مما فعلتُ . وانني أقل استعداداً ايضاً لمعاودة سماعكم .. توقفوا من فضلكم .. » !

تسمّرت السيارة في مكانها . وخرجتُ دون ان أتفوه بكلمة . واغلقت الباب بشدة ، وانتهت حفلة الشاي الى هذا الحد . انتظرت سيارتي وذهبت الى لندن .

لقد ثقُل عليَّ تراكم هذه المنغصات التي كان يكابدها ابن عمي ، فيصل ، الذي أحببته كأخي !

وأردف الملك حسين بن طلال - عاهل الاردن ، قائلاً : «انني لعلى اعتقاد بان عبد الاله لم يغفر لي أبداً ماحدث . فخلال الفترة التي ازداد فيها مرض والدي سوءاً ، وكان مستقبل الملكية مزعزعاً في الاردن ، كان الامير عبد الاله موجوداً في عمّان ، فأسرَّ الى رئيس الوزراء قائلاً :
- مهما حدث لاتدعوا الحسين يعتلي العرش .. على الاقل ليس في وقت مبكر ..

فسأله رئيس الوزراء : لماذا .. ؟ !

فاجاب الامير : انه ليس اهلاً للمسؤولية ، ويجهل كل شئ عن جلال المُلك ووقاره ..

واضاف الى ذلك شكاوى اخرى ، ولكن رئيس الوزراء لم يُعر ذلك أقل أهمية .

وانني لأذكر ايضاً حادثاً آخر اخرجني عن طوري :

كنتُ في رحلة الى بغداد . وكان فيصل معي في زيارة لقصره وملحقاته .

كنا نتقدم الموكب . وكان فيصل يقود سيارة رياضية الطراز صغيرة قديمة العهد ، على ماأعتقد ، بينما كان ولي العهد والشخصيات الاخرى يقتفون أثرنا في سيارات «رولس رويس» فخمة من احدث طراز .

سألته : لماذا لاتتملك سيارة اكثر لياقة .. ؟ !

فرفع فيصل كتفه ، ولم يحر جواباً . بلغت مني الحيرة والاضطراب حداً جعلني عند عودتي الى مقر اقامتي ، ان اتصل هاتفياً بموريس رينور في عمان قائلاً : «ارجوك ان تأتي بسيارتي الجديدة من طراز «اوستن مارتن» . فقد اهديتها الى الملك فيصل» .

هذا الحادث ، وحوادث اخرى تلتها لم يكن في مقدورها بالطبع ان تدعم علاقاتي بولي العهد . لقد رويتها لأشرح سبب وجود هذا التباعد بين فيصل وشعبه . كان لايستطيع التصرف الا بأذن . وهذا الاذن لم يمنح له دوماً .. ! !

° °

وفي اذار ١٩٥٨ عندما مرّ وزير الخارجية البريطاني سلوين لويد ببغداد ، اجتمع به الملك فيصل الثاني وولي عهده الامير عبد الاله ورئيس الوزراء نوري سعيد ، ووزير الخارجية توفيق السويدي ، بالاضافة إلى الدكتور محمد فاضل الجمالي ، وأثيرت في هذا الاجتماع «الوحدة مع الكويت» فاقترح الجمالي ضرورة اعلان استقلال الكويت ، وان يرفع اميرها الى رتبة «ملك» . فرد عليه سلوين لويد : ان المسألة تحتاج الى قرار على مستوى مجلس الوزراء .

ومن جهة ثانية ، أوضح رئيس الوزراء نوري السعيد للسفير الامريكي ببغداد ، أن اسباب رغبته باشراك الكويت في الاتحاد هي الاعتبارات المالية لمساعدة الاردن ، ومقاومة (الدعايات الهدامة) ، وتوسيع الاتحاد بدخول عضو غير هاشمي مما يجعله اكثر تقبلاً من الدول العربية ، والاستفادة من ميناء الكويت لتصدير النفط ، واستفادة الكويت في الحصول على احتياجاتها من مياه العراق .

وفي الرابع والعشرين من مايس ١٩٥٨ سافر الملك فيصل الثاني ، بوصفه رئيساً للاتحاد العربي ، الى عمّان ، ومعه ولي عهده الامير عبد الاله ، لافتتاح مجلس الاتحاد العربي في اليوم السابع والعشرين من الشهر نفسه .

وتلقى الملك فيصل الثاني برقية من الملكة اليزابيث – ملكة بريطانيا ، تعلن فيها اعتراف الحكومة البريطانية بالاتحاد العربي ، فتلا ذلك اعتراف سائر الدول به !

اذا كان فيصل الاول أكبر من العرش الذي جلس عليه في بلاط الرافدين .. – كما يقول ناصر الدين النشاشيبي – فأن حفيده فيصل الثاني كان أصغر من ذلك العرش .. او كان العرش أقوى وأكبر منه .

ولاشك انه – على قصر المدة التي ظهر فيها للناس – كان طيب القلب ، محبوب الجانب ، يجذب من حوله بصمته ، اكثر مما يجذبهم بكلامه ، ويكسب الناس بوجهه الحزين ، اكثر من ان يكسبهم بضحكه او عبثه .. فهو إذا جادل-او ناقش ، كان جداله صريحاً وواضحاً ، ولكن وجهة نظره في هذا الجدال تبدو ساذجة ، فجّة ، عذراء ، تعكس صورة من نفسية صاحبها !

وكنتُ دائماً احاول ان أتبين سر حبه لخاله الامير عبد الاله ، فلا تخرج نتيجة محاولتي عن دائرة هندسية مثلثة الجوانب :

اولاً : كان فيصل يؤمن بعمق وصدق أنه مدين بعرشه – او بصورة أدق – بالمحافظة على

عرشه . الى خاله الامير عبد الاله !

ثانياً : كان فيصل الثاني يؤمن بعمق وصدق ان خاله قادر على كل شيء – او بصورة أدق – قادر على ان يتفهم مشاكل الحياة . ويجد لها حلها الملائم !

ثالثاً : كان فيصل الثاني من اصحاب الهوايات المتعددة . فهو يهوى قيادة السيارات .. ويهوى السينما .. ويهوى ضرب النار .. ويهوى الانزلاق على الماء .. ويهوى جمع الطوابع البريدية . فكان يشعر في قرارة نفسه ان هناك رجلاً يستطيع ان يتحمل عنه تبعات المُلك . ويترك له التمتع بهواياته . هذا الرجل هو خاله الامير عبد الاله . الذي يستحق – من اجل ذلك – حبه الكبير !

وبسبب حب فيصل الثاني لخاله . نشأ ابن الأخت مُستسلماً . ودبعاً . هادئاً . لايحب ان يفصل في الامور . ولايحب ان يرى اموراً تحتاج الى فصل ..

وبسبب هذا الحب العجيب . استطاع عبد الاله ان يبقى – هو وحده – الملك والوصي وولي العهد – منذ ان مات الملك غازي . الى ان مات هو وفيصل .. معاً !

وبسبب هذا الحب تبلورت عواطف فيصل الثاني في الحب والكراهية . على ضوء عواطف خاله . فاذا كره عبد الاله زيداً من رجال السياسة في العراق . انتقلت هذه الكراهية الى قلب فيصل .. واذا أحب عبد الاله عُمَراً من الناس ، كان فيصل اول الناس الى استدعائه للقصر ، او الانعام عليه بأحد الاوسمة ، او مصادقة احد ابنائه . او دعوته ليكون بين أحد الوفود الرسمية المسافرة الى اوربا او أمريكا !

وعلى ضوء هذا الحب ، حكم فيصل الثاني منذ ان تولى العرش في مايس ١٩٥٣ ..

وبنار هذا الحب ، احترق فيصل الثاني في فجر ١٤ تموز ١٩٥٨ .

فقد كان صادقاً بحبه ، كصدقه في تعليقاته على الاحداث والاخبار . وعندما تم التوقيع على تشكيل الاتحاد العربي الهاشمي في اول شباط عام ١٩٥٨ .. قال فيصل لمجموعة من الوزراء الذين جاؤوا لتهنئته بسلامة العودة من الاردن :

– الان ننصرف الى بناء منزلنا من الداخل .. بعد ان كنا قبلاً منصرفين الى السياسة الخارجية .. ونوري باشا ومشاكله ، وأزماته .. !

قلتُ للامير عبد الاله – والكلام لايزال للنشاشيبي – ذات يوم :

–كل من ينظر للملك فيصل يجده حزيناً . هل تعرف أنت سر هذا الحزن .. ؟ !

وهزّ عبد الاله كتفيه ، وقال : لعله متضايق من قِصرِ قامته ! !

وقهقه طويلاً ..

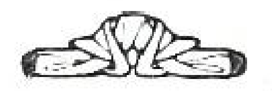
ولم يصدق عبد الاله ، في قوله ..

فقد كانت طبيعة فيصل الثاني مجبولة بالحزن . لقد عاش محروماً من كل عطف . لا أب ، ولا أم ، ولا اخ ، ولا اخت ، ولا عم .. وجو «هارو» يخلق الصداقات بين الطلاب ، ولكنه لايشحنهم بالعاطفة .. وجو بغداد يفيد (التمر) ، ولكن لايفيد مرض (الربو) والنفس الضيق .. والسياسة ومسؤوليات العرش ، تلذ للشباب ، وللرجال ، ولكنها مملة بلا معنى بالنسبة لطفل كبير .. !

وخرج فيصل الثاني من الدنيا ، كبعض العشاق والمحبين : لاعليه ، ولاله .

لم يأخذ منها ، ولم يعطها .. !

فقد عاش عمره القصير ، على هامشها .. !



سأتناول في كتابي الجديد «ليلة سقوط الملكية في العراق ـ ١٣ تموز ١٩٥٨» الذي سيصدر قريبا، تفاصيل دقيقة لمصرع الملك فيصل الثاني وعائلته صبيحة يوم الاثنين ١٤ تموز ١٩٥٨ في الحديقة الامامية لقصر الرحاب.

كما سأورد تفاصيل الساعات التي اعقبت مصرعه، والموضع الذي دفن فيه، وكيف تمّ معرفة ذلك المكان بعد ثلاثين عاما. والموضع الجديد الذي سيرقد فيه ابدياً في المقبرة الملكية في الاعظمية ببغداد.

المؤلف

مؤلفاته!

كان للملك فيصل الثاني ولع خاص بالفروسية والمصارعة واساليب الدفاع عن النفس . فقد طالع ، وهو طالب في «كلية هارو» العديد من الكتب والمجلات الرياضية ، لاسيما تلك التي تبحث في أمور «الكاراتيه» ، والدفاع عن النفس .

وعندما بدأت والدته ، الملكة عالية ، في كتابة مذكراتها في منتصف عام ١٩٥٠ ، وبعد ان استفحل المرض الخبيث في جسمها ، أستهوت الملك فيصل الثاني ، عملية الكتابة والتأليف !

ويحكي لنا العقيد المتقاعد يوسف شفيق النائب – من مواليد الحلة عام ١٩١٨ – قصة أنشغاف الملك الفتى بتأليف كتاب يبحث في اساليب الدفاع عن النفس ، وكيف تمَّ – بمعاونة منه ، ومن المرافق الملازم ماجد عبد الستار – إنجاز هذا المؤلف وطبعه وتوزيعه ..

يقول العقيد يوسف النائب :

«بعد فشل حركة رشيد عالي الكيلاني ، رشحني المرافق الاقدم لجلالة الملك فيصل الثاني ، الزعيم عبد الوهاب عبد اللطيف ، ان أكون مرافقاً خاصاً للملك الطفل ، نظراً لما تتوفر فيَّ – كما قال المرافق الاقدم – من مزايا جيدة حميدة ، كالاخلاص ، والامانة ، والخلق الرفيع .

بقيتُ الاشهر الثلاثة الاولى من ألتحاقي كمرافق في القصر الملكي ، تحت التجربة ، وبعد انقضاء هذه المدة ، قالوا لي : أستمر بهذه المهمة ، وستكون مرافقاً خاصاً ملازماً للملك الطفل .

كان الملك الصغير يعاملني باحترام شديد ، ويسمع كلامي ، وينفّذه بدقة من دون تلكؤ او أعتراض . وكان يناديني بـ «عمو يوسف» . كما كنت أشعر بان والدته الملكة عالية وخالته الاميرة عابدية ، كنَّ يعاملنني معاملة الاخوات لأخيهم . وكنَّ لا يتورعن الحديث بكل شيء أمامي . كنتُ أفطر معهم . وأتغدى معهم . ونشاهد الافلام السينمائية حسب اختياري لتعرض في سينما القصر الخاصة .

كنا نتحدث ، اثناء تناولنا الطعام ، احاديث شتى .. ومرة قلتُ للملكة عالية : لماذا ياستي ، لاتكتبين مذكراتك ؟ !

قالت : أتساعدني يايوسف بكتابتها ..؟

قلتُ : بكل ممنونية ياسيدتي .. فانت تتحدثين ، وانا اسجل .. ثم اقوم بتبويب ما تتحدثين

به عن حياتك . وعن الاحداث السياسية المهمة التي مرتّ بحياتك . وتشرحينها شرحاً دقيقاً ومفصلاً ..

وافقت الملكة عالية على ذلك الاقتراح .. وبدأت تشرح بعض التفاصيل . وأخذنا . بعد ان ننتهي من تناول العشاء ، نسجل الاحداث .. واجتمعت لديّ اوراقٌ عديدة من مذكرات الملكة عالية .

وفي أحدى الأمسيات ، والملكة تسرد وقائع حياتها . كان الملك الفتى ينصت الى ذلك الحديث . وفجأة ألتفت اليّ وقال : «عمو يوسف .. اني اريد ان أولف كتاباً ..

ضحكت الملكة عالية ، مقاطعة كلام ولدها ، قائلة :

– أنت بعدك صغير ، وحينما تكبر يمكنك ان تكتب وتؤلف !

قال الملك بحزم : اني اتكلم بجد . وفي ذهني موضوع يجب ان اكتب فيه ..

قالت الملكة باستغراب : أي موضوع ، تريد ان تكتب فيه ؟ !

أجاب الملك : موضوع يتناول اساليب الدفاع عن النفس .

فضحكت امه الملكة بملئ شدقيها وقالت : خير.. ان شاء الله .. !

والتفت الملك الفتى نحوي وقال : عمو يوسف .. اني أريد ان أؤلف هذا الكتاب ، لاني اعتقد ان جميع شباب العرب ، والعراقيين بصورة خاصة ، بحاجة الى هذا الكتاب .

ثم أردف الملك قائلاً : ان هذا الكتاب سيفيد الجميع ، واني ساقدمه بعد طبعه هدية الى جامعة الدول العربية ، ونطلب اليها ان تعيد طبع هذا الكتاب وان توزعه مجاناً على الشباب العربي .

اما انا – والكلام لايزال للعقيد يوسف النائب – فلم يخطر ببالي قط . اننا سنؤلف هذا الكتاب المقترح من قبل الملك في سرعة فائقة .

واخذ يرجو والدته ان تؤجل حديثها معي بشأن مذكراتها الى حين انجاز مؤلفه .. كما كان يلحُّ عليّ ، أن نُسرعَ بانجازه قبل عودته الى الدراسة في انكلترا .

قالت الملكة : سأستمر في املاء مذكراتي على يوسف . وانت كذلك ابدأ مع يوسف في تأليف كتابك . وسنقّسم العمل الى وجبتين : الوجبة الصباحية لك . ووجبة المساء لي .

أصرَّ الملك الفتى ، على ان يستأثر بالوقت كله لانجاز مؤلفه . وبدأ يتوسل ملحاً على أمه بان تؤجل كتابة مذكراتها حتى ينتهي من مؤلفه . لانه قرر ان يأخذ مؤلفه الى انكلترا ، ليعرضه على زملائه الطلاب .

تفرغتُ فعلاً للعمل مع الملك . وطلبنا الى الملازم ماجد عبد الستار ان يعاوننا في هذا الموضوع ، لانه متخرج من «الدورة العنيفة» في الكلية العسكرية .

بدأنا على الفور . نخطط للعمل .

ووضعنا الخطة الكاملة لانجاز هذا المؤلف ..

وبادئ بدء . أحتجنا الى رسام ، يرسم الحركة بخطوط قلمية ..
واستعنا بالرسام الشاب خالد الرحال ، الذي كان يجلس معنا لرسم الحركات عدة ساعات يومياً بدون كلل او ملل !

كنا نقوم بتمثيل الحركة امام الرسام ، ليرسمها .. ثم يعرضها علينا . فنُصّلح فيها ، ونبدي راينا الأخير فيها ، ان كانت تتفق مع الحركة ام لا ؟ !
وكان خالد الرحال يجلب معه الاقلام والاوراق . ونضع له طاولة ليرسم عليها .. واكون انا والملك فيصل والملازم ماجد ، نقوم ثلاثتنا بتمثيل الحركات ، حتى يستقر الرأي نهائياً عليها . فيقوم الرسام الرحال برسمها على الفور .
كانت لدينا نحن الثلاثة ، إطلاعات على مثل هذه الأمور . فقد تدربت والملازم ماجد على اساليب الدفاع عن النفس في الكلية العسكرية ودوراتها العنيفة . كما كان للملك بعض المعلومات في «الجودو» اليابانية من خلال مطالعاته لبعض الكتب الانكليزية بهذا الصدد .

كنتُ اكتب الشروحات للحركات ، واعرضها على الملك والملازم ماجد . وعندما يستقر الرأي ، بعد المناقشة المستفيضة – يبدأ الملك ليعيد كتابتها من جديد بخطه الواضح .
وبعد أن أتممنا التأليف ، بدأنا عملية تنقيح الشروحات والرسوم .
وكانت الملكة عالية تحضر يومياً جلساتنا دون انقطاع – وتسألنا عن اعمالنا اليومية . فنقوم بشرحها لها .. وكانت راضية عن ذلك ، والسعادة بادية على محياها والألم يعتصرها باطناً .
كان مكتبنا في قاعة العرش في قصر الزهور . حيث توجد فيها طاولة كبيرة . كانت اوراقنا ورسوماتنا تنتشر فوقها .
كان عملنا يبدأ بانتظام من الساعة التاسعة والنصف صباحاً حتى الساعة الثالثة والنصف عصراً ، نتناول خلالها ، ولمدة ساعة ، طعام الغداء . وكان كل فصل ينجز من الكتاب ، نترك بعده يوماً للاستراحة .
ومن ثم نعرضه على الدكتور مصطفى جواد ، لتنقيحه ، وملاحظة اسلوب الكتاب ، وسلامة اللغة العربية .
والدكتور مصطفى يستلم الفصل المنجز ، ويأخذه الى بيته لقراءته ، ويعيده الينا بعد يومين ، وعليه ملاحظاته اللغوية .
وكان الدكتور مصطفى جواد يبدي الملاحظات بالحبر الاحمر ، وبالسلاية مشقاً !

ثم نقوم بكتابة الفصل من جديد – بعد الأخذ بملاحظات الدكتور مصطفى جواد ، ثم نعرضها – بعد التصحيح – عليه مرة ثانية . وبعد موافقته يصبح الفصل جاهزاً للطبع . ونبدأ بالفصل الاخر ، ويجري عليه كما جرى على السابقات !

ثم عرضناها على الدكتور خالد الهاشمي وعلى الرسام اكرم شكري الذي ساعد هو الاخر في الرسوم .

وبعد ان تم انجاز جميع فصول هذا الكتاب . ذهبت بها الى كلية الملكة عالية بباب المعظم ، وطلبتُ من الست أمت السعيد عميدة الكلية . ان تُسهل لنا طبع المسودات على آلة الطابعة ، وسحبها بالرونيو ، العائد الى الكلية .

كلفت الأنسة فيكتوريا جابرو – كاتبة الطابعة – في الكلية المذكورة – بطبع فصول الكتاب على آلة الطابعة ..

وفعلاً ، وخلال يومين ، أنجزتْ كاتبة الطابعة ، طبع هذا المؤلف باتقان . وقد أهداها الملك فيصل الثاني بعدئذ مكافاة وهدية .. ! كان ذلك في منتصف تشرين الثاني ١٩٥٠ وعند تمام الطبع قررنا ان نُجلّد ٥٠ نسخة من هذا الكتاب الصغير .

وطلب عبد الحميد زاهد – المُجلّد – خمسين ديناراً ليقوم بتجليد ٥٠ نسخة فقط من هذا الكتاب ، ووضع العناوين عليه وطبعها بماء ذهبي ، لكي يقوم الملك باهدائها الى الملوك والرؤساء والى كبار الشخصيات العربية .. غير ان الامير عبد الاله ، الوصي على العرش . لم يوافق على صرف ذلك المبلغ المطلوب ، لبهاظته ! ! .. وقد حزن الملك على عدم موافقة خاله تخصيص هذا المبلغ الزهيد. وقد أضطررنا أزاء ذلك – وبعد ان رفض الوصي تزويدنا بالمبلغ – ان نشتري كمية من ورق (الابرو) ، لنُجلد فيه تلك النسخ الهدايا !

وعندما شاهد الملك الفتى ، الكتاب بين يديه – كانت الفرحة تطغي على وجهه . ومشاعر الغبطة تهز كيانه .. كان سعيداً إيما سعادة !

أهدى الملك الفتى بخط يده نسخاً الى عمه الكبير الملك عبد الله – عاهل شرق الاردن . والى والدته الملكة عالية ، والى خاله الامير عبد الاله ، والى الشريف حسين ، والشريف حازم ، زوجي خالتيه ، والى جدته الملكة نفيسة ، والى السيد محمد الصدر رئيس الوزراء السابق ورئيس مجلس الاعيان ، والى عبد الرحمن عزام ، أمين عام جامعة الدول العربية .. » !

ويختم يوسف النائب حديثه ، قائلاً : «لقد احتفظ الملك في مكتبته الخاصة ببقية النسخ ، وكافة المسودات ، وكان بين الحين والاخر يتصفحها ، ويعيد تمثيل بعض الحركات عليّ وعلى الملازم ماجد عبد الستار .. » .

وفي نهاية عام ١٩٥٦ ، فكّر الملك فيصل الثاني ، ان يؤلف كتاباً جديداً ، يسرد فيه

يومياته . ويذكر فيه مامرّ به من احداث مهمة .

يقول المرافق يوسف النائب عن ذلك : «قال لي الملك الشاب فيصل الثاني بعد الاعتداء الثلاثي على مصر العربية ، في المنتصف الثاني لعام ١٩٥٦ انه يفكر بكتابة مذكراته ، التي سيطلق عليها عنواناً : «يومياتي» . يدوّن فيها كل مامرّ به من احداث وأمور مهمة ، ويُسرد فيها المناقشات التي كانت تدور في اجتماعات البلاط والقصر ، ورايه فيها ، وتصورهُ عنها ..

وقد بدأ فعلاً – وكنتُ أساعده – بوضع الإطار العام وخطة العمل لهذه «اليوميات» . واتفقنا ان تؤلف من جزأين : الاول من تاريخ إدراكه الامور السياسية حتى يوم تتويجه . والاخر من يوم تتويجه حتى ساعة كتابة هذه اليوميات .

وقال الملك ايضاً : اذا اكملنا انجاز هذه « اليوميات» واصدرناها بكتاب أنيق الطبع .. سأقوم بتأليف كتاب جديد آخر . أطلق عليه «السياسيون العراقيون كما عرفتهم» ، ومن الان يجب ان نجمع المعلومات الصحيحة عن جميع الشخصيات السياسية التي أدت دورها على مسرح بلادنا» .

وينهي العقيد يوسف النائب ، الذي لازم الملك فيصل الثاني مايقرب من الخمسة عشر عاماً ، مربياً وصديقاً ، حديثه قائلاً :

«لقد بدأ الأمير عبد الاله يكرهني ويحاول جاهداً ابعادي عن الملك وعن مرافقته وكانت الحادثة التالية التي سأقصها عليك سبب نقلي وابعادي :

– في احدى حفلات القصر في منتصف عام ١٩٥٦. دعي جميع المرافقين وضباط الحرس الملكي الى قصر الرحاب للاحتفال بمناسبة سعيدة.. وبعد ان سكر غالبية المدعوين وقف الضابط في الحرس الملكي المقدم عبد القادر (الملقب بقاله). بعد تناوله الكثير من الويسكي ، في وسط الحشد، وطلب بالحاح ان يلقي كلمة بهذه المناسبة. اعتلى (قاله) كرسياً ، وقال بصوته الجهوري :

سيدي ، إليك عندي نصيحة. اطرد (السرسرية) من الضباط ، وأبقِ (الخوش ولد)!!

كان الامير عبد الاله يستمع اليه، وكذلك الملك.. قال الأمير: أذكر الاسماء.

فاخذ المقدم عبد القادر ، يُعدد الاسماء.. بدون خوف او وجل!!

ورأيت وجه الامير عبد الاله – الذي كان هو ايضاً قد احتسى الكثير من اقداح الويسكي – يحمّرُ تارة، ويصفرُ اخرى..!!

ولم يتخذ الامير عبد الاله، في اليوم التالي، ولا الايام التي تلت، اية اجراءات او تنقلات بعد تلك (الخطبة القالية)!!

وعندما رجعنا – بعد انتهاء تلك الحفلة الصاخبة – الى قصر الزهور، ودخلنا غرفة الملك الشاب. سألتُ الملك رأيه فيما قاله المقدم عبد القادر..

قال على الفور: كلامه صحيح.. ومن الافضل انتخاب الصالحين من الضباط.

ثم سألني عن رأيي، فقلت: نعم صحيح.. كان على سمو الامير ان ينتخب زمر جيدة ومخلصة..

وكنتُ دائماً اتناقش مع الملك الشاب في أية قضية مطروحة. وكان مناقشاً لطيفاً وهادئاً، ويعطيك آراء ناضجة، معقولة ومنطقية، لا كما كانوا يصورونه بأنه خامل وبليد ولا يحسن الكلام!

مرة كنت مع الضباط: علي الصانع وعلاء حسن وعبد القادر محمود، نجلس في قصر الرحاب. وقد حضرتُ مع الملك. وجاء الامير عبد الاله وشاركنا هذه الجلسة. طلب الينا ان نتحدث بصراحة عن الاوضاع..

فقلت له: سيدي.. تريد الصدق والنصيحة..

قال الامير: طبعاً..

قلتُ: انك محاط بزمر سيئة.. وستكون النتيجة وبالاً علينا جميعاً.. اسمح لي ياسمو الأمير ان احذرك.. فالناس تتحدث عن الاوضاع السيئة!

زعل الأمير وأمتعظ من كلامي هذا.. واصبح، منذ ذلك اليوم، يناديني بـ (ابو الزمر السيئة)!!

وطلب مني، في تلك الجلسة، ان اغادر القصر فوراً.

بقيتُ في داري في الاعظمية ثلاثة أيام.. اتصل بي الملك بعدها تلفونيا وقال:

– اذا كنت زعلاناً مع خالو (يقصد خاله) فشنو ذنبي انا؟!..

ثم أخذتْ التلفون الاميرة عابدية وسمعتها تقول لي: أرجع فان جلالة الملك يريدك.. وقد ارسلتُ اليك سيارة، لتجلبكَ الى القصر.

ولما علم الامير عبد الاله بما جرى. قرر نقلي من دون علم الملك ولا الاميرة فنقلتُ الى فوج الحراسة التابع الى لواء الحرس الملكي، ومقره في وزارة الدفاع.

وكنت أتردد على الملك الشاب بين فترة واخرى. وكلما التقيت به، يستل كتاب «أساليب الدفاع عن النفس» من مكتبته الخاصة ليقرأ عليّ بعض فصوله جذلاً مغتبطاً..

وكان آخر لقائي بذلك المليك الشاب المؤلف، في مطلع الاسبوع الثاني من تموز ١٩٥٨. وبعدها بأسبوع، سقط مضرجاً بدمه، من غير ان يستطيع «الدفاع عن نفسه»!!

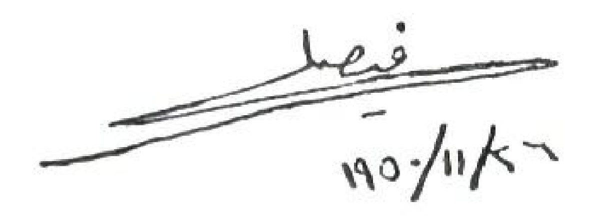
مؤلفه المنجز

اساليب الدفاع
عن
النفس

أهدى الملك فيصل الثاني مؤلفه الاول، الى عمه الكبير، الملك عبد الله بن الحسين، ملك شرق الاردن، بوصفه عميد الأسرة الهاشمية.

كما أهدى مؤلفه الاول، باكورة إنتاجه الادبي الرياضي، الى والدته الملكة عالية، قبل شهر واحد تقريباً من وفاتها، وهذا هو نص الاهداء بخط يده وبتوقيعه:

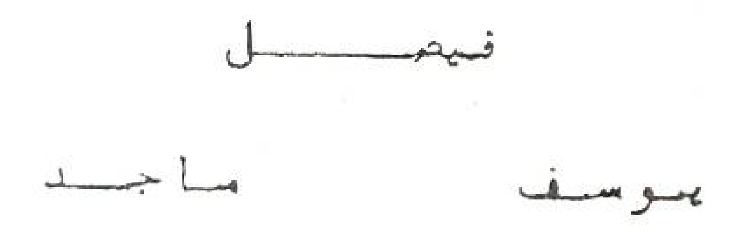
ستي العزيزة الوالدة المعظمة
ارجو التفضل بقبول كتابي هذا كهدية
بسيطة من ولدك



اساليب الدفاع

عن

النفس



فيصل

يوسف ماجد

الاهداء

يطيب لي ان ارفع الى جدى العزيز صاحب الجلالة الملك عبد الله المعظم عميد العائلة الهاشمية اول ثمرة من ثمرات جهدى الادبي والرياضي وذلك بالتعاون مع الرئيس الاول يوسف النائب والملازم الاول ماجد عبد الستار لما لجلالتكم من الفضل والتشجيع للروح الادبية والرياضية راجيا ان تحظى من جدى العزيز بالقبول والمنه ولي التوفيق •

المقدمة

الكثير منا يسمع عن طريقة (الجودو) اليابانية ونجاح اساليبها في الدفاع عن النفس لما تمتاز به من خفة وسرعة ومباغتة تنتزع من الخصم عنصر المبادءة وتتغلب عليه بحركات ومسكات تشل حركته وتجعله اسيرا بعد ان كان مهاجما وقد انتبهت بعض الجيوش في العالم لفائدتها في القتال فادخلتها ضمن دروسها الحربية ولما كانت بعض هذه المعارف والمعلومات الدفاعية مما لا يستغني عنها الفرد الاعتيادى ايضا وقد يحتاجها مواطنونا بوجه عام لما قد يتعرضون له من الاعتداء عليهم وخاصة في عالم ضعفت فيه القيم والمبادئ الروحية السامية الرادعة وطغت عليه الروح المادية الجشعة فقد خطر على بالنا ان نقترح بعض الاساليب المعلمة

البسيطة للدفاع عن النفس وأن نجمعها في البداية
في كتاب لتكون نافعة للمواطن وحافزا لشباب العراق
والبلاد العربية لزيادة عنايتهم بالروح الرياضية .
ووجوب تعزيزها باعتبارها احدى الاركان والدعامات
القومية التي يرتكز عليها رقي الوطن ومجده ولا بد
لنا قبل ان نختم هذه المقدمة من التنويه بالمساعدة
القيمة التي تلقيناها من رائد جلالة الملك الدكتور
خالد الهاشمي وذلك لاشرافه على هذا الكتاب ومن الرسام
السيد اكرم شكري والذي ساعد بالرسوم الموضحة
ومن عميدة كلية الملكة عالية الست امة سعيد للاستعانة
بها في طبع الكتاب والله نسأل ان يوفق الجميع لخدمة
بلادنا العزيزة

المؤلفون



التخلص من طعنة خنجر جانبية
من اليسار الى اليمين بالنسبة لك

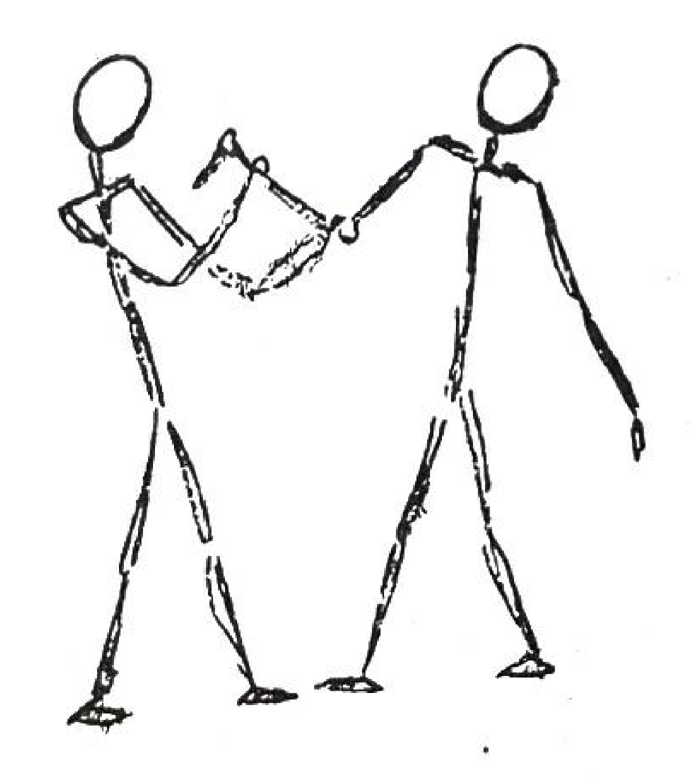
الشـــــــــرح

يجب ان يكون هدفك الاول منع اقتراب رأس الخنجر من جسمك وذلك باتباع ما يلي .

١ — اقبض على رسغ الخصم بيدك اليسرى .

٢ — اقبض على مرفقه بيدك اليمنى .

٣ — اسحب بحركة سريعة ومفاجئة يدك اليمنى ساحبا معها مرفق الخصم اليك ودافعا معها رسغ الخصم بشدة باليد اليسرى فيسقط الخصم على الارض





التخلص من طعنة خنجر عمودية

الشرح

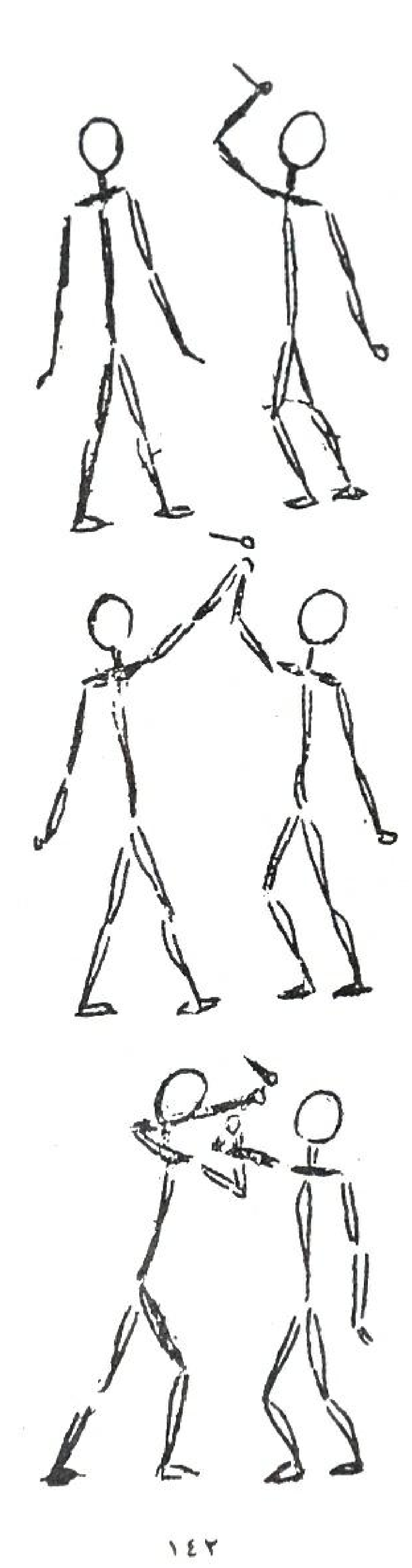
عندما تتلقى طعنة خنجر آتية من الاعلى الى الاسفل (عمودية) فكيف تتخلص منها ؟

يجب ان يكون هدفك الاول منع اقتراب راس الخنجر من جسمك وذلك باتباع ما يلي ٠

١ ــ امسك رسغ الخصم الحاملة للخنجر باليد اليسرى، على ان يكون الكف مقابل وجهك وراحة اليد المذكورة الى جهة الخارج ٠

٢ ــ امسك باليد اليمنى ساعد الخصم مجتهدا ان يكون ذلك مستندا الى ذراعك الايمن ٠

٣ ــ ادفع الخصم بقوة بواسطة ذراعيك ضاغطا بشدة على يد الخصم الماسكة الخنجر وابق مستمرا على هذا الضغط حتى يسقط خصمك على الارض



التخلص من طعنة خنجر تحتانية

الشـــــــرح

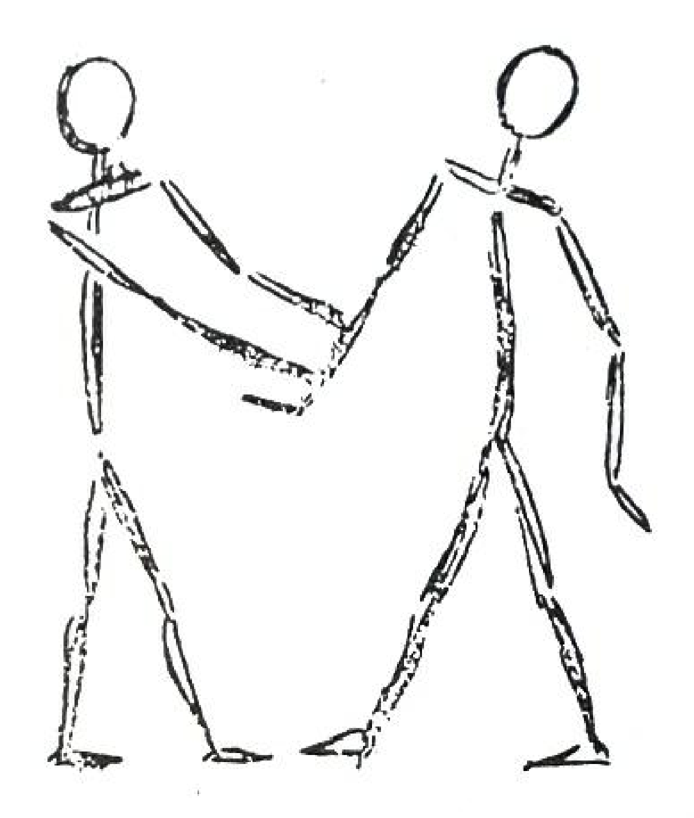
عندما تتلقى طعنة خنجر آتية من الاسفل الى الاعلى فكيف تتخلص منها •

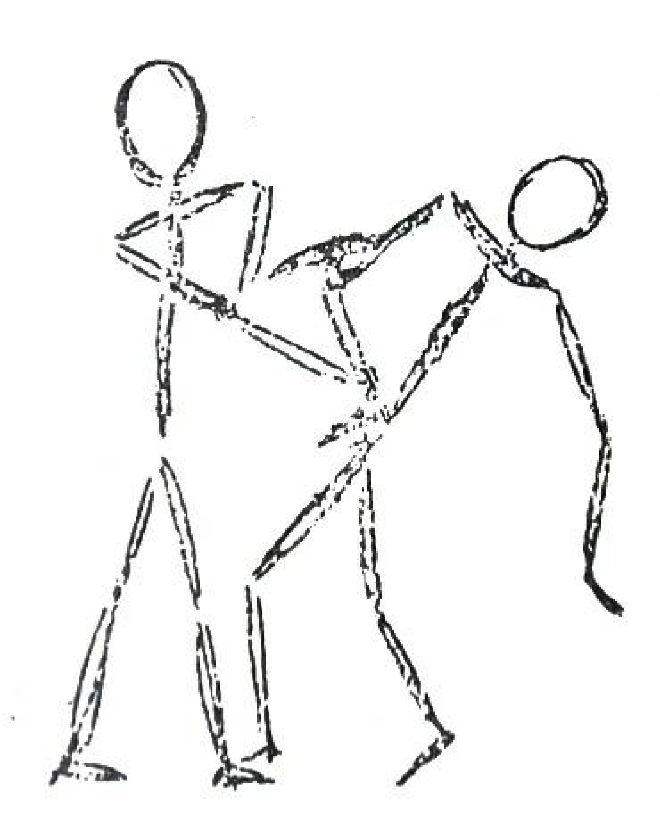
١ ـ يجب ان يكون هدفك الاول امالة رأس الخنجر الى احدى جهات جسمك الخارجية •

٢ ـ اقبض على رسغ الخصم بكلتي يديك واستمر بالضغط

٣ ـ لف الخصم على شكل دائرة بقوة وبسرعة •

٤ ـ حرر يديك لجثة منه ليسقط على الارض بسبب القوة الاهتزازية •





التخلص من طعنة خنجر عامة

الشرح

عندما تجابه بخصم يهاجمك والخنجر مشهور بيده فماذا تصنع للتخلص منه ؟
من الطرق التي يقترحها هواة (الجودو) لمقاومة الخصم المذكور .

١ ــ التحضر لاعداد ساقك اليمنى لمباغتته برفسة قوية مفاجئة نحو القسم الحساس من وسطه .

٢ ــ فبهذه الحركة تشل حركته ويسقط على الارض

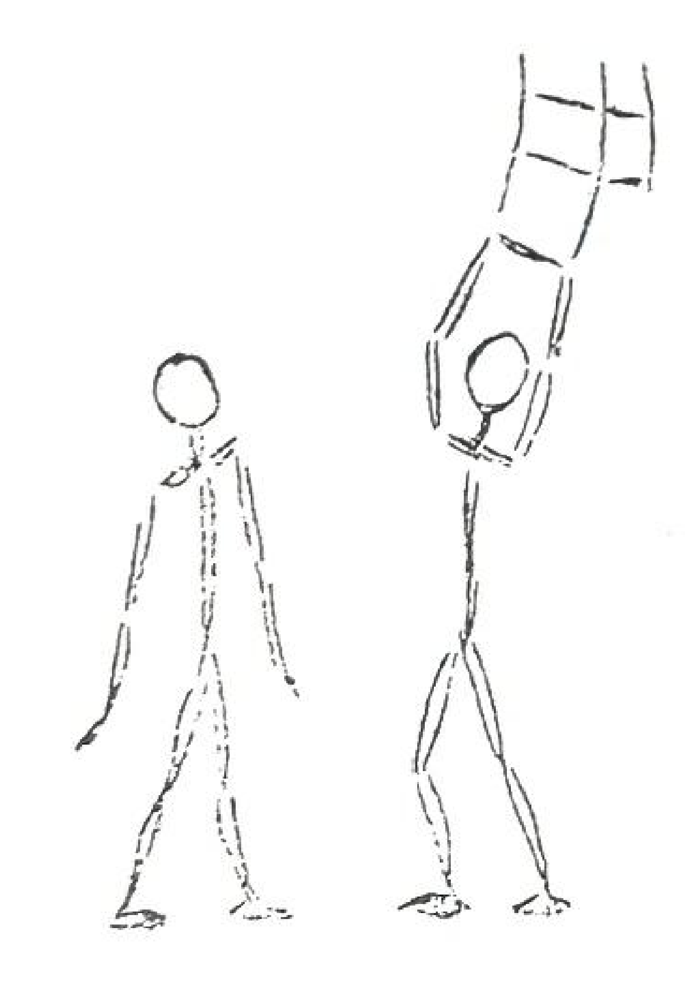
التخلص من ضربة كروس على الرأس

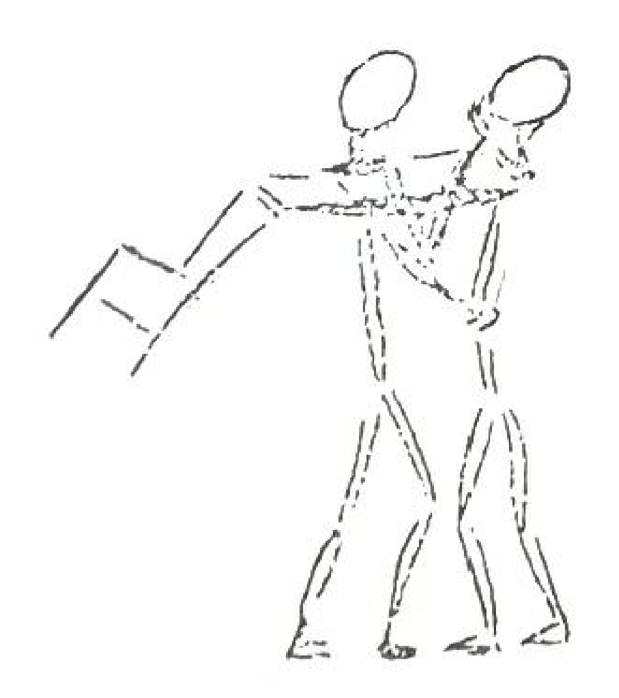
الشـــــرح

عندما يهدد ك شخص ما بضربة كروس ويوجه الكروس الى اعلى قمة الرأس لضربك لماذا تعمل ؟

١ ـ تقدم نحو الخصم واجعل نفسك خارج منطقة ضربة الكروس وذلك بتقدمك المفاجئ باتجاهه لتكون بينه وبين الكروس لتحول بينه وبين ضربته ٠

٢ ـ ضع كف اليد اليسرى تحت ابط الخصم وارفعه بقوة الى الاعلى وضع اليد اليمنى خلف ظهره ثم اسحب اليد المذكورة اليك بقوة وبهذه العملية السريعة يسقط الخصم على ظهره ٠





التخلص من ضربة كروس جانبية

الشــــــــــرح

عندما يهددك شخص ما بضربة كروس جانبية فماذا تعمل لتتخلص منها ؟

١ ـ اخفض جسمك الى الاسفل فبذلك تكون الضربة خارج جسمك

٢ ـ اضربه بلكمة (هوك) قوية على خاصرته فيكون تحت رحمتك .

الخنق القريب

التخلص من خصم يحاول خنقك

١ — حاول خنقه بكلتي يديك بشدة ثم اضربه بركبتك على وسطه ولتكن ضربتك قوية •

٢ — الكمه على فكه بشدة •





الخنق البعيد

التخلص من خصم يحاول خنقك

١ ـ ارفع يديك الى الاعلى بقوة وقدمها الى الامام على ان تضع يديك داخل يدي الخصم الخانقة .

٢ ـ ادفع يديه الى الخارج بقوة متخلصا من الخنق على ان توجه له في الوقت نفسه رفسة الى وسطه ولكمة الى فكه .



التخلص من عضة الخصم

إذا حاول الخصم عضك من يدك ماذا تعمل للتخلص منه

الشرح

أ - إذا حاول الخصم عضك من ساعدك ـــــ الكمه على فكه بقوة.

ب - إذا حاول الخصم عضك من يدك ـــــ وكان قريبا عنك.

آ - اضربه بركبتك على وسطه بشدة ثم عالجه بلكمة.

ب - اضغط على عينيه بإبهاميك بقوة وإلى الخارج.

ج - امسك انفه بيدك اليمنى واضغط عليها بشدة.

د - الكمه بقوة على انفه.

التخلص من رفسة الخصم

شكل ـ ١ ـ

الشـــــــرح

عندما يفاجئك خصم ما برفسة موجهة لوسطك فماذا تعمل لتتخلص منها ؟

١ ـ عندما ترى قدم خصمك متجهة الى وسطك امل بجسمك الى خارج منطقة الضربة .

٢ ـ امسك كعب قدمه بكلتي يديك ثم ارفع ساقه الى الاعلى بشدة لتختل موازنته فيسقط حالا على الارض .



التخلص من رفسة الخصم

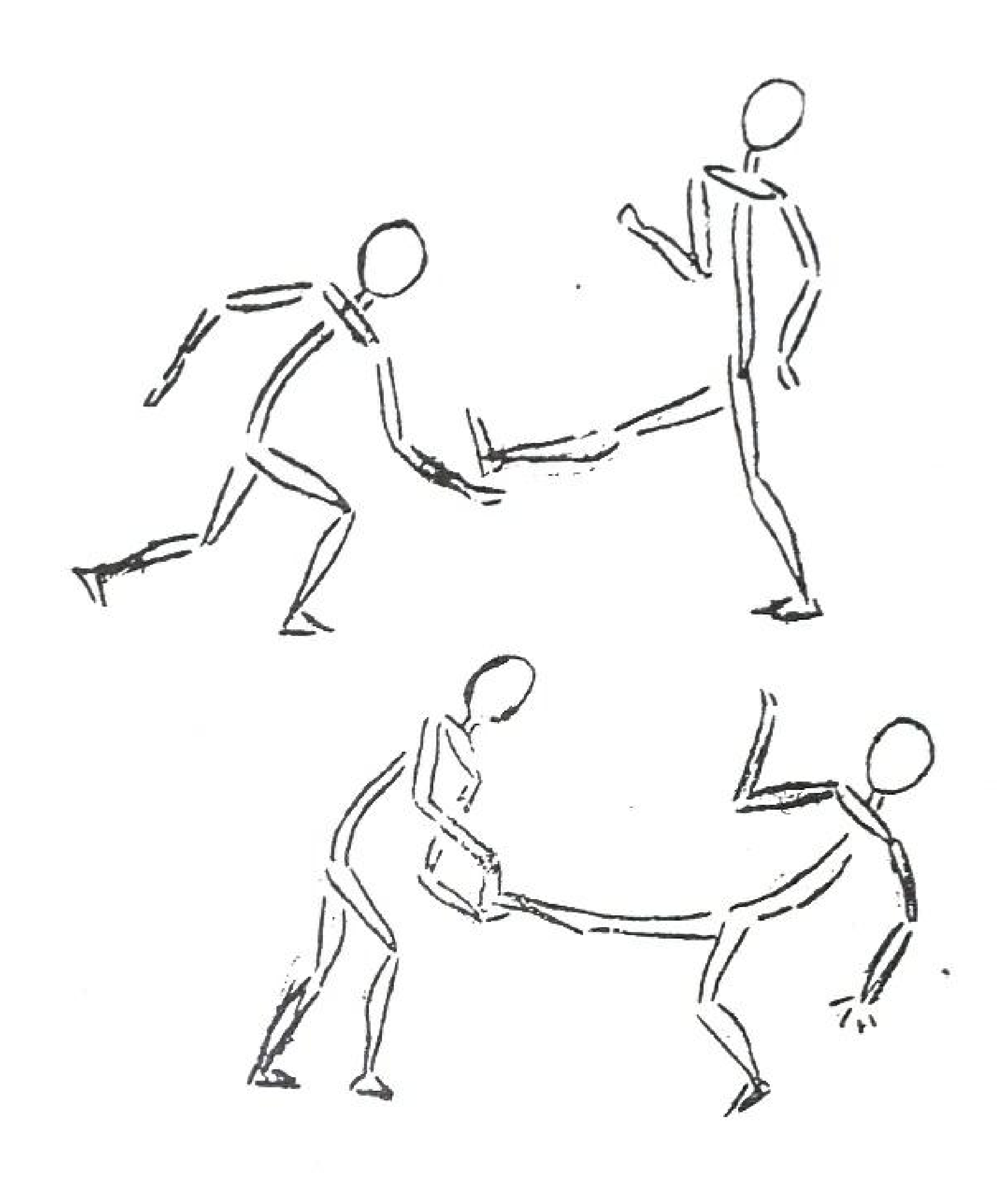
شكل ـ ٢ ـ

الشرح

عندما تتلقى رفسة من الخصم موجهة الى بطنك فماذا تعمل لتتخلص منها ؟

ا ـ امسك قدم الخصم من الكاحل باليد اليمنى واصابعه باليد اليسرى .

٢ ـ الو قدمه بشدة ليسقط على الارض .



التخلص من رفسة على الساق

الشـــــــــرح

عندما تطلق رفسة من الخصم على ساقك فكيف تتخلص منها ؟

١ ــ فاجىء الخصم بضربة على ساقه ٠

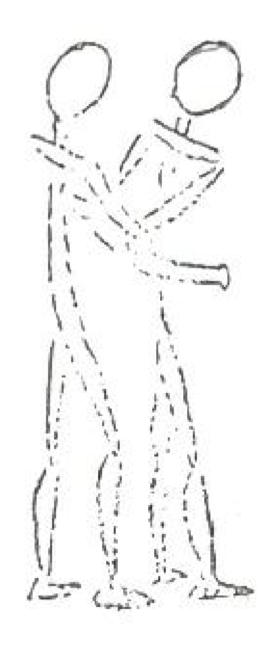
٢ ــ ارفع قدم الرجل اليمنى الى الاعلى بصورة عمودية لبذلك يصطدم مقدم رجل الخصم في رجلك لتضيع عليه الضربة وتتقي خطرها ٠

التخلص من كتف اليدين

الشـــــــرح

إذا كنت مكتوف اليدين من الخلف فماذا تعمل للتخلص من خصمك ؟

انتهز فرصة مناسبة واضربه بكعب حذائك ضربة قوية على ساقه وبذلك تصبح يداك المطبقة عليه ٠





التخلص من التهديد بالمسدس

(من الامام)

الشـــــــرح

عندما يهددك شخص ما بمسدس فماذا تعمل ؟

١ ــ يجب ان يكون هدفك الاول امالة فوهة المسدس عنك وذلك بمسك ودفع المسدس بيدك اليمنى الى خارج منطقة جسمك ثم عليك في الوقت نفسه ان تقدم رجلك اليمنى وتقبض على رسغ الخصم الممسكة للمسدس باليد اليسرى وتثنيها وتضغط عليها بكل قوة حتى يسقط المسدس ٠

٢ ــ عالجه بلكمة او رفسة فيكون تحت رحمتك ٠



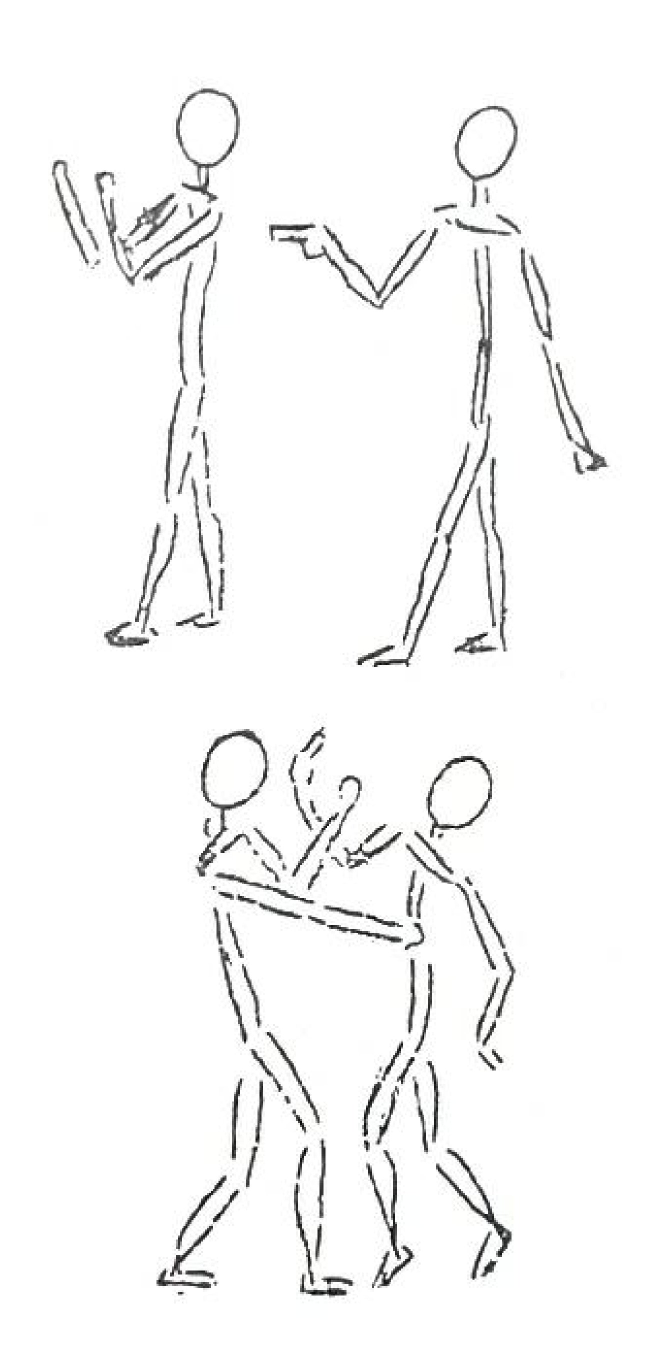
التخلص من التهديد بالمسدس

(من الخلف)

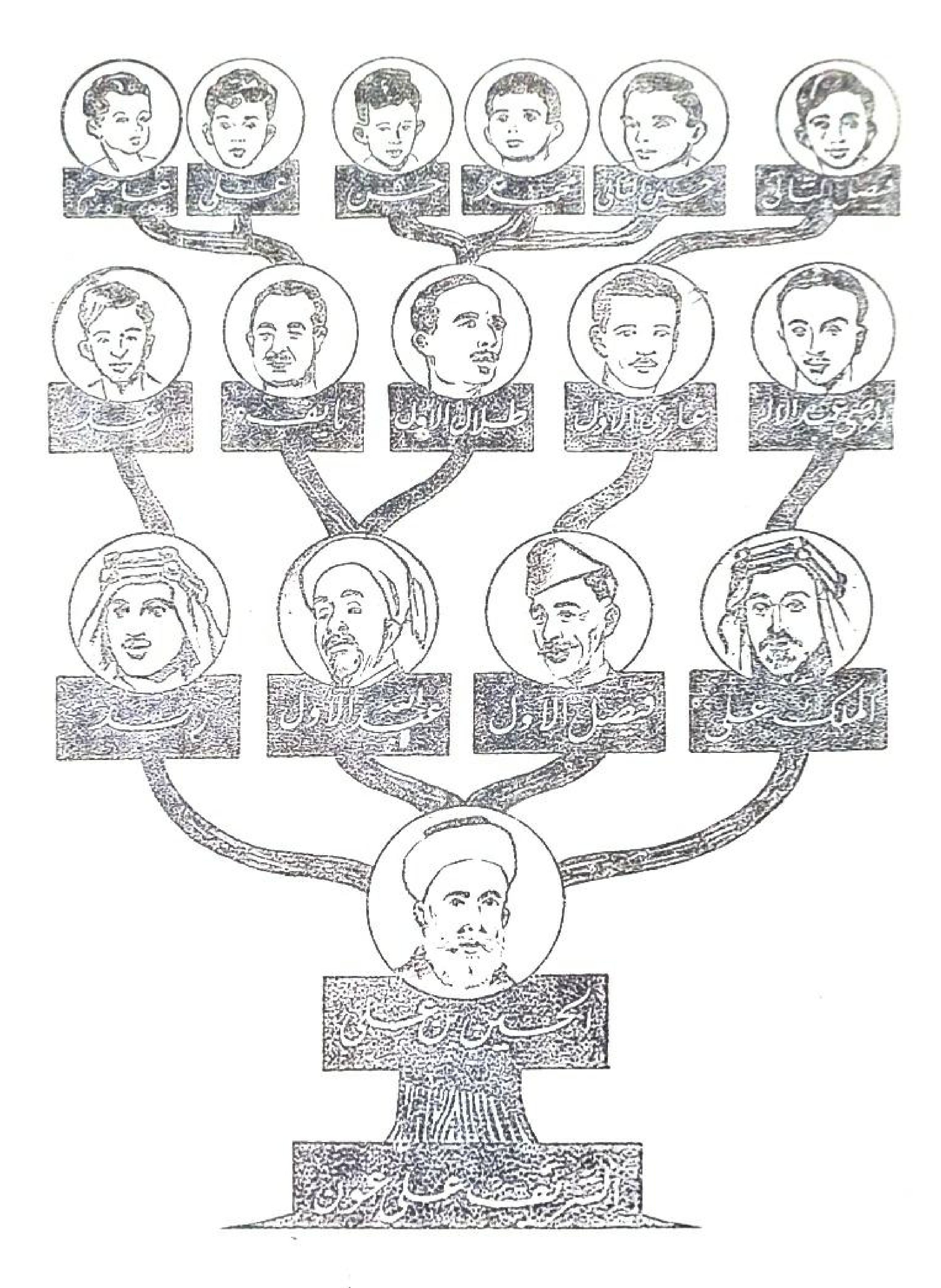
الشرح

١ ـ أدر جسمك فجأة مواجها خصمك واضربه في الوقت نفسه على المسدس بيدك اليسرى وبذلك يصبح جسمك خارج منطقة الخطر المسدس ٠

٢ ـ الكمه لكمة قوية بيدك اليمنى على فكه او على أي محل حساس آخر من جسمه ٠




وثائق وصور



شجرة العائلة الهاشمية



الملك فيصل الاول في دمشق عام ١٩٢٠ يحتضن الامير عبد الاله والاميرة عالية .



الامير غازي ولي عهد العراق



الملك غازي باللباس العربي وخنجره اليماني



الملك غازي عند مشاهدته المناورات التي قام بها الجيش العراقي في شهر شباط ١٩٣٩ لتجربة المدافع الحديدة لمقاومة الطائرات . وقد ظهر حوله رئيس الديوان الملكي رشيد عالي الكيلاني ووزير الدفاع العميد طه الهاشمي وكبار ضباط الجيش العراقي .



الملك غازي باستقبال الامير طلال ولي عهد شرقي الاردن قبل مصرعه بايام



الملك غازي في آخر حفلة شهدها قبيل مصرعه . وهي حفلة توزيع الجوائز على الفائزين مباريات الفروسية التي اقيمت في آخر شهر مارس ١٩٣٩ .



الأميرة عالية في طفولتها



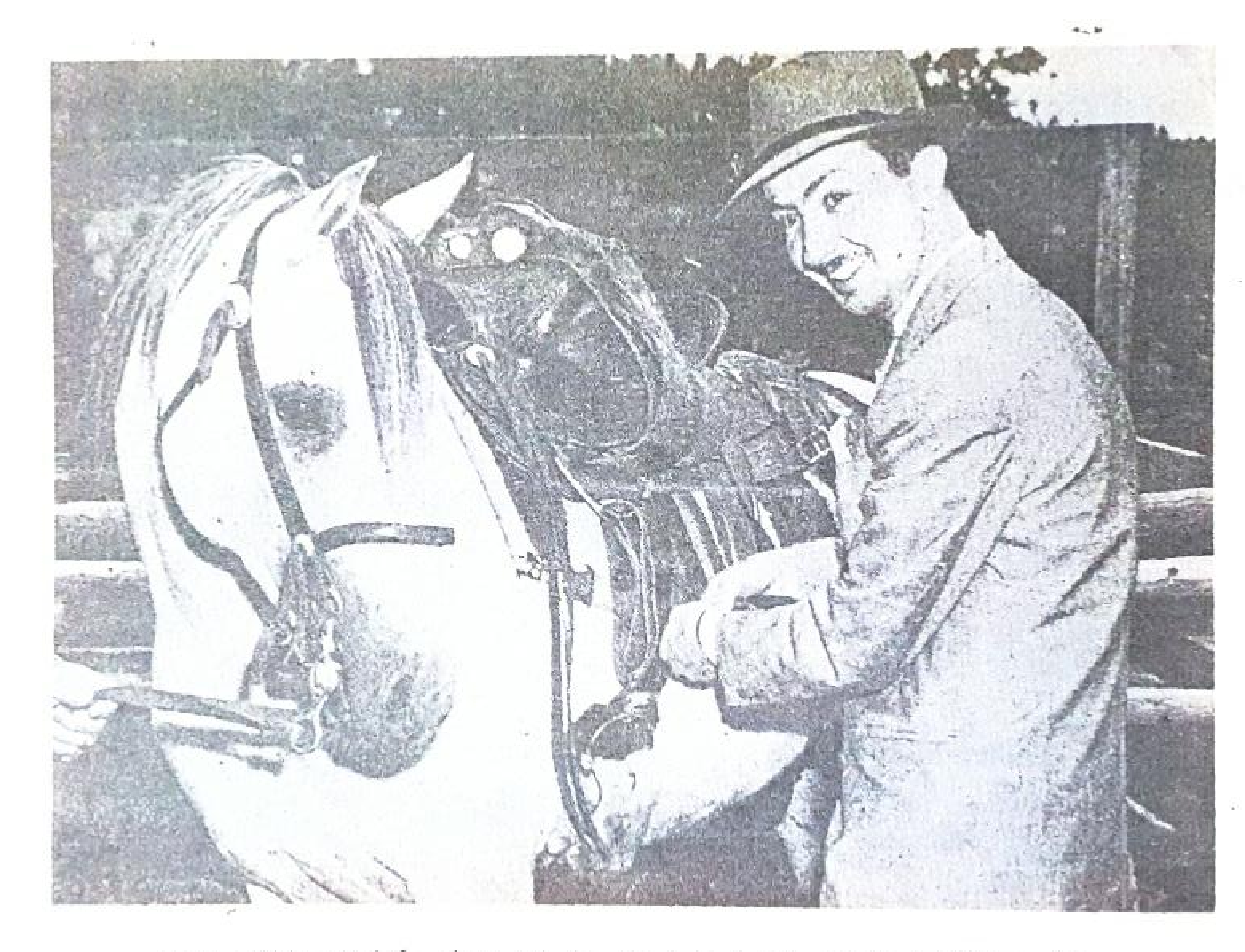
الأميرة عالية في صباها



الملكة عالية بلباس الممرضات ، عندما تطوعت كممرضة في الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٤٨ ووقف الى جانبها شقيقها الأمير عبد الاله بلباسه العسكري .



الملكة عالية : الابنة الثانية للملك عليّ ، زوجة الملك غازي ، وأم الملك فيصل الثاني .



الامير عبد الاله ولي العهد في زيارته لمزرعة في رانش في بلدة بدر لند كولورادو بالولايات المتحدة الامريكية . ليرى الخيول العربية الأصلية التي تربى هناك عام ١٩٤٥



الامير عبد الاله بن علي



الاميرة عابدية . أكبر بنات الملك علي . أهتمت ورعت الملك فيصل الثاني
بعد وفاة والدته . شقيقتها عالية . وأولته عنايتها . حتى أخر يوم في حياتها



الأمير فيصل الثاني في أشهره الأولى.



الامير فيصل الثاني في منتصف السنة الاولى



الامير فيصل في السنة الاولى من عمره



المربية الانكليزية تحمل الامير الرضيع .



الملك غازي يحمل ولده الامير فيصل في عيد ميلاده الاول .



الاحتفال ببلوغ الامير فيصل السنة الاولى من عمره ، وقد ظهر جالساً في حضن مربيته



الامير فيصل الثاني في طفولته .



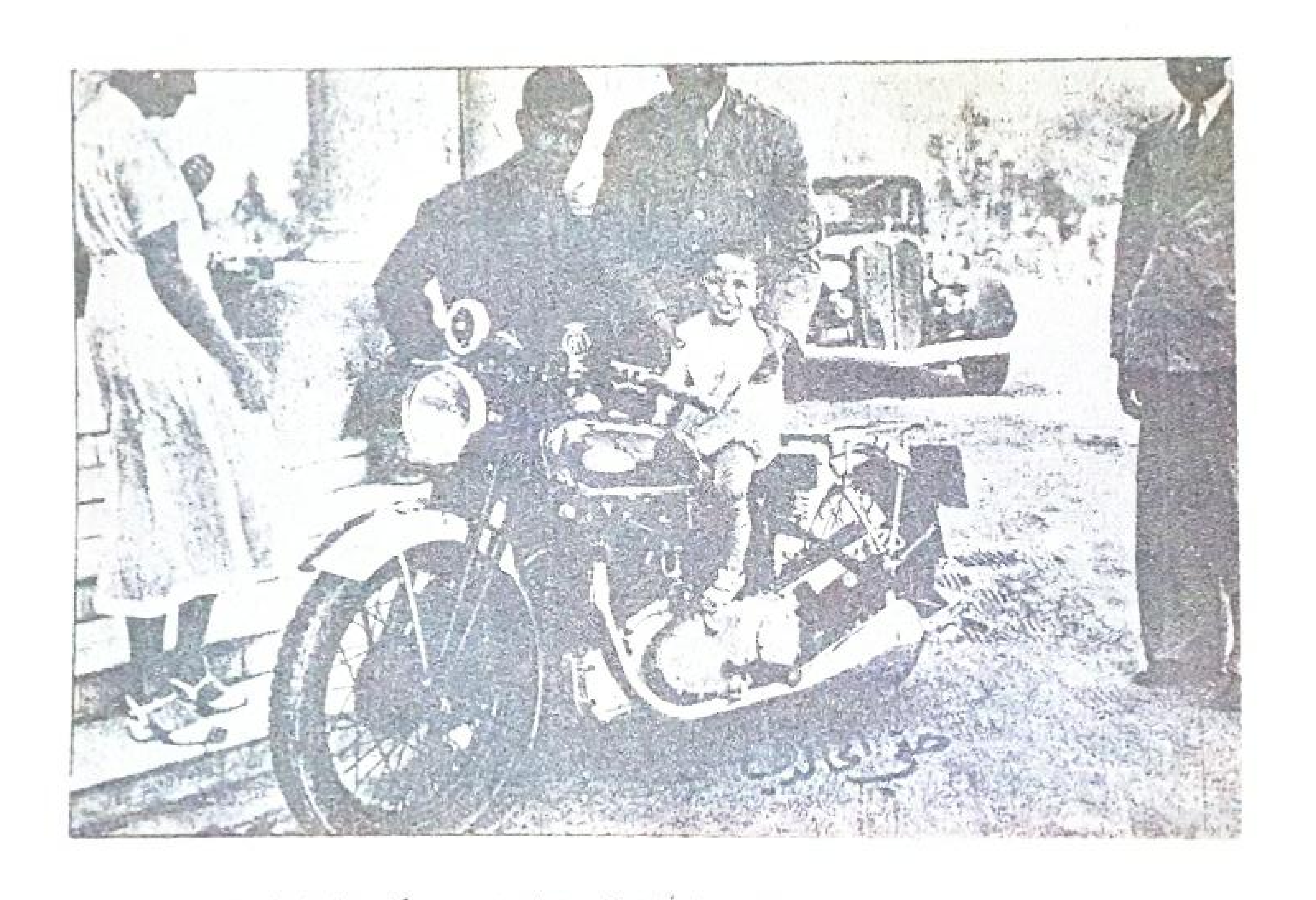
الامير فيصل - عندما كان في الثالثة من عمره



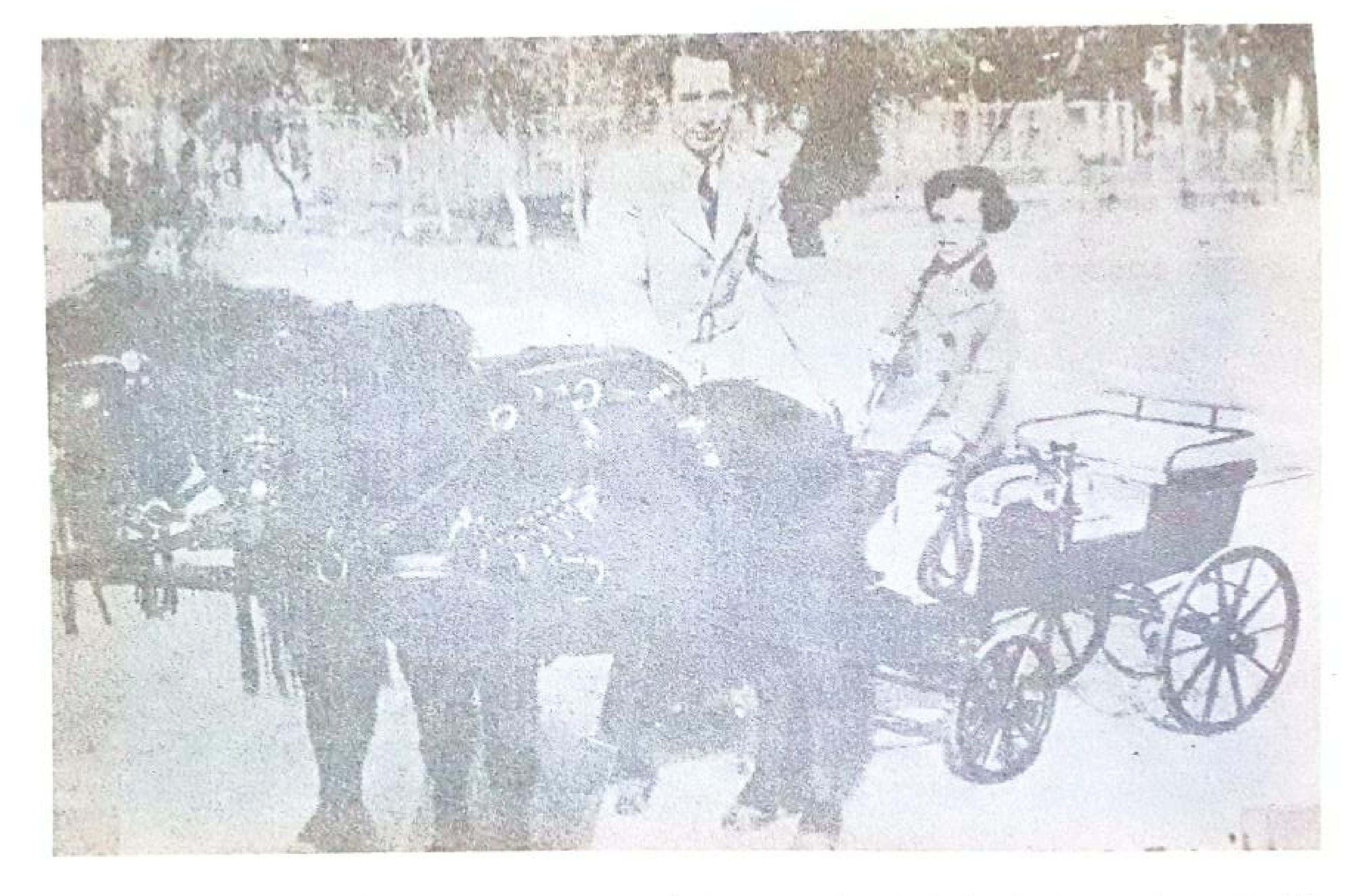
فيصل الثاني مع خاله الامير عبد الاله



الامير فيصل الثاني في ملابس الكشافة العراقية .



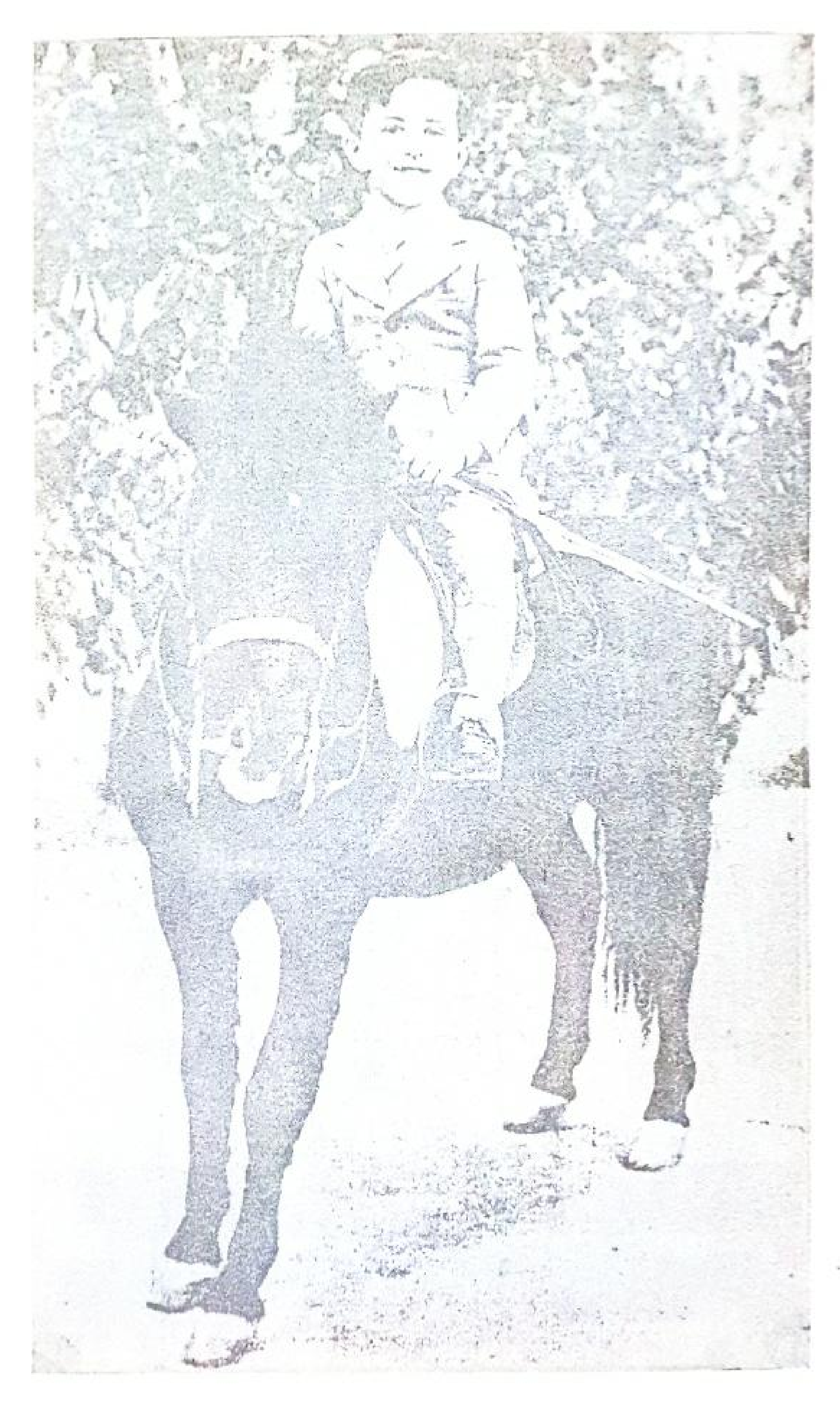
الامير فيصل . عندما كان في الثالثة من عمره جالساً فوق الدراجة النارية «موتورسيكل» الخاصة بوالده .
وكأنه يريد ان يقلد والده في قيادة هذه الدراجة . وقد ظهرت الى اليسار المربية الانكليزية



الملك غازي مع نجله فيصل الذي ركب العجلة المهداة اليه من نائب ملك الهند في حزيران ١٩٣٨ وجيادها «بوني» من جنس «شيتلاند» وطقومها



الامير فيصل الثاني . عندما كان في الرابعة من عمره وهو يمتطي حصانه القزم «سبتي» عند وصوله الى حفلة العرض العسكري التي اقيمت بمناسبة عيد ميلاد والده . قبل مصرعه باسبوع واحد فقط !



فيصل الثاني يمتطي حصاناً قزماً من نوع «السيسي»



الامير فيصل الثاني مع والده الملك غازي



فيصل الثاني في طفولته .



فيصل الثاني باللباس العربي (العقال والكوفية والخنجر والعباءة).

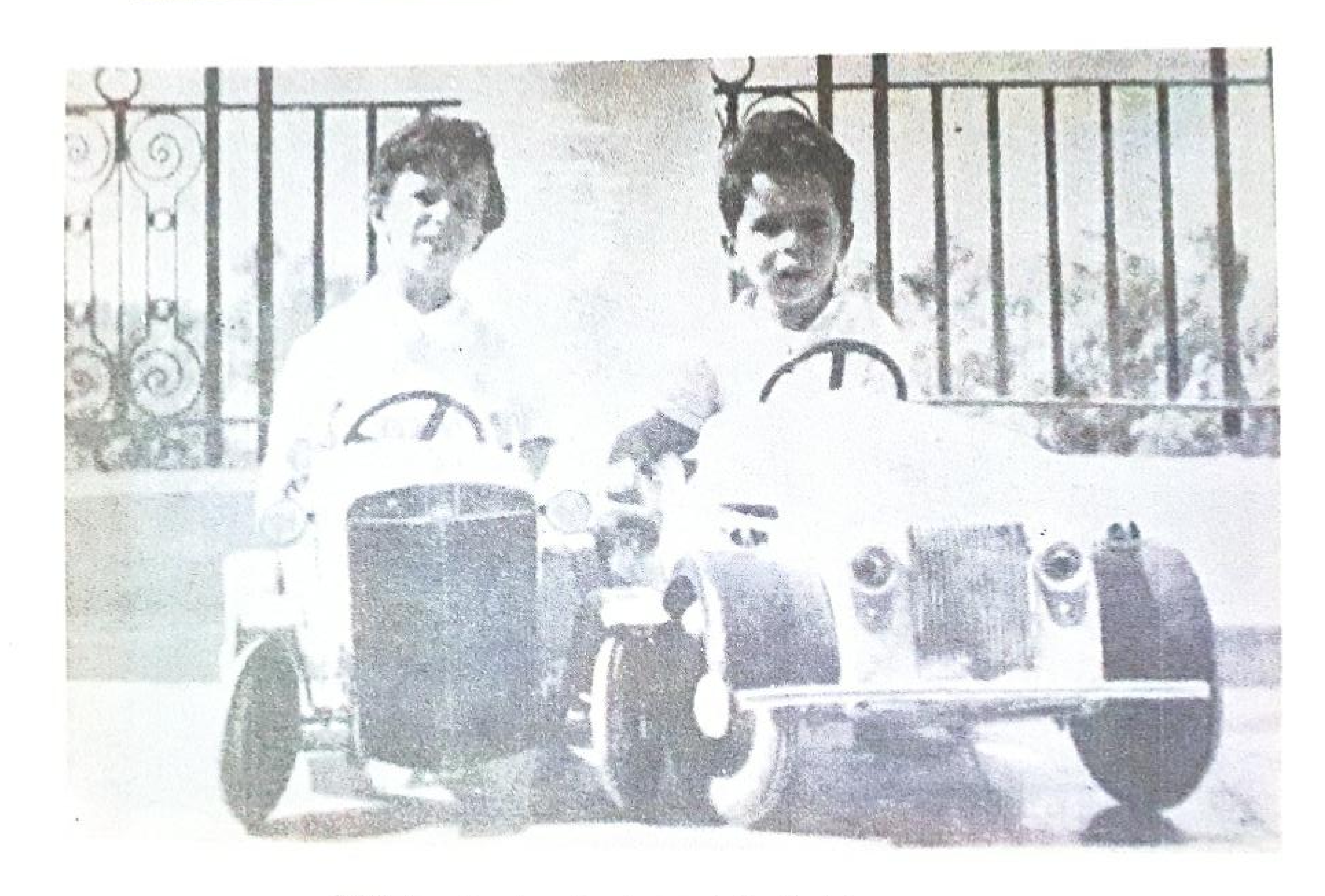
أخذت له هذه الصورة قبل مصرع والده.



الامير يرتدي الملابس العسكرية برتبة رئيس نقيب. ووضع على كتفه الايمن شارة
مرافق عسكري . تقليداً لوالده عندما كان اميراً



الامير فيصل الثاني يجلس فوق كلبه المرقط قبل مصرع والده



الامير حسين بن طلال والامير فيصل الثاني يركب كل منهما سيارة صغيرة للاطفال

الجلسة التاريخية الخطيرة

مجلس الامة

يتلقي اعلان سمو ولي العهد فيصل ملكا على العراق باسم

صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني

ويعين بالاجماع

سمو الامير عبد الاله

وصيا على جلالة الملك

تأييداً لاختيار جلالة الفقيد المعظم

رئيس الوزراء يؤبن الملك الراحل ابلغ بيان

صاحب السمو الملكي وصي جلالة الملك

يقسم بمين المحافظة على احكام القانون الاساسي واستقلال البلاد والاخلاص للوطن والامة

دعت الحكومة اعضاء مجلس الامة الى
عقد جلسة بعد ظهر امس للبت في شأن
الوصي على جلالة الملك فيصل الثاني . وقد

العراق خاصة والاقطار العربية عامة مما اكسبه
تعلق الشعب به واتجاه انظار العرب نحو جلالته
وبينما كانت البلاد تؤمل ان تنجر ى بدى

جريدة «البلاد» البغدادية تنشر خبر الجلسة التاريخية



الملك فيصل الثاني يجلس على كرسي العرش





فيصل الثاني في صور مختلفة اثناء دراسته الاولية



الملك فيصل الثاني بلباسه الصبي



الملك فيصل الثاني باللباس العربي



الملك وزملاؤه الثلاثة يستمعون الى ما يلقيه عليهم الدكتور مصطفى جواد

درجات امتحان نصف السنة

١٩٤٤ - ١٩٤٥

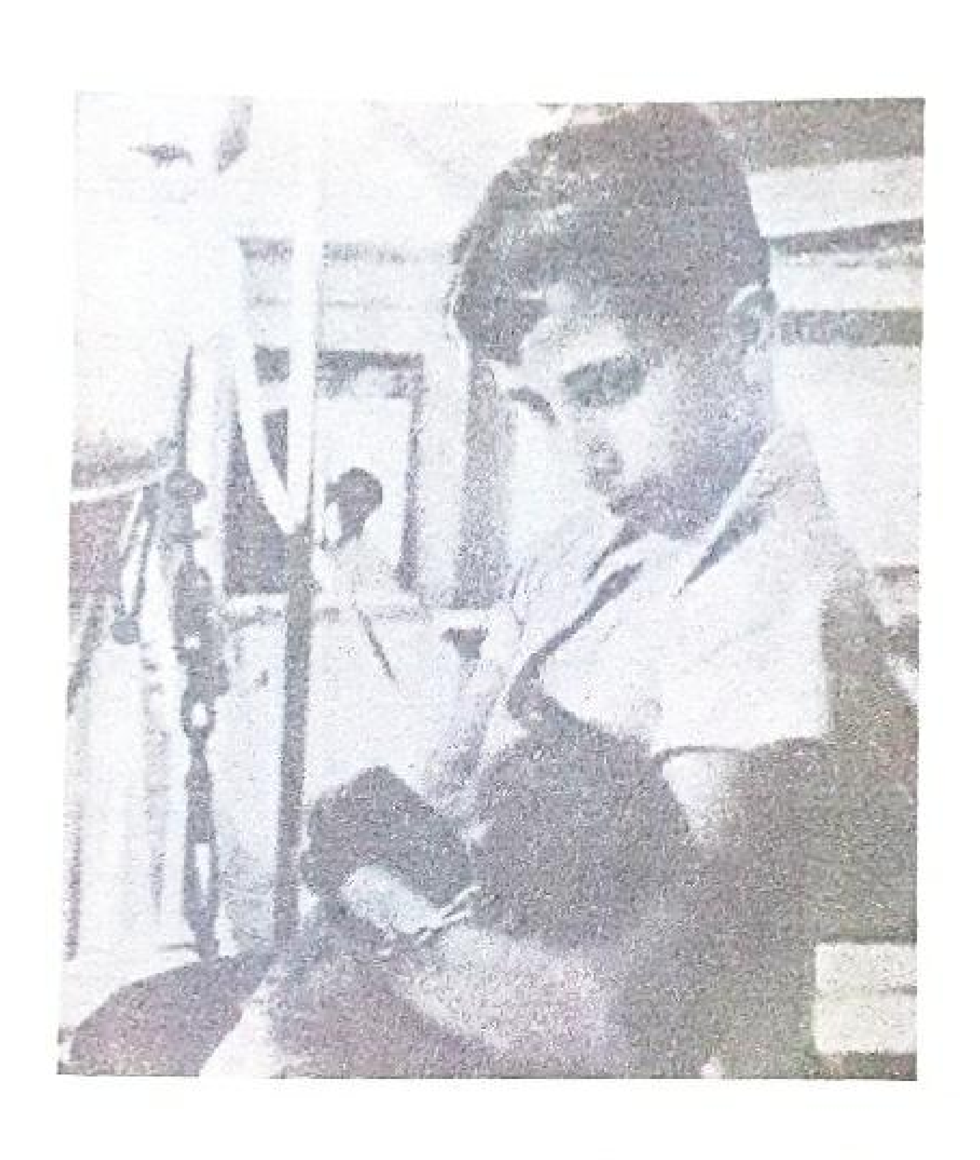
الدرس	الدرجة رقماً وكتابة
القرآن الكريم	٩ تسع درجات فقط
القراءة	٨ ثماني درجات فقط
المحادثة	٩ ½ تسع درجات ونصف فقط
المحفوظات	٦ ½ ست درجات ونصف فقط
الإملاء	١٠ عشر درجات
الخط	٧ سبع درجات فقط
النشيد	٦ ½ ست درجات ونصف فقط

مصطفى جواد

١٧ / ٢ / ١٩٤٥

درجات امتحان نصف السنة ١٩٤٤ - ١٩٤٥ للملك فيصل الثاني

موقعة من الدكتور مصطفى جواد ، معلمه في اللغة العربية والقران الكريم .



الملك فيصل الثاني على ظهر الباخرة التي أقلته من بيروت الى الاسكندرية

صيف عام ١٩٤٤ وهو يداعب قطته السامية السوداء .



الملك فيصل الثاني في الاسكندرية عام ١٩٤٤ . وقد ظهر معه في الصورة الامير رعد نجل الامير زيد .



الملك فيصل الثاني - كان من هواة التجذيف - وهو في هذه الصورة يمتطي «الريسوار» غداة وصوله الاسكندرية في صيف ١٩٤٤



الملك فيصل الثاني في بلاج الاسكندرية عام ١٩٤٤

ملك العراق
أمام الكاميرا



.. ابتسم يا صاحب الجلالة .
ارفع ذقنك الى أعلى قليلا ..



كان المصور يقول : أرجو أن
تميل وجهك الى اليمين قليلا ..



.. انظر الى أعلى قليلا يا صاحب
الجلالة .. عظيم جداً .

عندما زار الملك فيصل الثاني مصر عام ١٩٤٤ ، رغب في ان تلتقط له عدة صور تذكارية . بواسطة مصور مشهور . فأستدعي المصور «أرمان» الى دار المفوضية العراقية في الزمالك . حيث التقط له عشرات «البوزات» . ومن بينها هذه الصور . في اثناء قيامه بتنفيذ «ارشادات» المصور أرمان !



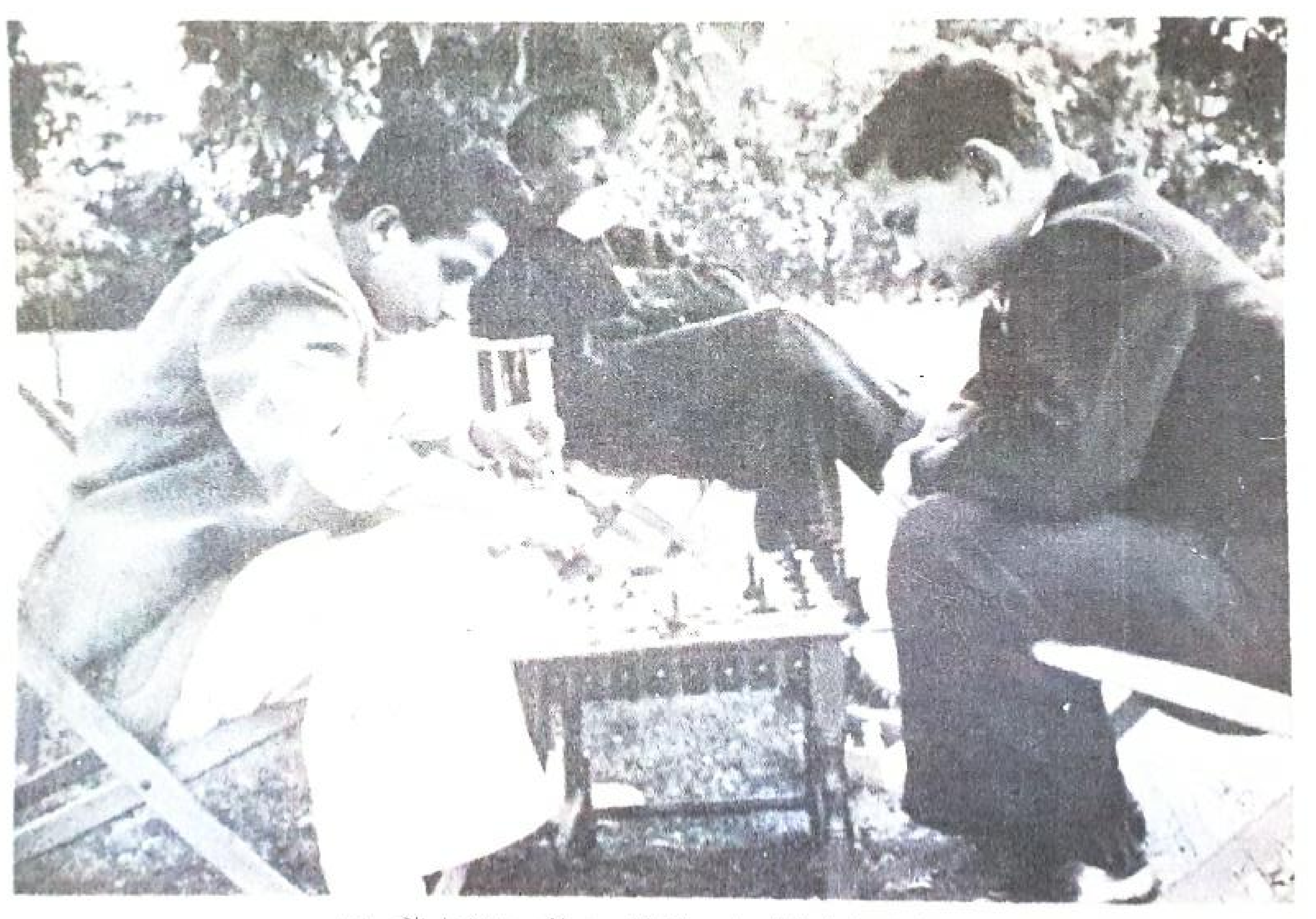
صورة فريدة للملك فيصل الثاني بعدسة المصور المصري الشهير «أرمان»



الملكة عالية والى جانبها ولدها ووحيدها الملك فيصل الثاني



الامير عبد الاله ولي العهد والملك فيصل الثاني في حديقة بيته



الملك فيصل الثاني يلعب الشطرنج مع الامير رعد نجل الامير زيد



الملك فيصل الثاني يلعب التنس في ملاعب كلية هارو بلندن





الملك الفتى فيصل الثاني في عام ١٩٤٩



الملك فيصل الثاني مع زملائه في كلية «هارو» بانكلترا



الملك فيصل الثاني يطالع دروسه في انكلترا



فيصل، الطالب في كلية (هارو) المولع بالسيارات منذ طفولته

OXFORD &   CAMBRIDGE

SCHOOLS EXAMINATION BOARD

General Certificate Examination

THIS IS TO CERTIFY *that* [illegible]
born [illegible] 1935 *attended* [illegible]

and has satisfied the examiners in the following [illegible] *subjects of the General Certificate Examination of the Oxford and Cambridge Schools Examination Board in July 1952.*

[illegible] ENGLISH LANGUAGE,
ENGLISH LITERATURE,
ENGLISH HISTORY,
FRENCH (written and oral).

Signed on behalf of the Oxford and Cambridge Schools Examination Board

VICE-CHANCELLOR OF OXFORD

VICE-CHANCELLOR OF CAMBRIDGE

SECRETARIES TO THE BOARD

THE MINISTRY OF EDUCATION *accepts the Examination as reaching the approved standard.*

Signed on behalf of the Ministry of Education

UNDER-SECRETARY

صورة الشهادة المدرسية التي نالها من كلية هارو



الملك فيصل الثاني يرتدي القبعة ، عندما كان طالباً في كلية «هارو» بانكلترا



الملك فيصل الثاني وولي عهده الامير عبد الاله يرتديان السدارة العراقية في احد الحفلات الرسمية



الملك فيصل الثاني أثناء مروره في دمشق لقضاء العطلة الربيعية في بغداد، بصحبة الأمير عبدالإله
من اليمين: ناظم القدسي، رشدي الكيخيا، الملك فيصل، هاشم الأتاسي، الأمير عبدالإله



اللواء اركان حرب محمد نجيب رئيس الجمهورية المصرية يستقبل
الملك فيصل الثاني عند مروره في ميناء الاسكندرية في تشرين الاول عام ١٩٥٢



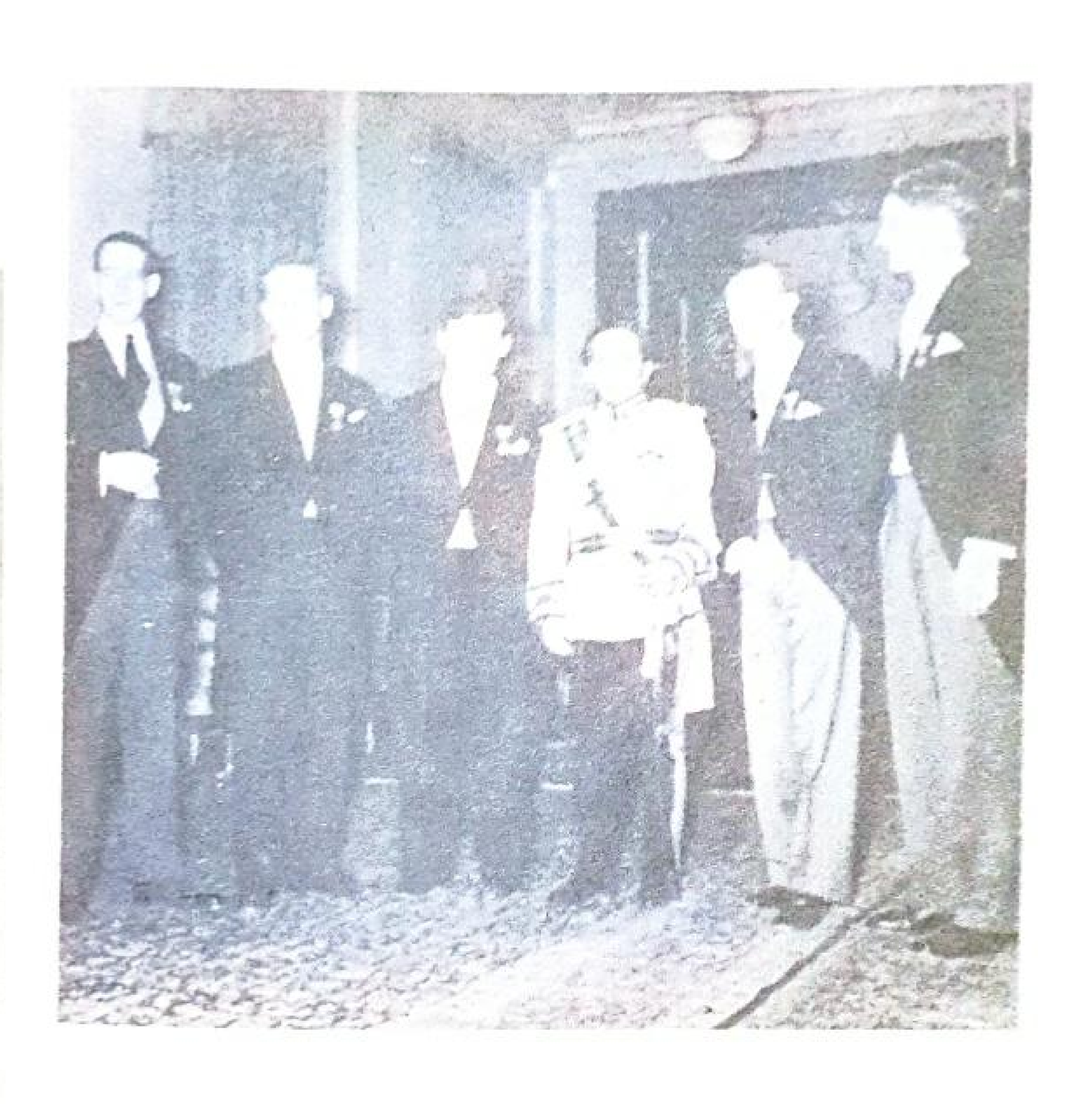
الملك فيصل الثاني يؤدي اليمين الدستورية امام مجلس الأمة العراقي عند تسلمه سلطاته الدستورية
وقد ظهر الى جنبه الامير عبد الاله ولي عهده . وخلفه السيد محمد الصدر رئيس مجلس الأعيان .



الملك فيصل الثاني يرتدي البزة العسكرية الملكية . بعد تسنمه سلطانه الدستورية عام ١٩٥٣



الملك فيصل الثاني عند خروجه من مجلس الامة بعد ادائه اليمين بمناسبة تسنمه سلطاته الدستورية . وقد ظهر الى جانبه الامير عبد الاله ولي العهد .



الملك فيصل الثاني مع طلبة كلية هارو في يوم تسلمه سلطاته الدستورية في بغداد



فيصل الثاني مع خاله الامير عبد الاله بفتح خط الانابيب الجديد في كركوك



الملك فيصل الثاني يُحطن به يتيمات الهلال الاحمر



الامير عبد الاله يتحدث الى الرئيس اللبناني كميل شمعون . عند زيارته لبغداد عام ١٩٥٣
ويبدو الملك فيصل الثاني ساهما !



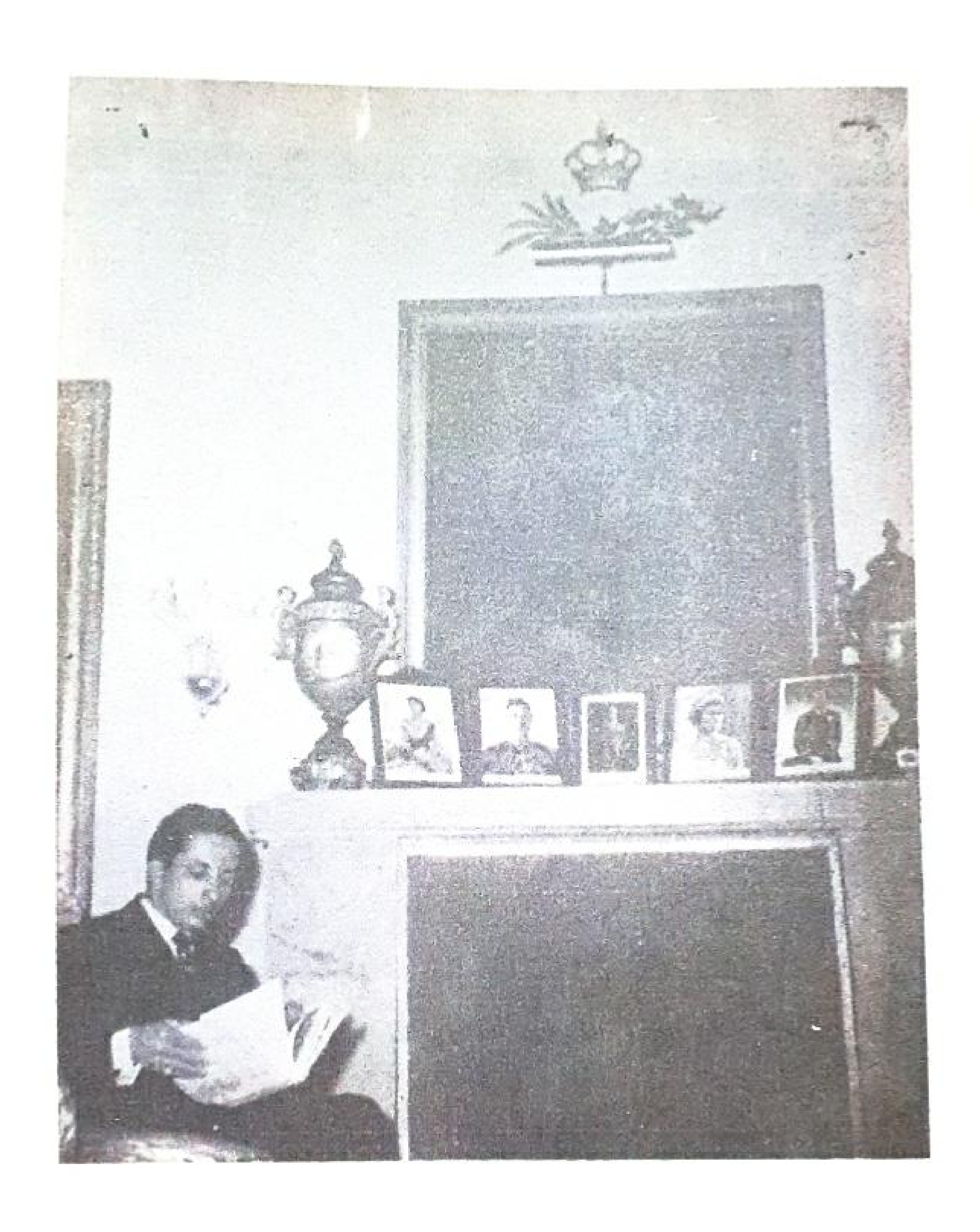
الملك والوصي يداعبان الكلبين اللذين وصلا هـديـة من ملك الافغـان



الملك فيصل الثاني في مكتبه الرسمي



الملك الثاني يقف امام صورة والدته الملكة عالية في قصره الملكي.



الملك فيصل الثاني يطلع كتابا الى جانب المدفأة وقد ظهر في اعلاها صورة الملك الحسين بن علي . وعلى افريز المدفأة صورة للملكة اليزابيث . ملكة بريطانيا . وبعض الشخصيات العالمية

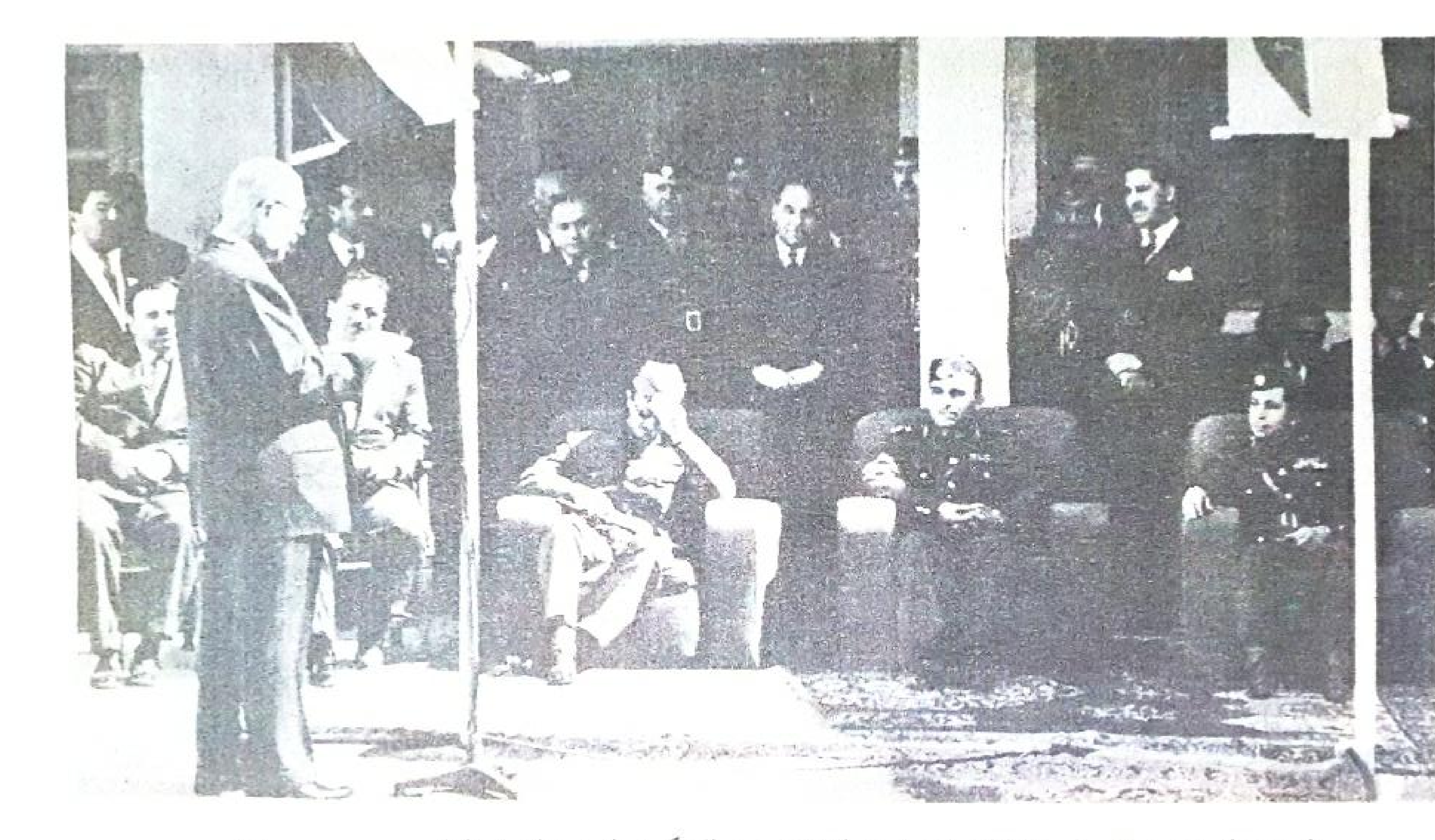


الملك فيصل الثاني يقف امام تمثال جده الملك فيصل الاول مؤسس المملكة العراقية

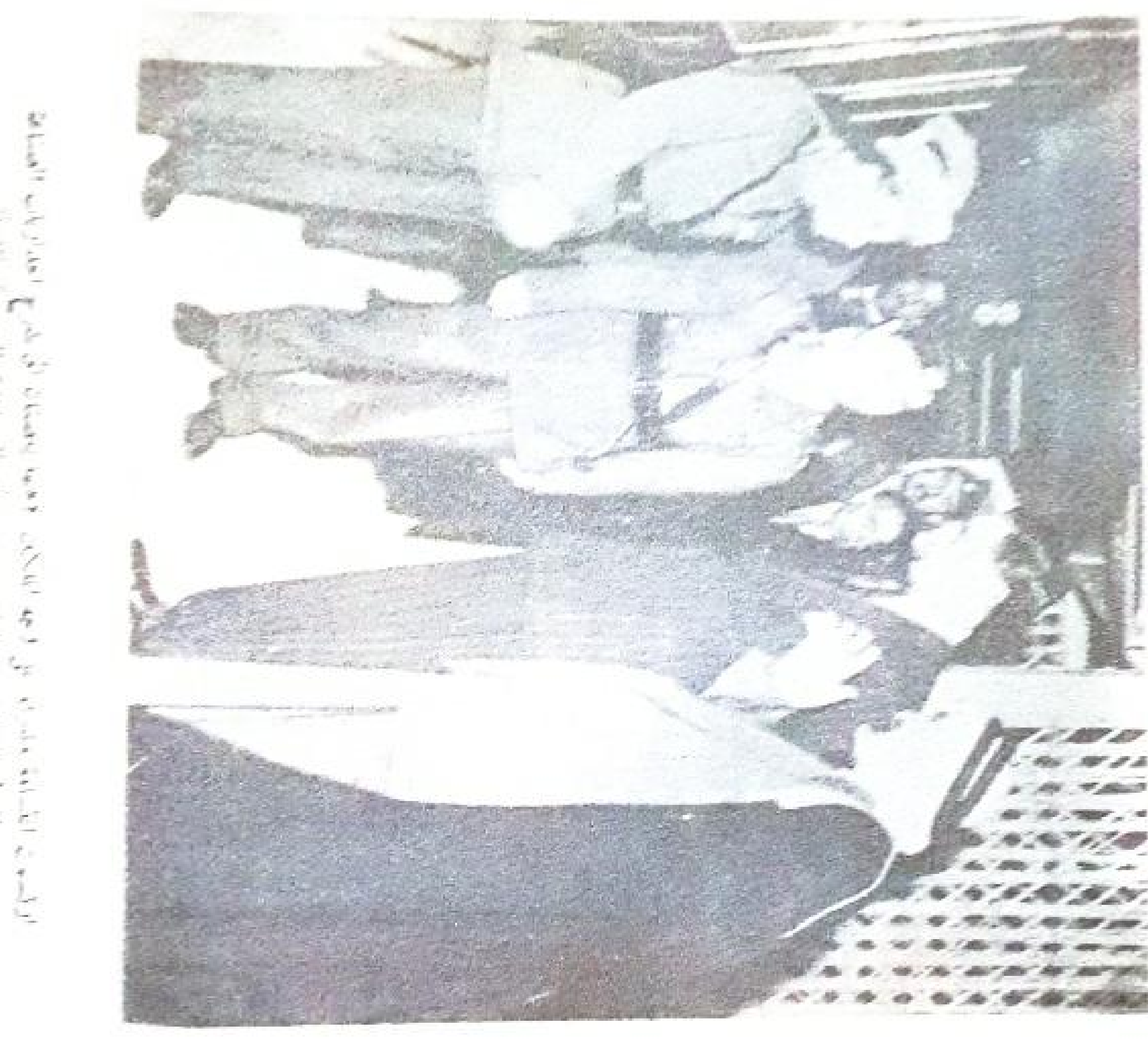


الملك فيصل الثاني وبجانبه الملك حسين (لم تظهر صورته كاملة) يتلقيان أكاليل الورد

من بنات البصرة الصغيرات عند زيارتهما البصرة صيف ١٩٥٣



السيد مظفر احمد متصرف (محافظ) البصرة يلقي كلمة ترحيبه بالملكين الشابين فيصل الثاني وحسين بن طلال .
بينما يبدو الامير عبد الاله جالساً يغط في نومه ! وظهر في يسار الصورة الدكتور عبد الحميد القصاب



[illegible]



الملك فيصل الثاني يشاهد «عينة» من نفط آبار البصرة في منتصف عام ١٩٥٣



راس الشيخ. الصورة التي رسمها الملك فيصل الثاني بريشته وبالالوان الزيتية



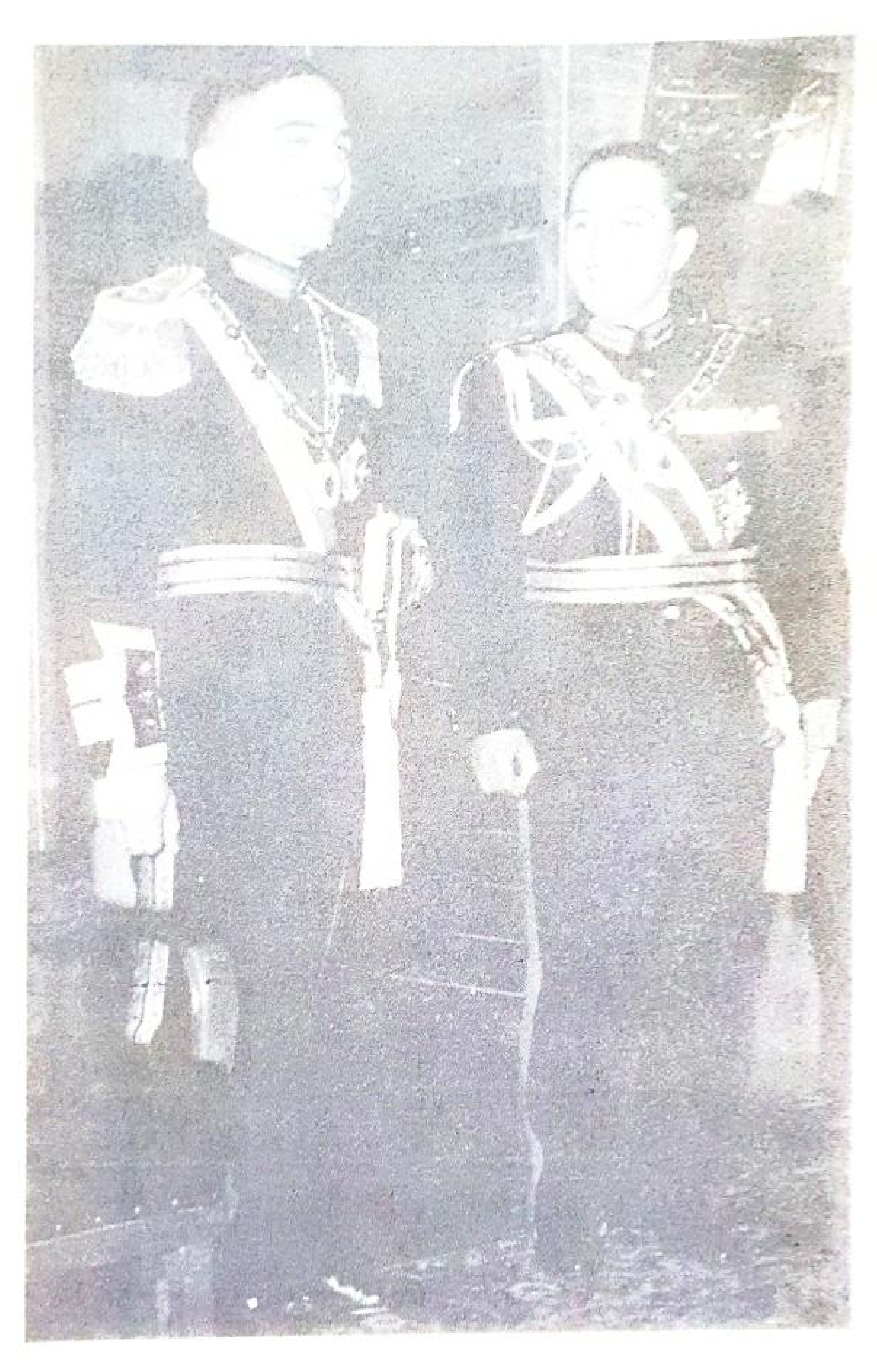
صورة نادرة للملك فيصل الثاني . وهو يقطع كعكة عيدة ميلاده العشرون



الملك فيصل الثاني والملك حسين في عمان



في حفلة عقد قران الملك حسين على الملكة دينا عبد الحميد . يظهر في الصورة الملك فيصل الثاني والملك حسين وشقيقه الامير محمد بن طلال والامير عبد الاله . والامير نايف بن الملك عبد الله



الملك فيصل الثاني والملك حسين في القصر الملكي في عمان



الملك فيصل الثاني وخاله الامير عبد الاله ولي عهده في عربة القطار الخاص بمحطة فكتوريا بلندن يبتسم للمصور .

الملك فيصل الثاني يستعرض حرس الشرف في محطة فيكتوريا بلندن عام ١٩٥٦

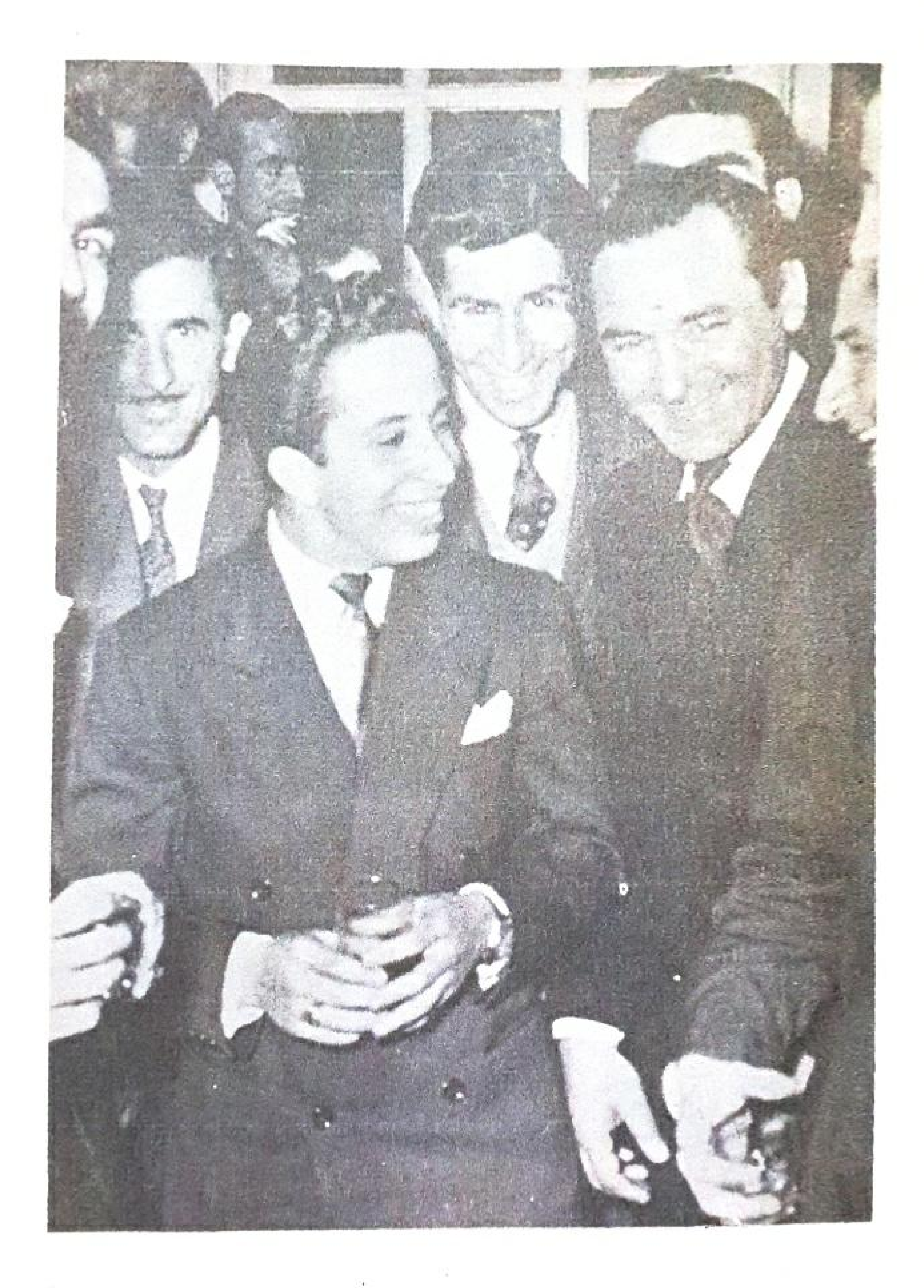


الملك فيصل الثاني والملكة اليزابيث ملكة بريطانيا في العربة الملكية في لندن عام ١٩٥٦

ملكة بريطانيا اليزابيث الثانية والملك فيصل الثاني والامير عبد الاله ودوق ادنبره . زوج الملكة ، مع ابنتها الاميرة آن في حدائق قصر بالمورال



احد طلبة البعثة العراقية في انكلترا يصافح الملك فيصل الثاني



الملك فيصل الثاني يتحدث مع الطلبة العراقيين في انكلترا في الحفلة التكريمية التي اقامتها السفارة العراقية في لندن .



«المسز أرنو» وابنتها «جنفيف» التي اقامت دعوى (حنث الوعد بالزواج) على تركة الملك فيصل الثاني بعد مصرعه . طالبة بتعويض كبير . واستحصلت على حكم قضائي من المحاكم الاميركية . وقد تأكد بعدئذ انها دعوى ابتزاز . وليس لها صحة على الاطلاق . تظهر الاثنان - الام وابنتها - في هذه الصورة مع الحاج أمين المميز . الدبلوماسي العراقي المعروف - في حفلة ميثاق بغداد المقامة في اوتيل سميراميس عام ١٩٥٧ .



الملك فيصل الثاني يتوسط الوفد الرياضي العراقي عام ١٩٥٧ . وظهر في اليمين بطل العالم لعبور المانش السباح العراقي علاء الدين النواب . والى جانبه الرئيس «النقيب» عزيز جاسم الحجية . فالاستاذ اسماعيل حمودي صادق الصفار، ناجي شاكر وجعفر محمد صالح (الى اقصى اليسار)

الملك فيصل الثاني يفتح جسر الملكة عالية (الجمهورية حالياً) عام ١٩٥٧ وظهر الى يساره الأمير عبد الإله وخلفه نوري السعيد



الملك فيصل الثاني يشاهد معرض الخط العربي في بغداد . وقد ظهر الى يساره جميل المدفعي رئيس الوزراء والى يمينه الدكتور احمد سوسه . وخلفه الدكتور محمد فاضل الجمالي والشيخ علي الشرقي .



الملك فيصل الثاني يستعرض الجيش العراقي في ٦ كانون الثاني عام ١٩٥٨



الملك فيصل الثاني يتسلم من الزعيم الركن حسن مصطفى آمر كلية الاركان شهادة التخرج من كلية الاركان العراقية في مطلع عام ١٩٥٨



الملك فيصل الثاني يلقي خطابه في افتتاح المجلس التشريعي للاتحاد العربي بعمان في ٢٧ ايار ١٩٥٨
ووقف الى جانبه الامير عبد الاله ولي العهد



الملك فيصل الثاني والملك حسين يتصافحان بعد ان تم التوقيع على اتفاقية اتحاد العراق والاردن باسم «الاتحاد العربي» .



العاهلان الهاشميان فيصل الثاني والحسين بن طلال يتعانقان في الوداع الأخير الذي تمَّ بينهما غداة قيام «الاتحاد العربي» بين العراق والاردن



الملك فيصل الثاني يُسلم جائزة لفارس صغير في سباق الخيل



الاميرة فاضلة خطيبة الملك فيصل الثاني



السيدة اسيا توفيق وهي رئيسة الاتحاد النسائي العراقي تُرحّب بالاميرة فاضلة خطيبة الملك فيصل الثاني
وبوالدتها الاميرة خازنده في مقر الاتحاد ببغداد عام ١٩٥٨



متى ستعودون الى بغداد؟ ارجو ان يكون موعد رجوعكم

في حوالي يوم ٦ كما هو المتفق عليه رغم تأجيل سفرنا الى لندن لمدة

من الاسبوع فيما اعتقد، ورأيكم طبعا هو الاصوب، ان نبقى بضعة

ايام هنا سوية بحيث يتيسر لنا الوقت الكافي للمذاكرة في كل الامور

العالقة في هذا الوقت واني اؤكد لكم انها غير قليلة! اني اثناء غيابكم

اخذت لاول مرة اتداخل في كل الامور حسب الامكان وان اوجهها

شخصيا حسب معلوماتي وخبرتي القاصرة وكم من مرة تمنيت ان تكونوا

معي هنا لاستشيركم وبصورة القول ان الانسان يشعر بحب الذين،

الذين يتمثلون بكم بالنسبة لي، عند الغياب الطويل ويدري على

الفراغ الهائل الذي تكون من جراء غياب المحبوبين. ولكنني اكرر

ان عودتكم الى هنا متعلقة تماما برغبتكم وراحتكم وصحتكم

قبل كل شيء.

الجميع هنا بخير ويقبلون اعينكم وايديكم. وفي الختام

ارجو من الله تعالى ان يديم صحتكم ويطيل عمركم والسلام

ابنكم

فيصل

آخر رسالة كتبها الملك فيصل الثاني بخط يده الى خاله الامير عبدالاله في ٢ تموز ١٩٥٨
وعثر عليها محسن حسين الحبيب في قصر الرحاب يوم ١٥ / ٧ / ١٩٥٨



الملك فيصل الثاني وولي عهده الامير عبد الاله في احدى صالات المطار المدني في بغداد . بعد وصول الامير عبد الاله من اسطنبول في التاسع من تموز ١٩٥٨ . ويبدو في الصورة اقطاب العهد الملكي : نوري السعيد . توفيق السويدي . احمد مختار بابان . فاضل الجمالي . عبد الله بكر . عبد الوهاب مرجان .



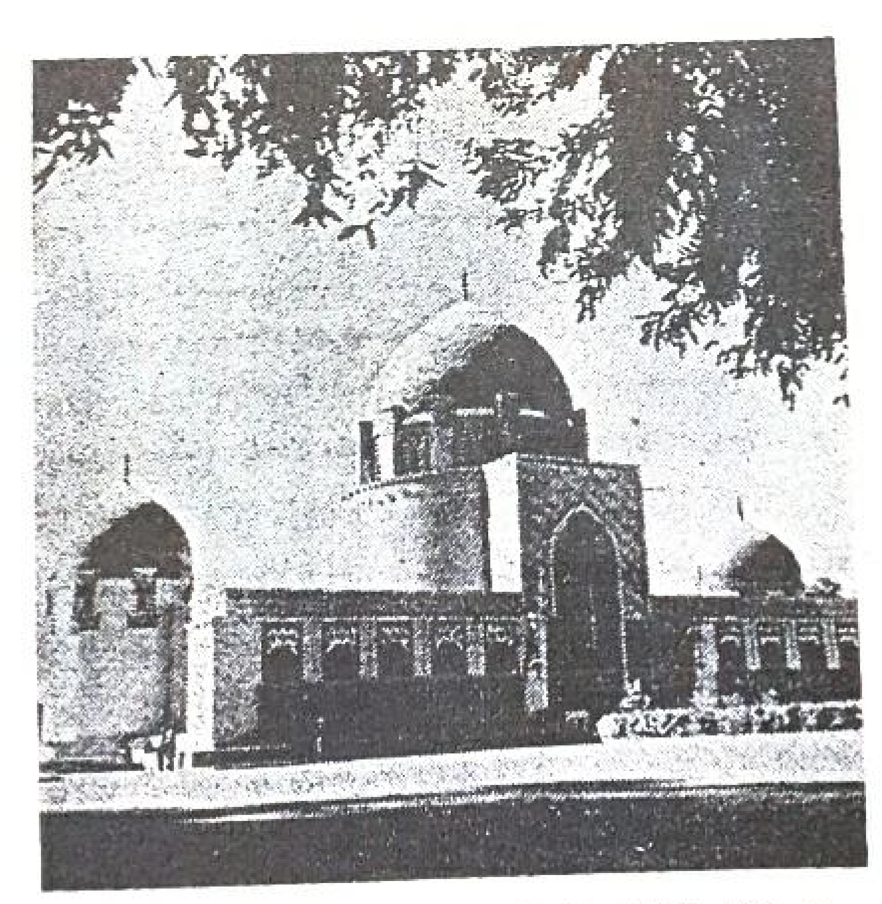
صورة للملك فيصل الثاني قبيل مصرعه . التقطت يوم الجمعة ١١ تموز ١٩٥٨ في مدخل البلاط الملكي . وظهر خلفه تحسين قدري رئيس التشريفات الملكية والمرافق



صورة ماخوذة للملك فيصل قبل مصرعه بمدة وجيزة . وقد ولد في ٢ ايار ١٩٣٥ ، فيكون قد مات عن ٢٣ عاما وشهرين و١٢ يوما . ولي العرش يوم ٤ نيسان ١٩٣٩ اثر مقتل والده الملك غازي الاول في حادث . وتسلم صلاحياته في ٢ ايار ١٩٥٣ .



قصر الزهور .. حيث ولد فيه الملك فيصل الثاني .
وصرع والده الملك غازي في شارعه .. وماتت والدته الملكة عالية فيه .



مقبرة الاسرة الهاشمية المالكة في « الاعظمية » في ضاحية بغداد
وقد دفن فيها خفيه جثمان فيصل الثاني

المؤلف في سطور :



احمد فوزي عبد الجبار

- ولد ببغداد في ٢٤ تشرين الثاني عام ١٩٢٧
- تخرج في كلية الحقوق عام ١٩٥٢
- اصدر مع فائق السامرائي جريدة «الجريدة» عام ١٩٥٣
- انتخب مديراً مسؤولاً لجريدة «لواء الاستقلال» الناطقة بلسان حزب الاستقلال عام ١٩٥٤
- مثل الصحافة العراقية في العيد الاول للثورة العربية في مصر عام ١٩٥٣
- عُهد اليه في الايام الاولى لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بمسؤولية ومرافقه الوفود الصحفية .
- عُين مديراً مفوضاً لشركة لصحافة والطباعة المحدودة في مطلع عام ١٩٥٩
- عُين مديراً عاماً لوكالة الانباء العراقية عام ١٩٦٥
- أنتخب رئيساً لجمعية الحقوقيين العراقيين عام ١٩٦٥ . وكان اول رئيس لها ولمدة خمس سنوات . وترأس تحرير «مجلة الحقوقي» .
- عُين مديراً عاماً للاعلام في وزارة الثقافة والاعلام عام ١٩٦٧
- ترأس تحرير جريدة «الجمهورية» منذ صدورها بعد عملية تأميم الصحافة في ١٩٦٧/١٢/٤
- نُسبَ بعد ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ ملحقاً صحفياً في ديوان وزارة الاعلام . فمديراً للصحافة ثم مديراً لمركز حفظ الوثائق .
- نقل الى وزارة العدل . وعُين مفتشاً عدلياً . ومديراً لمجلة «العدالة» .
- أحال نفسه على التقاعد في نهاية عام ١٩٧٩ . وعاد ليمارس المحاماة .
- عُين محامياً في امانة العاصمة . ونُسبَ «مشرفاً عاماً» على جريدة «بغداد» عام ١٩٨٠
- ساهم في تحرير بعض صحف القاهرة . ايام لجوئه السياسي في مطلع الستينات .
- القى احاديث صحفية وقومية من دار الاذاعة العراقية . وصوت العرب . والقاهرة . وشارك في ندوات تلفزيونية في بغداد والقاهرة والجزائر والسودان والكويت .
- قام بزيارات صحفية واستطلاعية لمعظم الدول العربية . وبعض الدول الافريقية والاسيوية . ومعظم الدول الاوربية الغربية والشرقية والاسكندنافية و٢٥ ولاية امريكية و٥ ولايات كندية

• عضو في : نقابة المحامين .

نقابة الصحفيين .

الاتحاد العام للأدباء والكتاب

اتحاد المؤرخين العرب .

• صدرت له الكتب التالية :

١ - غرب ام غروب «قصة عبد الكريم قاسم» .

٢ - المهداوي .

٣ - بترول ودخان «قاسم والكويت»

٤ - لهو في لهب «قاسم والنفط»

٥ - خناجر وجبال «قاسم والاكراد»

٦ - قصة عبد الكريم قاسم كاملة

٧ - ثورة ١٤ رمضان

٨ - لقاء في طريق الوحدة

٩ - القدس عربية

١٠ - لقاء عند بوابة مندلبوم

١١ - حكايات سياسية وصحفية عن ١٢ رئيس وزراء

١٢ - اشهر المحاكمات الصحفية في العراق

١٣ - سيرة وحكايات عن ٦ رجال فكر وقانون

١٤ - الجريدة .. وصراعها مع السلطة !

١٥ - اشهر الاغتيالات السياسية في العراق .

١٦ - الملك فيصل الثاني : عائلته . حياته . مؤلفاته!

١٧ - المثير من احداث العراق السياسية .

وله كتب معدة للطبع :

١ - عبدالكريم قاسم .. وساعاته الاخيرة

٢ - ليلة سقوط الملكية في العراق (١٣ تموز ١٩٥٨)

٣ - شخصياتهم من خلال تواقيعهم!!

مصادر البحث

أعتمدت في كتابة فصول هذا الكتاب على مصادر عديدة . أهمها :

أ -وثائق المركز الوطني (دار الكتب والوثائق)

ب - الكتب المطبوعة والمخطوطات

جـ - الرسائل الجامعية ، التي لم تطبع بعد .

د -الصحف المختلفة ، عراقية وعربية

هـ -المجلات المصرية والعراقية .

و - مقابلة مع العقيد المتقاعد يوسف التائب

ز -مقابلة مع رئيس العرفاء ناصر سلمان لطيف (ابو ماجد)

أما الكتب التي أعتمدت عليها فهي :

١ - «تاريخ الوزارات العراقية» لشيخ المؤرخين العراقيين عبد الرزاق الحسني

٢ - «موسوعة العراق السياسية» للاستاذ عبد الرزاق محمد أسود

٣ - «الموسوعة السياسية» للاستاذين الكيالي والزهيري

٤ - «مذكرات سندرسن باشا» ترجمة سليم طه التكريتي

٥ - «مهنتي كملك» للملك حسين بن طلال . عاهل الاردن

٦ - ماذا جرى في الشرق الاوسط؟» لناصر الدين النشاشيبي

٧ - «الملكة عالية» لكاتب عربي معروف (معمر حسين)

٨ - «ثلاثة ملوك في بغداد» للعقيد جرالدي غوري

٩ - «مذكراتي في صميم الاحداث» للاستاذ محمد مهدي كبه

١٠ - «مذكرات كامل الجادرجي» للاستاذ كامل الجادرجي

١١ - «سيرة وذكريات» للاستاذ ناجي شوكت

١٢ - «مذكراتي» لتوفيق السويدي

١٣ - «مذكرات الشهيد صلاح الدين الصباغ»

١٤ - «ذكريات علي جودت» لعلي جودت الايوبي

١٥ - «مذكراتي في العراق» للاستاذ ساطع الحصري

١٦ – «الملك غازي» للدكتور لطفي جعفر فرج
١٧ – «العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب» للاستاذ نجدة فتحي صفوت .
١٨ – «الخلاف بين البلاط ونوري السعيد» للاستاذ خيري العمري .
١٩ – «العراق في الوثائق البريطانية سنة ١٩٣٦» للاستاذ نجدة فتحي صفوت
٢٠ – «نظام الحكم في العراق» للاستاذ مجيد خدوري
٢١ – «سقوط النظام الملكي في العراق» للدكتور فاضل حسين
٢٢ «حياة عراقي من وراء البوابة السوداء» للاستاذ محمود الدرة
٢٣ – «فيصل الاول» للاستاذ امين الريحاني
٢٤ – «ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم» للاستاذ امين سعيد
٢٥ – «من الثورة العربية الكبرى الى العراق الحديث» للاستاذ ابراهيم حمدي الراوي
٢٦ – «مقدمة في دراسة العراق المعاصر» للدكتور زكي صالح
٢٧ – «الاحلام» للشيخ علي الشرقي
٢٨ – «الملوك الهاشميون» . تأليف جيمس موريس
٢٩ – مذكرات طه الهاشمي» تأليف طه الهاشمي
٣٠ – «غازي الاول» للاستاذ مصباح امين قليلات .
٣١ – «ايام النكبة» للاستاذ طالب مشتاق .
٣٢ – «من ذكرياتي» للاستاذ عبد العزيز القصاب
٣٣ – «الحرب العراقية البريطانية ١٩٤١» للاستاذ محمود الدرة
٣٤ – «العراق من الاحتلال الى الاستقلال» للاستاذ عبد الرحمن البزاز
٣٥ – «مختصر من حياة غازي الاول» للاستاذ عبد القادر البندينجي
٣٦ – «مذكرات وتعليقات» للاستاذ علي محمود الشيخ علي
٣٧ – «في غمرة النضال» للاستاذ سليمان فضي .
٣٨ – «يونس السبعاوي» للاستاذ خيري العمري
٣٩ – «اسرار مقتل العائلة المالكة في العراق» تأليف فالح زكي حنظل .
٤٠ – «يقظة العرب» تأليف جان وولف
٤١ – «ملفات السويس» للاستاذ محمد حسنين هيكل
٤٢ – «ربيع العرب» تأليف بنو اميشان .
٤٣ – صفحات من حياة الدكتور محمد حسن سلمان
٤٤ – «فيصل الثاني» تأليف عبد المحسن القصاب . مطبعة الصباح ١٩٤٥
٤٥ – زيارة الامير عبد الاله الى الولايات المتحدة – كتاب مصور اصدرته مصلحة الاستعلامات الامريكية عام ١٩٤٦ .

٤٦ – «الملك فيصل الثاني» تأليف صادق الازدي وناصر جرجيس ١٩٥٣
٤٧ – «مجزرة الرحاب» . مصرع العائلة الهاشمية المالكة في يوم ١٤ تموز ١٩٥٨
٤٨ – «بغداد كما عرفتها» للاستاذ أمين المميز
٤٩ – «ذكريات وعبر» للدكتور محمد فاضل الجمالي .
٥٠ – «محمد القبانجي» للمؤلف ثامر عبد الحسين العامري
٥١ – «اشهر الاغتيالات السياسية في العراق» للمؤلف احمد فوزي
٥٢ – «اشهر المحاكمات الصحفية في العراق» للمؤلف – احمد فوزي

فهرست الكتاب

هذا الكتاب

يتناول سيرَة ملك عراقي وعائلته ، بوجهيها السلبي والايجابي ، المُظلم والمُنير ، الحلو والمُر ، الخيّر والشرير ،.. كتبت باسلوب أقرب الى التاريخ ، او السرد التاريخي ، منه الى الكتابة الصحفية ، أو أنه الاثنان معاً .

كتاب ، لابد للجيل المعاصر ان يطلع عليه ، ليعرف الشيء الكثير الواضح عن ذلك المليك الشاب ، الذي تربع عرش العراق ، ردحاً من الزمن ، من دون سلطة فعلية ، وسقط مضرجاً بدمائه وعائلته صبيحة يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ ، وأنتهت الملكية في ذلك اليوم التاريخي في العراق .

كتاب يكشف الاحداث بالوثائق والصور الفريدة ، ويلقي الاضواء الساطعة على العهد الملكي في العراق في سنواته الاخيرة .

يطلب من مكتبة التراث والمعاصرة
شارع الربيع، حي الجامعة - الكرخ
هاتف ٥٥٦٩٩٤٠

السعر ٤/٥٠٠ دينار

دار الحرية للطباعة - بغداد